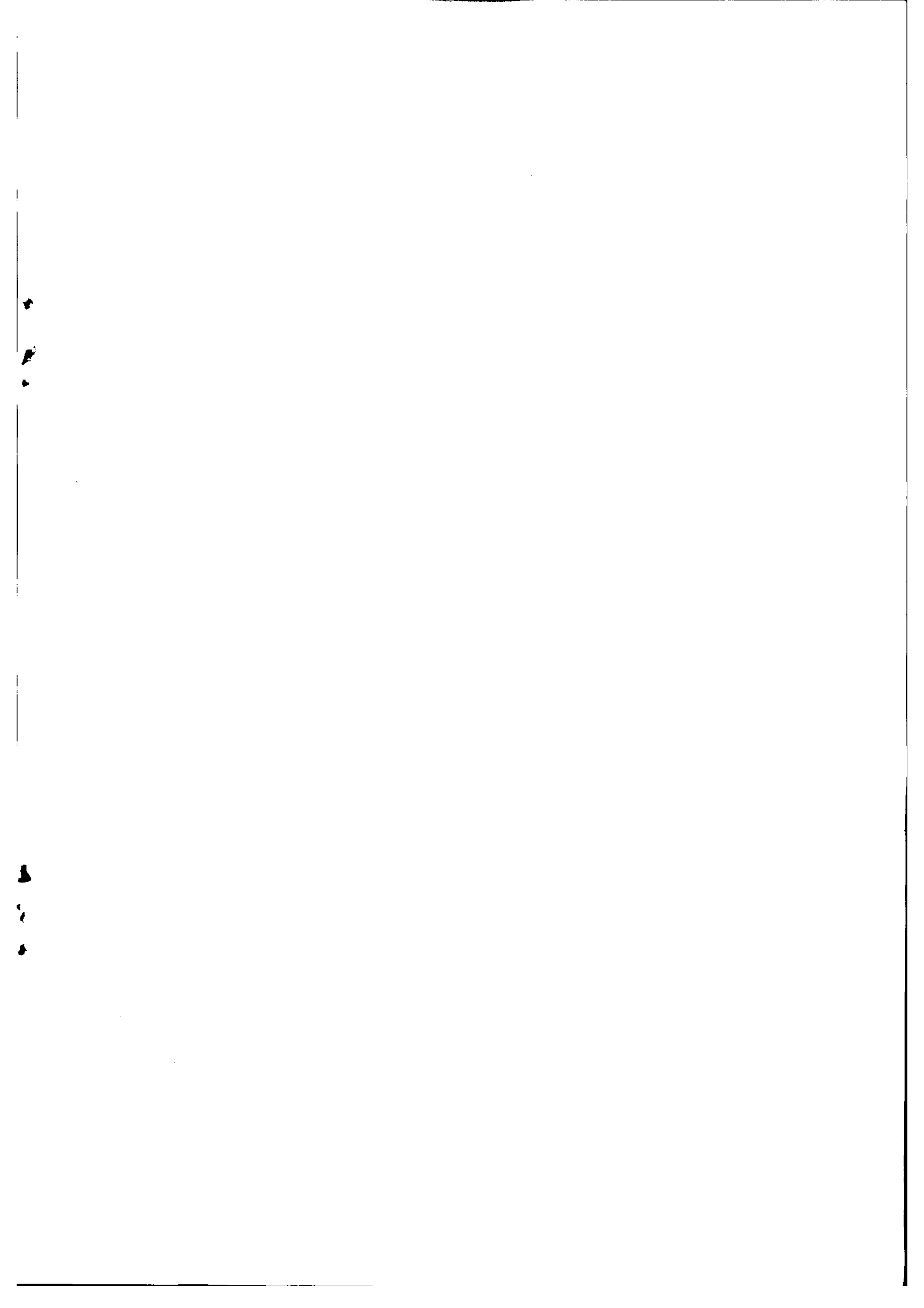
جامعة الأزهر
كلية أصول الدين القاهرة
قسم التفسير وعلوم القرآن

# الدخيل بين الدراسة المنهجية والنماذج التطبيقية

دكتور
جمعة على عبد القادر
أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن
عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة


الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ ، أرسله ربه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهو المبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فكان ﷺ الرحمة المهداة والنعمة المسداة لهذه الإنسانية السادرة في غيها المتخبطة في ضلالها.

ومن أعظم نعمه تبارك وتعالى كذلك أنه أنزل القرآن الكريم رحمة للعالمين، ونورا يهدي به إلى صراطه المستقيم، أنزله الله لإخراج البشرية من ظلمات الجهل والجاهلية إلى نور الهداية والمعرفة، فكان مأدبة إلهية، أنعم الله بها على عباده، وتفضل بها على خلقه لتكون زادهم في مبدئهم ومعادهم، وصدق الله إذ يقول ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلا خَسَارًا ﴾ [1].

من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وهو كتاب الله الذي لا ريب فيه، ولا يتطرق إليه تحريف ولا تبديل: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2] وقد تكفل سبحانه بحفظه وبيانه فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [3].

وهو المعجزة الخالدة لمحمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أودع الله فيه من الإعجاز ما لا يحصر من الأمر والنهي والوعد والوعيد والحكم والأمثال والمواعظ وقصص الأمم الماضية فقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ

---

[1] الإسراء : ٨٢.

[2] فصلت : ٤٢.

[3] الحجر : ٩.

قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [1].

جعله الله حجة لمن اهتدى، وحجة على من ضل وغوى، جمع بـه الرسـول الكريم العرب بعد شتات وفرقة، ووحدهم بعد تمزق واختلاف، فطهرت به قلـوبهم، وتآلفت به نفوسهم فأصبحوا في ظله إخوانا وتحت لوائه أحبابا: ﴿ واذكروا نعمـة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ [2].

وهو الدستور الشامل الذي رسم لهم طريق السعادة في الدنيا والآخـرة بمـا احتوى من قوانين وأنظمة وتشريعات، فأوجد لهم الشخصية بعد ما كـانوا يعيشـون على هامش الحياة، فبنى لهم الدولة ومكنهم من السيادة والريادة، فغدوا أمة حضـارة وعلم، أنقذت البشرية من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، وأخرجت الناس مـن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فكان حريـا بها أن يصفها الله تبارك وتعالى بقـوله تعالى: ﴿ كـنتم خـير أمة للنـاس أخرجـت للناس ﴾ [3]

وهكذا أوجد القرآن الكريم فجرا جديدا ودعوة جديدة أشرقت شمسها على مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما، وأخذت دورها في نشر رسالة العلم والمعرفة وبعث الحضارة الإنسانية.

ولقد اقتضت مشيئة الله أن يصطفي لهذه المهمة الخطيرة أكرم خلقه محمدا ﷺ الذي كان القرآن لسان حاله ومقاله، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمـة، وربى قادة آتاهم الله علما وحكما لما انطوت عليه من الإخلاص سرائرهم ولما استجابوا لله

---

[1] العنكبوت : ٥٠ ، ٥١.

[2] آل عمران : ١٠٣.

[3] آل عمران : ١١٠.

وللرسول لما فيه حياتهم، فكانوا بحق منارات يهتدي بها من قصد الهداية وابتغى الرشاد.

ولما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، جاء دور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم في تبليغ هذا القرآن إلى الناس خارج الجزيرة العربية فاندفعوا يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لرفع راية الإسلام لكي ينشروا في أنحاء الأرض الحق والخير، ويحققوا الأمن والسلام .

فدخل كثير من أبناء الأمم المفتوحة في دين الله أفواجا عن عقيدة واقتناع لا عن إكراه وإرهاب، ودخل بعضهم في الإسلام على دخل ونفاق لكي يكيدوا للإسلام وينتقموا لمجدهم الضائع وحضاراتهم البائدة، وهؤلاء وإن كانوا قلة إلا أنهم كانوا خطيرين على الإسلام ورؤوس فتنة بين المسلمين.

فظهر من هؤلاء أمثال عبد الله بن سبأ اليهودي الذي يعد من أئمة الضلال ورؤوس الفساد، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت في المجتمع الإسلامي فئات ومذاهب سياسية ودينية متعددة، فمنهم فريق التحف الإسلام وأبطن الكفر، يحمل بين فكيه لسانا مسلما وبين جنبيه قلبا كافرا مظلما، يحرص كل الحرص على أن يطفئ نور الإسلام ويهدم عز المسلمين، فلم يجد أعونَ له على هذا الغرض السيئ من أن يتناول القرآن بالتحريف والتأويل الفاسد، الذي لا يقوم على أساس من الدين ولا يستند إلى أصل من اللغة، ولا يرتكز على دليل من العقل، فدسوا في تراثنا الإسلامي من أحاديث موضوعة وإسرائيليات وخرافات لا يقبلها العقل، وتأويلات فيها كفر صريح.

ومنهم فريق آخر من المسلمين زعموا أنهم يخدمون الإسلام ويرغبون فيه، فوضعوا أحاديث مكذوبة لا أصل لها في فضائل القرآن الكريم وسُوَرِه.

ومنهم من وضع أحاديث عن ضلالة وتزلف للأمراء.

ومنهم من استباح لنفسه أن يؤيد مذهبه وهواه، بما يقويه فإذا وجد في القرآن ما يخالف مذهبه مال إلى تأويله، وحمّل الآيات ما لا تحتمل.

وفريق آخر أخذ يقوي مذهبه بالدس والوضع في تفسير كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ليكون له دعامة يقيم عليها أصول عقيدته ونزعته، فاتبع هؤلاء أهواءهم، وتعصبوا لمذاهبهم وابتدعوا في دينهم .

كما وجدت أحداث استغلت للدس والوضع كفتنة خلق القرآن، وحركة الشعوبية، والتعصب للجنس واللون أو اللغة أو المكان، وقد استمرت هذه الحركة إلى عصور متأخرة.

وفي ظل هذا الجو الفاسد الموبوء انتشرت في العالم الإسلامي الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمنكرة والشاذة، وعملت الإسرائيليات عملها في تشويه حقائق هذا الدين. ووجدت هذه الأباطيل طريقها إلى تفسير القرآن وحديث رسول الله ﷺ ففي عهد الصحابة رضوان الله عليهم، كان المفسرون منهم يسألون من أسلم من أهل الكتاب، ككعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وتميم الداري وأمثالهم، عما ورد في القرآن مجملا دون تفصيل كالقصص وأخبار الأمم الماضية، وبدء الخلق وأسرار الكون بينما جاء مفصلا في التوراة والإنجيل، وخاصة في سفر التكوين من التوراة، وقد حمل هؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب الكثير من الروايات المكذوبة والخرافات والأباطيل الموجودة في التوراة وشروحها، وكتبهم القديمة التي تلقوها عن أحبارهم ورهبانهم جيلا بعد جيل، ولكن الصحابة كانوا يتحرون الصحة ويتثبتون من هذه المرويات.

ولما جاء عصر التابعين، فقد ظهر فيه الوضع وفشا فيه الكذب فكانوا لا يقبلون حديثا إلا إذا جيئ بسنده وثبت لهم عدالة رواته.

ثم جاء بعد عصر التابعين من جمع التفسير، فأُلفت تفاسير جمعت أقوال النبي ﷺ في التفسير، وأقوال الصحابة والتابعين مع ذكر الأسانيد.

ثم جاء بعد هؤلاء أقوام ألفوا في التفسير فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال غير معزوة إلى قائليها، ولم يتحروا الصحة فيما يروون فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شئ يعتمده، فنقل عنهم من جاء من بعدهم ظانا أن له أصلا، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يُرجَع إليهم في التفسير.

هذا ولقد برهن بنو إسرائيل عبر التاريخ على أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، فبعد أن أخفقوا في تحريف كلام الله وتبديله – أي القرآن لأن الله تولى حفظه ورعايته بنفسه – أخذوا يدسون سمومهم في تراثنا الفكري، ويحملوا كلام الله ما لا يحتمل من حيث المعاني وسيّئ الأفكار، وقد مهروا في هذا الفن مهارة قد تخفى على عامة الناس من المسلمين.

ومهما يكن من أمر هذا الوضع والاختلاق في المرويات، فقد قيض الله لهذه الأمة علماء أوفياء من المفسرين والمحدثين، وعلى مر العصور والأزمان ناهضوا هذه الحركة، وصاروا على النهج القويم، وأناروا سبيل الأجيال من بعدهم فألفوا الكتب وميزوا فيها بين الأصيل والدخيل، وحذروا المسلمين من خطورة هذه الأباطيل.

وفي هذا العصر قام رجال من علماء الأزهر الشريف حملوا على عاتقهم أمانة بيان القرآن، فقدموا مشروع تنقية التراث الإسلامي من الإسرائيليات والروايات الدخيلة في كتب التفسير، وبيان زيفها، والكشف عن عوارها وتحذير المسلمين من الاغترار بها وتصديقها، بعد أن شعر هؤلاء العلماء – جزاهم الله خيرا – بخطورة هذه الخرافات والأساطير على الإسلام والمسلمين.

وقد لاقى هذا المشروع استحسانا وتوفيقا لدى من قيضهم الله للقيام بهذا العمل الجليل فكانت البغية للإدلاء بدلونا في هذا المحراب.

## بواعثنا للقيام بهذا العمل

هناك جملة من البواعث والدواعي والأسباب دعتنا لأن نكتب في هذا المنحى وذاك المنهج، وقد كانت على النحو التالي.

(١) علمنا بحاجة المسلمين الشديدة إلى مثل هذه الدراسة التي تذب عن كتاب الله ما علق بتفسيره من الخرافات والأكاذيب التي كانت بلاء عظيما وشرا مستطيرا، كادت أن تطغى على التفسير الصحيح لكتاب الله، وتخفي الكثير من جلاله وجماله وهدايته، وتشوه حقيقة الإسلام عند كثير من المسلمين وغيرهم.

(٢) إن وجود هذه الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتب التفسير، تظهر الإسلام أمام الباحثين من المستشرقين والمبشرين وأعداء الإسلام، - ولا سيما في هذا العصر الحديث - عصر تقدم العلوم الكونية والمعارف البشرية، بمظهر الدين الساذج الذي يشتمل على الخرافات والترّهات، فقد ذكر بعض المفسرين - سامحهم الله - في بدء الخلق، وأسرار الوجود، وتعليل بعض الظواهر الكونية مثل الرعد والبرق والخسوف والكسوف، وغير ذلك مما يخالف حقائق العلم وسنن الله الكونية، فمثل هذا الركام من الموضوعات والإسرائيليات كانت - ولا زالت - مثار شبهة وتشكيك واعتراضات وتجنيات على الإسلام والقرآن والنبي ﷺ.

(٣) إنها - أي الإسرائيليات - تذهب الثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين، فقد أسندت بعض الإسرائيليات المنكرة إلى نفر ممن عرف بالثقة والعدالة، واشتهر بين المسلمين بالتفسير والحديث، فاتهموا بأبشع الاتهامات، وعدهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين، مدسوسين على الإسلام وأهله.

(٤) إن الاسرائليات كادت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله، وتلهيهم عن التدبر في آياته، والانتفاع بعبره ومواعظه، والبحث عن حكمه وأحكامه، إلى توافه لا خير فيها، وصغائر لا وزن لها مثل الكلام عن لون كلب أهل

الكهف واسمه، وعن عصا سيدنا موسى من أي الشجر كانت، وعن اسم الغلام الذي قتله الخضر، وعن طول سفينة سيدنا نوح عليه السلام وعرضها... وغير ذلك مما لا فائدة فيه، ويعد البحث عنها عبثا محضا ومضيعة للوقت.

(٥) من البواعث أيضا التي دعتنا للكتابة حول هذا الموضوع ما لهذه المرويات الدخيلة من خطر بالغ وشر عظيم، وذلك لأنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوي عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله، وبما فيها من إسرائيليات منكرة، تقدح في عصمة الأنبياء الكرام وتصفهم بما لا يليق، وتصورهم في صورة من استبدت بهم شهواتهم ودفعتهم ملذاتهم إلى قبائح الأفعال، كما روى زورا وبهتانا في قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش، وما رمى به داود من أنه زنى بامرأة قائده أوريا واحتال على قتله، كما ورد في سفر صمويل الإصحاح الحادي عشر، إلى غير ذلك مما هو من صنع زنادقة اليهود والفرس، وأضرابهم من المستشرقين الذين وجدوا في هذا الدخيل المكذوب ما يشبع أهواءهم ويرضي تعصبهم، ويشفي نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه، والذي يعد امتدادا للحروب الصليبية، والتي لا تزال إلى عصرنا هذا تتخذ أشكالا شتى ومظاهر متعددة.

وأنكى من ذلك وأشد، أن أنصاف المتعلمين والمثقفين ممن يتسمون بأسماء المسلمين، وقد فتنوا بالحضارة الغربية، قد تابعوا ساداتهم المستشرقين فيما زعموا، فصاروا أبواقا لهم يبثون السموم بين شباب المسلمين! فكانوا أشد ضررا وأعظم خطرا.

(٦) إن الإسرائيليات كانت وراء انتشار المذاهب الفكرية الهدامة والنحل العقائدية المنحرفة.

(٧) إن تنقية التفاسير مما فيها من خرافات وأباطيل يعطي معنى أخلاقيا ساميا وشعورا نبيلا، وهو الاعتراف بالجميل لهؤلاء السلف الصالح لما بذلوه من جهد، وما

قدموه للإنسانية من فضل وكرم، وذلك لأن تراثنا القديم هـــو تـــاريخ المعاصـــرين وثقافتهم.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذا التراث الإسلامي وإخراجـــه إلى البشـــرية المعاصـــرة واللاحقة لتنعم بخيراته ومنافعه.

هذا وإن القيام على دراسة كتاب الله، وتطهير هذه التفاسير من المرويـــات الدخيلـــة والأساطير يعد من أجل القربات إلى الله تعالى.

(٨) من البواعث التي حفزتني للكتابة حول موضوع الدخيل، ما قمت بـــه مـــن إشراف ومناقشة لعديد من الرسائل العلمية الجامعية لرسالتي الماجستير والـــدكتوراه حول هذا الركام الكثير من الدخيل والإسرائيليات، والمبثوث في ثنايا بعـــض كتـــب التفسير فهالني ما رأيت من خلال ما عايشت.

(٩) في الفترة الأخيرة وقبيل الكتابة حول هذا الموضوع أشرفت على رسالة بعنوان [الرد على ما جاء في كتاب هل القرآن معصوم ؟ ] هذا الكتـــاب المتضـــمن مـــن الشبهات حول القرآن ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ما بلغ أربعين ومائتي شبهة، وطبعي أن عامل الدس والغمز واللمز واضح فيها، كل ذلك بقصد الإساءة إلى الإســـلام كتابا ونبيا وسنة.

لأجل ذلك كله عقدت النية على أن أكتب في هذا المسلك، لنقف على هـــذا الموضوع الذي يسيء إلى تراثنا بقصد وبغير قصد. سائلين المولى – عـــز وجـــل – أن يوفقنا للكتابة في هذا المنحى وذاك المنهج.

* * *

المؤلف

أ.د/ جمعة علي عبد القادر

# منهجنا في الكتابة حول هذا الموضوع

إن الخطة التي سوف نسير على هديها والكتابة في ضوءها، أن نعيش مع القارئ في خطين متوازيين، باكتمالهما تكون الصورة العامة للكتابة حول هذا الموضوع قد اكتملت.

وأول الخطين أن نقوم بمعايشة لهذه الإسرائيليات وقضاياها التي تسلط الضوء الكاشف عليها .

وسوف نوضح ذلك في جملة من المباحث، والتي تترى وتتابع في هذه الصفحات الآتية:-

وبعد ذلك يجئ الخط الثاني في رسم الصورة المتكاملة لهيكل هذا العمل متمثلة هذه الصورة في ضرب نماذج من الدخيل والإسرائيليات في بعض كتب التفسير التي تسلل إليها هذا العمل، الذي وضع الصدأ والران على نفاسة تراثنا الإسلامي، وباكتمال الخطين لمنهج الكتابة، نكون قد وضعنا القارئ على عتبات هذا الطريق، فإذا ما أتى آت بعدنا وقد واصل السير فيه – وكل مأجور بحسب نيته واجتهاده – يكون قد وقف على هذا الطريق، وها هي مباحث الخط الأول الذي وعدنا القارئ بالكتابة حولها.

مباحث الخط الأول

المبحث الأول: معنى الدخيل لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني : معنى الإسرائيليات لغة واصطلاحا.

المبحث الثالث : العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات.

المبحث الرابع : سبب وجود الدخيل والإسرائيليات وانتشارهما.

المبحث الخامس : بعض من اشتهر برواية الإسرائيليات بعد التابعين.

المبحث السادس : جهود العلماء في إبطال الإسرائيليات والرد عليها.

المبحث السابع : أقسام الدخيل.

المبحث الثامن : أقسام الإسرائيليات باعتبار السند.

المبحث التاسع : الإسرائيليات باعتبار الموافقة أو المخالفة لشريعتنا.

المبحث العاشر : الإسرائيليات باعتبار موضوعها.

المبحث الحادي عشر : أثر الدخيل والإسرائيليات في التفسير وفي المسلمين.

المبحث الثاني عشر : حكم رواية الإسرائيليات.

المبحث الثالث عشر : موقف الصحابة من الإسرائيليات، وأشهر من عرف بروايتها منهم.

المبحث الرابع عشر : موقف التابعين من الإسرائيليات، وأشهر من عرف بروايتها منهم.

المبحث الخامس عشر : طرق المرويات الضعيفة والواهية في أسباب النزول.

المبحث السادس عشر : حديث أبي في فضائل السور.

المبحث السابع عشر : كتب التفسير ورواية الإسرائيليات.

المبحث الثامن عشر : الداء والدواء.

تلك هي مباحث الخط الأول.

## مباحث الخط الثاني

أما مباحث الخط الثاني فتتمثل فيما يأتي؛

المبحث التاسع عشر : ما جاء من الدخيل في تفسير البغوي.

المبحث العشرون : ما جاء من الدخيل في تفسير كل من الدر المنثور للسيوطي وابن جرير الطبري حول قصة هاروت وماروت.

المبحث الحادي والعشرون : الدخيل في تفسير التبيان للطوسي.

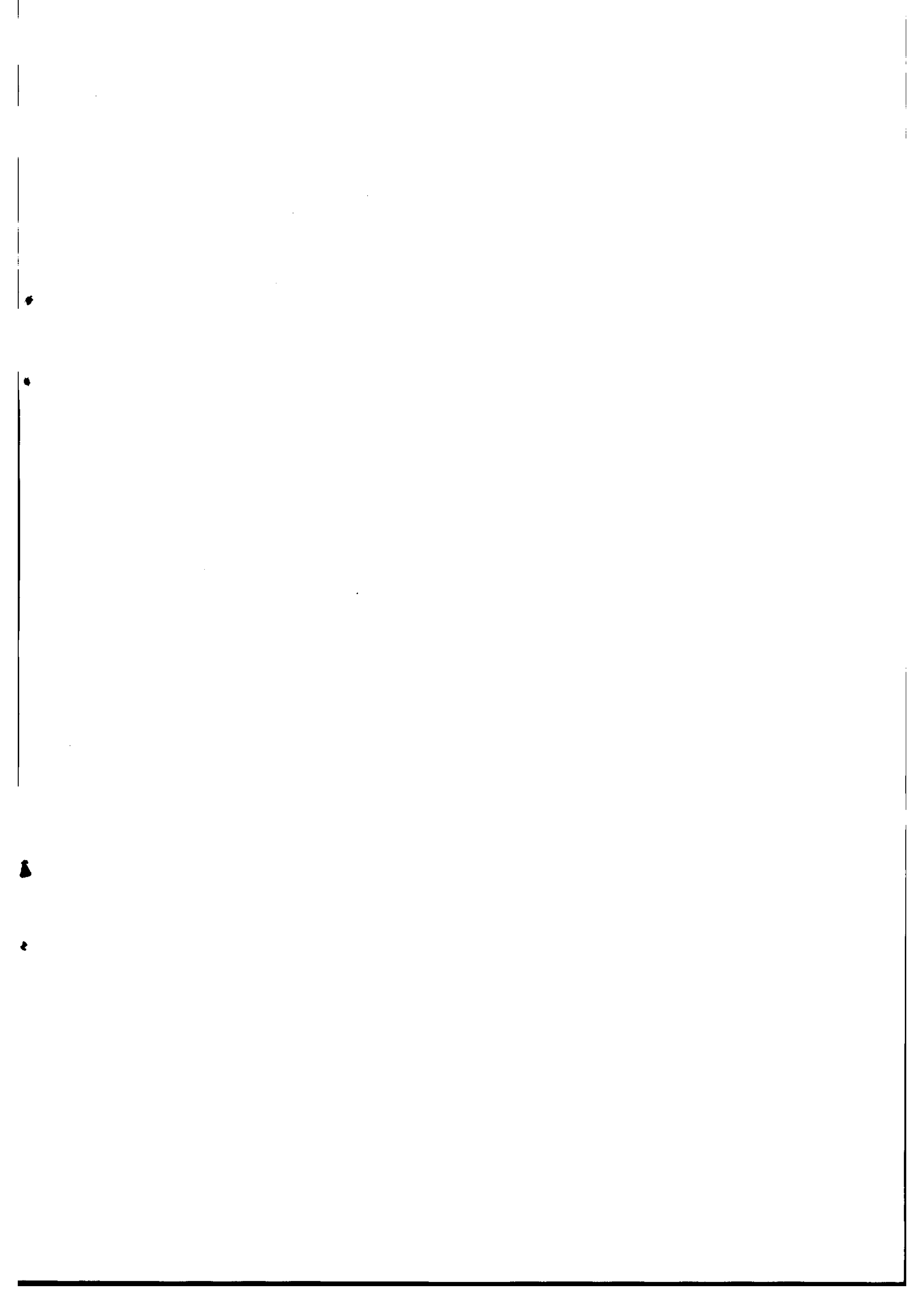
المبحث الثاني والعشرون : حول الإسرائيليات التي قيلت في " المائدة التي طلبها الحواريون" كما ذكرها ابن أبي حاتم نقلا عن ابن كثير وتعليق أبو شهبة عليها.

المبحث الثالث والعشرون : الدخيل في تفسير فتح القدير للشوكاني حول ما جاء في تفسير هاتين الآيتين ٤٨ ، ٤٩ من سورة الأعراف، وكذا الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

المبحث الرابع والعشرون: حول ( ما جاء من الدخيل في تفسير جامع البيان للطبري )

المبحث الخامس والعشرون : حول ما جاء من الدخيل في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

المبحث السادس والعشرون : وبه تكتمل مباحث الكتاب إن شاء الله وهو بعنوان ( الدخيل في تفسير ابن أبي حاتم )



# المبحث الأول

# معنى الدخيل لغة واصطلاحا

## الدخيل في اللغة:

يقابل الأصيل ويضاده فيقال: رجل أصيل، أي له أصل، أو ثابت الرأي عاقل، يقال: فلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم فيدخل فيهم.

فالدخيل: هو الأمر الطارئ الذي تسلل إلى غيره من خارجه، ولا يتوافق مع ما طرأ عليه.

وقالت معاجم اللغة: من معاني الدخيل: كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه، ومن مادته الدخل، ومن معانيه الفساد والخلل والغدر والمكر والخديعة والدعوى في النسب، والطائر الصغير وذوائب الفرس .....

## وأما الأصيل لغة:

فقد قال صاحب المصباح المنير: أصل الشئ أسفله، وأساس الحائط أصله، واستأصل الشئ ثبت أصله وقوى، ثم كثر حتى قيل: أصل كل شئ ما يستند وجود ذلك الشئ إليه، فالأب أصل الولد، والنهر أصل للجدول......

وقال أيضا: فلان دخيل بين القوم، أي ليس من نسبهم بل هو نزيل عليهم [1]

---

[1] انظر : لسان العرب ، لابن منظور، مادة دخل ، ٢٤٣/١١، ط : دار صادر، بيروت ، بدون تاريخ وانظر : أساس البلاغة، للزمخشري، ١٨٤/١، ط دار صادر، بيروت ، ١٩٧٩م ، وتاج العروس، ٣٢٠/٧، ٣٢١، ط المطبعة الخيرية بمصر، سنة ١٣٠٨هـ ، المعجم الوسيط ٢٧٥/٢ـ ٢٧٦، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، والدخيل في الإسرائيليات في تفسير ابن جرير الطبري ، الأجزاء ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، د/ إبراهيم بركة.

مما تقدم يتبين لنا – بوضوح – أن الأصيل لغة: هو الذي له أصل ثابت.

وأما الدخيل فهو الوافد الذي تسلل من الخارج وليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه [1]

## أما في اصطلاح علماء التفسير والدراسات القرآنية.

فيمكن أن نقول: إن الأصيل – في هذا المجال– هو التفسير الذي له أصل في الدين، ويستمد روحه ومقوماته من كتاب الله تعالى، أو من سنة الرسول ﷺ ، أو من أقوال الصحابة والتابعين وما إلى ذلك.

وأما الدخيل: فهو التفسير الذي لا أصل له في الدين، على معنى أنه تسلل إلى رحاب تفسير القرآن الكريم على حين غرة وغفلة من الزمن، بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ [2]

وهذا التعريف يشتمل على ما كان من جهة التفسير بالمنقول، وما كان من جهة التفسير بالرأي.

فما كان من جهة التفسير بالمنقول نوعان:

(١) الإسرائيليات المخالفة لما ورد في القرآن الكريم أو السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ بسند صحيح أو حسن، وكذلك الإسرائيليات التي ليس لها في الكتاب ولا في السنة الصالحة للحجية موافقة ولا مخالفة .

---

(١) انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ١٢/١ـ ١٣ ، د/ عبد الوهاب فايد ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م.

(٢) انظر الدخيل والإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم، صفحة ١٢، للدكتور/ سمير شليوة ، ط مطبعة الجبلاوي، مصر، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م ، والدخيل في تفسير القرآن الكريم ، ١٣/١، د/ عبد الوهاب فايد ، والدخيل والإسرائيليات في تفسير ابن جرير الطبري ٣٧/١، د/ إبراهيم بركة ، مخطوطة.

(٢) الأحاديث الموضوعة سواء ما كان منها في تفسير النص القرآني، أم كان في بيان فضائله.

وأما ما كان من جهة التفسير بالرأي:

فهو ما كان ناشئا عن رأي فاسد، سواء أكان مستندُ هذا الرأي والباعث عليه هو توجيه المعقول وجهة منحرفة، والسير به على درب غير مستقيم، بأن يحكم العقل أو يتحاكم إليه فيما ليس الحكم فيه للعقل، أم أن يظن خطأً أن في ظاهر منطوق النص مخالفة لمقتضى العقل، فيؤول النص ويطرح ظاهره لأجل هذا الظن الخـاطئ، مـع أن الحقيقة وواقع الأمر أنه لا مخالفة أصلا بين الظاهر ومقتضى العقل، وبالتالي لا حاجـة بالمرة إلى التأويل[١]

وقد تسرب هذا الدخيل إلى الدين عامة، وإلى التفسير خاصة نتيجة لـدوافع خارجية وأخرى داخلية أدت إليه .

فالجانب الخارجي يتمثل في أعداء الإسلام الحاقدين من اليهـود والنصـارى والمجوس ومن على شاكلتهم، الذين قصدوا إفساد الإسلام وتشويه تعاليمـه، انتقامـا لأمجادهم الغابرة وحضارتهم الزائفة، وذلك بدس خرافاتهم وترهاتهم وأباطيلهم حـول القرآن الكريم، لفتنة المسلمين في دينهم، وزعزعة ثقتهم وإيمانهم بكتاب ربهم، وتفتيت وحدة الأمة الإسلامية التي أرسى قواعدها الرسول ﷺ.

ولعل شرذَمة الأمة ما زال أملا يراود أحلام أعداء الأمة منذ ذلك الزمن، وما يحدث الآن يصب في ذلك الهدف الذي يسعى إليه أعداء الأمة.

وأما الجانب الداخلي: فيتمثل في طوائف معينة انتسـبت إلى الإسـلام زورا، ولكنها في الحقيقة تمت بصلة وثيقة إلى أعداء الإسلام السابقين، ومن هنا أدلت هذه

---

[١] انظر الدخيل في التفسير، صفحة ١، للدكتور إبراهيم خليفة، مذكرة مقررة على طلبة السنة الرابعة في كلية أصول الدين ، قسم التفسير وعلوم القرآن ، جامعة الأزهر.

الطوائف بدلوها أيضا في التشويش والـ ـريه على القرآن الكريم بنشر الخرافات والأباطيل حوله، وتفسيره تفسيرا منحرفا لا يرتضيه الدين وقيمه ومبادئه، كل ذلك تمشيا وانسجاما مع المخطط الهدام الذي رسمه لهم أعداء الإسلام – من اليهود والنصارى والمجوس – للقضاء على الإسلام وتحطيم عقائده [1].

ولعل ظهور الفرق الباطنية المنحرفة قديما وحديثا، نتيجة لهذا التخطيط، ويحاول اليوم أعداء الإسلام ما بدأوا به بالأمس، وها هي فرق الباطنية الملحدة تطل برأسها من جديد، بأسماءَ محببة وعقائد فاسدة ملوثة، في دعوة صريحة إلى تكفير أشهر علماء الأمة، وتفسيق السادة الكرام من الصحابة والتابعين، بل إن شخص سيدنا رسول الله ﷺ ليس له عندهم الإجلال والاحترام. والولاء عندهم فقط لسادهم المخططين لمذهبهم الهدام.

وهكذا فقد حاول هؤلاء وأولئك دس سمومهم وأقوالهم الباطلة في تعاليم القرآن وفي تفسيراته، بعد أن عجزوا عن تحريف نصه لحفظ الله تعالى له.

فنشأت ظروف جديدة أسفرت عن وضع الحديث والافتراء على سيدنا محمد ﷺ، ولا سيما بعد وقوع الفتنة الأولى التي ابتلي بها المسلمون، ثم ما أقدم عليه أدعياء التصوف والزهاد والعباد – ربما بحسن نية – وبعض العلماء المتزلفين للحكام – عن سوء حال وطوية – والزنادقة الموتورون، والشعوبية الحاقدة من وضع للحديث لخدمة أهدافهم في فتنة الناس في دينهم وكتاب ربهم وتشكيكهم في معتقداهم.

---

[1] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ١/١٤ ، د/ عبد الوهاب فايد.

كل ذلك تجمع وتسلل إلى رحاب تعاليم الإسلام من تفسير للقرآن الكريم أو قول للرسول ﷺ ، والذي يتخذ اليوم صورا وأشكالا وأساليب متعددة، وبتخطيط أدق وبمكر أشمل، وخبث أعمق، وبإمكانيات أعظم.

ولكن ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ كره الكافرون ﴾ [1]
﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [2] .

---

[1] التوبة : ٣٢

[2] الأنفال : ٣٠

# المبحث الثاني

# في معنى الإسرائيليات لغة واصطلاحا

يقول الدكتور صابر طعيمة: الإسرائيليات جمع إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل [1] وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم الصلاة والسلام أبو الأسباط الإثني عشر – وإليه ينسب اليهود.

فيقال: بنو إسرائيل وهو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من موضع.

وأرى أن النسبة فيها ليست لإسرائيل النبي الكريم، لأن الإسرائيليات أصبحت علما بالغلبة على الروايات والقصص والأخبار الكاذبة والأساطير الملفقة، وهذا مما ينزه النبي الكريم عن نسبته إليه، وإنما النسبة في مثل هذا تكون إلى بني إسرائيل، أي إلى عجز المركب الإضافي للتمييز، كما يقال في النسبة لعبد الدار (داري)، ولبني العباس (عباسي) . . . . . وهكذا.

وهذا أليق بالنبي الكريم، ويتفق مع الواقع، فإن الأكاذيب والأساطير صدرت عن بني إسرائيل وليست من أبيهم يعقوب عليه السلام.

## الإسرائيليات في الاصطلاح :

---

[1] انظر التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه، صفحة ٢٨، للدكتور صابر طعيمة، طبعة دار الجيل، بيروت ١٩٧٩م.

وانظر الإسرائيليات في التفسير ، صفحة ١٩، للدكتور/محمد حسين الذهبي.

ـ وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من "إسرا " بمعنى عبد أو صفوة ، و "إيل" بمعنى الله، فيكون معنى إسرائيل "عبد الله" وذهب بعضهم إلى أن إسرائيل هو لقب يعقوب ـ عليه السلام ـ ومعناه : الأمير المجاهد مع الله ، انظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة، للدكتور/ سيد طنطاوي ، صفحة ٦ ، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين القاهرة ١٩٦٨م.

وأما الإسرائيليات في اصطلاح علماء التفسير فهي: مجموع القصص والأخبار التي تسللت إلى ثقافة المسلمين عن طريق أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأغلب هذه الإسرائيليات تتعلق بما جرى للأولين، وبما حدث للأنبياء والمرسلين، ولا تخلو من تناقض وتهافت وكذب وافتراء، لأنها مستمدة من التوراة والإنجيل، وهما قد أصابهما التحريف والتبديل. [1]

وإذا تتبعنا تعريفات العلماء [2] لهذه اللفظة (إسرائيليات) سنجدها متوافقة على شموليتها لكل ما كان مصدره ثقافات أهل الكتاب من يهود ونصارى [3].

وهذه التعريفات منها ما يقصر (الإسرائيليات) على ما جاءنا عن اليهود والنصارى من أخبار كاذبة فقط، ومنها ما يتوسع أصحابها فيطلقونها على كل الإضافات التي تسربت إلى الفكر الإسلامي من الفلسفة اليونانية والهندية والديانات

---

[1] انظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ، صفحة ١٧٨، للدكتور عبد الوهاب فايد ، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م.

[2] انظر السيادة العربية والشيعية والإسرائيلية في عهد بني أمية، صفحة ١٠٩، للأستاذ لفان فلوتن، ترجمة وتعليق د/ حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م

ـ دائرة المعارف الإسلامية ، صفحة ٣١٥ ، مادة تفسير

ـ الاتجاهات الفكرية في التفسير ، صفحة ٢٣٩ ، للدكتور/ الشحات سيد زغلول ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، صفحة ١٣، للدكتور/ محمد محمد أبو شهبة.

ـ التفسير والمفسرون ، للشيخ الذهبي ١/١٦٥.

ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث، للشيخ محمد حسين الذهبي، صفحة ١٩، طبعة مجمع البحوث الإسلامية.

[3] تتمثل ثقافة اليهود في كتبهم كالتوراة والأسفار والتلمود والزبور وشروحها المختلفة وتتمثل ثقافة النصارى في الكتاب المقدس الذي يشتمل على الأناجيل الأربعة والتوراة وشروحها المختلفة.

الفارسية . . . . وغيرها مما كون حصيلة ضخمة نفذ منها أعداء الإسلام لتحويل الأنظار عن مضامنه وإتاحة الفرصة لمفاهيم الوثنية والثنائية والتثليث أن تنتشر [٤].

وممن صار في هذا الاتجاه وتوسع في مفهوم الإسرائيليات الدكتور رمزي نعناعة، حيث قال: والنهج الذي نسير عليه في بحثنا هو أخذ اللفظ بمفهومه الواسع، بحيث يشمل كل دخيل في التفسير، وخاصة ما فيه مبالغة ودس وكذب ولو كان مرويا عن غير الإسرائيليين، أو متعلقا بقصص غير إسرائيلي [١]، واعتبروا في عداد الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، من باب التغليب للّون اليهودية على غيره، لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي [٢].

وأرى أن يقتصر بلفظة (إسرائيليات) على ما كان مصدره أهل الكتاب من يهود ونصارى، إذ أن هناك روايات موضوعة وأخبار ضعيفة لكذب ناقليها أو لجهالتهم.

كما أن هناك آراء تفسيرية زائفة تحمل بين ثناياها إشارات الانحراف عن المنهج القويم، الذي رسمه لنا القرآن الكريم والسنة الصحيحة، فهي أقرب إلى الدخيل منها إلى الإسرائيليات .

والله أعلم

* * *

[٤] انظر الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، صفحة ٣٢٣ للأستاذ أنور الجندي، طبعة دار الاعتصام، القاهرة ، وانظر : الدخيل في تفسير القرآن الكريم ١/١٠٩ د/ عبد الوهاب فايد.

[١] انظر الإسرائيليات في التفسير صفحة ٧٤ للدكتور/ رمزي نعناعة ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت .

[٢] انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث صفحة ٢٠ ــ ٢٢ للدكتور/ محمد حسين الذهبي.

# المبحث الثالث

# العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات

العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات هى العموم والخصوص المطلق، فالدخيل اعم من الإسرائيليات ويشتمل أنواعا كثيرة منها:

(١) الإسرئيليات في التفسير.

(٢) الأحاديث الموضوعة والضعيفة في التفسير.

(٣) تأويلات الباطنية في التفسير، وهي فرقة من غلاة الشيعة، يعتقدون مبادئ هدامة استمدوها من عقائد المجوس والوثنيين.

(٤) بدع التفاسير اللغوية الخاطئة والتي لا سند لها من الدين، ولا من اللغة العربية، والتي تسللت إلى التفسير عن طريق اللغة باعتبار أنها مصدر من مصادره.

(٥) تحريفات الفرق الكافرة كالبهائية والقاديانية، وهي فرق وطوائف ظهرت مؤخرا على المسرح الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، وتشترك جميعها في معتقدات شاذة وآراء منحرفة تحت ستار الاجتهاد في الدين أو تجديد الدين، وفي الحقيقة لا صلة تربطهم بالإسلام.

(٦) شطحات [1] المتصوفة في التفسير، والمتصوفة بالنسبة لتفسير القرآن الكريم فريقان.

---

[1] قال صاحب القاموس المحيط ١/٣٤٢ : شطح ـ بالكسر وتشديد الطاء ـ زجر للعريض من أولاد المعز، وورد في المعجم الوسيط ١/٤٨٢ : " شطح" في السير أو القول ، أي تباعد واسترسل ، ويبدو أن هذا اللفظ من الألفاظ المولدة، وهي من الألفاظ التي استعملها الناس قديما بعد عصر الرواية .

الأول: فريق المعتدلين، الذين يفسرون القرآن تفسيرا إشاريا لا يصطدم مع اللغة أو الدين، ولا يهملون – مع ذلك – التفسير الظاهري للقرآن الكريم، وهذا الفريق من المتصوفة قد يكون كلامهم مقبولا في تفسير القرآن الكريم.

الثاني: فريق المشعوذين، وهم الذين يشطحون في المعاني والأفكار ويخوضون في خضم الرموز والألفاظ، ويتكلمون في جو يسوده الغموض والإبهام، وتفسيرهم لا يمت إلى الشرع ولا إلى اللغة بصلة، ومن ثم نستطيع أن نقول: إن شطحات هؤلاء في التفسير لون من ألوان الدخيل [1]

(٧) شطحات بعض المفسرين العصريين في تفسير القرآن الكريم، كالخروج بالآية عن ظاهرها ومعناها وسياقها، وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني والأفكار.

فالعلاقة إذا بين الدخيل والإسرائيليات هي العموم والخصوص المطلق، فكل الإسرائيليات دخيل وليس كل دخيل إسرائيليات [2].

* * *

[1] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، د/ عبد الوهاب فايد ١/١٠٦

[2] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، د/ عبد الوهاب فايد ١/١٠٢ وانظر الدخيل والإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم ، صفحة ٢١ للدكتور سمير شليوة .

# المبحث الرابع

# سبب وجود الدخيل والإسرائيليات وانتشارهما

هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وكان يعيش فيها ثلاثة قبائل من اليهود، وهم؛ بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، فدعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام، لكنهم أبوا إلا الكفر والعناد وإضمار السوء والحقد والحسد، بل وإظهار العداوة والبغضاء.

ومنذ اللحظة الأولى لمقدم الرسول ﷺ إلى المدينة ، كثرت منهم المناقشات والمجادلات في أمور كثيرة مع الرسول ﷺ ، ومن المعلوم أن اليهود كانوا على إحدى الديانات السماوية التي دخلت الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، وأقاموا مستعمرات لهم في تيماء [١] وفدك [٢] ووادي القرى [٣] ويثرب [٤] وغيرها.

وكان لليهود ثقافتهم المميزة، والتي كانت ترتكز على التوراة والتلمود [٥]

وكما عُرفت اليهودية في الجزيرة العربية، عُرفت النصرانية أيضا، فكانت شائعة في إمارة الغساسنة في الشام وبين سكان الحيرة في العراق، وكانت لهم ثقافتهم الدينية التي تعتمد على الأناجيل وشروحها، والتي اختلطت بشئ من فلسفة الإغريق واليونان [٦].

ولقد خالط العرب اليهود والنصارى في الجاهلية، وتأثروا بهم، خاصة وهم أميون فتهود نفر قليل من الأوس والخزرج، وهما من أشهر القبائل العربية.

---

(١) تيماء : بلد بين الشام ووادي القرى.

(٢) فدك : قرية بالحجاز تبعد عن المدينة المنورة مسيرة يومين.

(٣) وادي القرى : واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة ، كثير القرى ، فتح عنوة

(٤) يثرب : اسم من أسماء المدينة المنورة قبل الإسلام ( انظر معجم البلدان ).

(٥) انظر ضحى الإسلام ــ أحمد أمين ٣٢٩/١ ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م.

(٦) انظر الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي صفحة ٨١ للدكتور/ محمد البهي ، طبعة القاهرة.

وكان العرب يرون أن اليهود والنصارى هم أهل العلم والدين، فلما أسلموا ونزل عليهم القرآن الكريم بقصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة، وكانت له طريقته الفذة الحكيمة بالاقتصار في ذلك على موضع العظة والعبرة ومكمن الفائدة، وكان المسلمون آنذاك في ذروة الطاعة، والانقياد للرسول ﷺ ، فلم يحتاجوا إلى التوسع في القصص والأخبار، خاصة وهم مشغولون بالجهاد في سبيل الله وحفظ القرآن الكريم، هذا ولم يُسلم من أحبار اليهود في عصر الرسول ﷺ سوى رجلين:

أحدهما : عبد الله بن سلام الذي قال عنه سعد بن أبي وقاص: "ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل ﴾ .." [(١)]

والآخر هو: مخيريق الذي استشهد يوم أحد، وأوصى بأمواله للرسول ﷺ فقال ﷺ : "مخيريق خير يهود" [(٢)]

ولكن ما أكثر الذين دخلوا في الإسلام نفاقا من أحبار اليهود في المدينة، ومن هؤلاء الأحبار من أسلم ثم ارتد عن الإسلام وهو ابن صوريا [(٣)]

ولما جاء وفد نصارى نجران إلى الرسول ﷺ في المدينة، دعاهم ﷺ إلى الإسلام، ولكنهم أبوا إلا الكفر والعناد، وأثاروا أمام الرسول ﷺ مناقشات بيزنطية حول حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام ، هل هو إله؟ أو ابن إله؟ أو ثالث ثلاثة ؟ فبين لهم الرسول ﷺ بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن عيسى بن مريم ما هو إلا رسول قد خلت من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، عن سعد بن أبي وقاص في باب مناقب عبد الله بن سلام ١١٠/٥ والآية من سورة الأحقاف : ١٠

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٤٠/٢ تحقيق محي الدين عبد الحميد ، طبعة المكتب التجاري ، القاهرة ١٣٥٦هـ ــ ١٩٣٧م

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٤٩/٢.

قبله الرسل . هذا ولم يُسلم من رهبان النصارى على عهد الرسول ﷺ إلا تميم الداري الذي أثنى عليه الرسول ﷺ [1].

وبعد وفاة الرسول ﷺ كثر الاحتكاك الفكري بين المسلمين وأهل الكتاب وغيرهم، خاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية في عصر الصحابة والتابعين ودخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام، إلا أن بعض هؤلاء قد دخل في الإسلام نفاقا للكيد للإسلام والتشويش على حقائقه وعقائده، وإثارة الفتنة وبث الفرقة بين المسلمين.

وقد نجح هؤلاء المنافقون – إلى حد ما – في تنفيذ مآربهم الخبيثة ضد الإسلام والمسلمين.

فمن الناحية العملية: انتهز أعداء الإسلام من المنافقين والزنادقة واليهود، سماحة السيد الحيي عثمان بن عفان ﷺ ودماثة خلقه فبذروا البذور الأولى للفتنة، إذ استطاع عبد الله بن سبأ اليهودي أن يؤلب الناس على قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ ، فقتلته الغوغاء وشُذاذ الآفاق بتدبير وإشراف، بل ومشاركة ابن سبأ اليهودي الخبيث.

ومنذ ذلك الحين فُتح باب الفتنة على مصراعيه أمام المسلمين ولم يغلق إلى وقتنا هذا [2].

وقد أخفى ابن سبأ [3] هذه السموم التي كان ينفثها تحت ستار التشيع، وحب سيدنا علي بن أبي طالب وآل البيت الكرام، زاعما أن عليا – كرم الله وجهه – هو وصي النبي ﷺ ، والأحق بالخلافة حتى من أبي بكر وعمر – رضى الله عنهما – ووضع افتراءا علي النبي ﷺ أحاديث كثيرة في ذلك، وفي غيره.

---

[1] صحيح مسلم ، من حديث فاطمة بنت قيس ، في كتاب الفتن وأشراط الساعة ٧٩٩/٥ ، حديث رقم ١١١، والدخيل في تفسير القرآن الكريم د/ عبد الوهاب فايد ١١٩/١.

[2] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ١٢٠/١ د/ عبد الوهاب فايد

[3] هو واحد من غلاة الزنادقة ، ضال مضل ، أحسب أن عليا حرقه بالنار، انظر ميزان الاعتدال للذهبي ١٤٠/٣.

ولما فترت الفتوح الإسلامية بعد عصر الراشدين خاصة، وجد الناس سعة من العيش والراحة، فأخذوا يتشوقون إلى معرفة ما طوى عنهم من فضول القصص وزوائد الأخبار.

يقول ابن خلدون : إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شئ مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسباب الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى [١].

كما أن حب العرب بعد عصر الصحابة – لمعرفة تلك التفصيلات التي سكت عنها القرآن الكريم لعدم فائدها، والتي امتلأت بها التوراة والإنجيل اللذان بأيدي أهل الكتاب، والتي تسربت بعد ذلك إلى علم التفسير، أثر كبير في نشر هذه الإسرائيليات[٢]، ولا سيما في عصر التابعين ومن جاء بعدهم، حيث ضعفت الخاصية التي كانت في العصر الأول وهي التثبت والتحري في الحديث، ففشا الكذب على رسول الله ﷺ وبعض صحابته، فبعد أن كان الخلفاء الراشدون المهديون يدعون إلى التحوط والتثبت في الروايات، أضحى الأمراء والخلفاء في شغل عن ذلك بأمور الملك والسياسة.

وأما من الناحية الفكرية: فقد قام منافقون من أهل الكتاب بإدخال الإسرائيليات "ومعظمها خرافات وأساطير" إلى المجتمع الإسلامي وفكره الرشيد، ليشوهوا جمال الإسلام وقيمه الفكرية، وما يمثله هذا الدين من دعوة إلى الرقي

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون صفحة ٤٠٤ ، ط دار الشعب ، مصر

(٢) انظر ضحى الإسلام ــ أحمد أمين ٣٣٤/١ ، بتصرف يسير ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦١م.

والتحضر والأخذ بأسباب التطور والتقدم، ووجد - للأسف - من المسلمين من يتهافت على نقل هذه الإسرائيليات عنهم، فانتقلت بين المسلمين جيلا إثر جيل.

بل نستطيع أن نقول: إن أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام صادقين أو منافقين ولا سيما الأحبار والرهبان، كانوا في عصر الصحابة والتابعين مصدرا من أهم المصادر التي أدخلت الإسرائيليات إلى ثقافة المسلمين، ومن ثم تسلل جزء منها إلى التفسير[1]

يضاف إلى ذلك أن المفسرين - منذ العصور الأولى للتفسير - لاحظوا أن القرآن الكريم يشترك مع التوراة والإنجيل في التعرض لأخبار الأولين، وقصص السابقين، إلا أن منهج القرآن الكريم يتميز بالإجمال، ويركز في القصص على مواطن العظات والعبرة، ولم يُعنَ القرآن كثيرا بالتفاصيل والجزئيات.

أما التوراة والإنجيل فهما - على العكس من ذلك - يسرفان في التفاصيل، ويستطردان في القصص إلى الجزئيات، ومن ثم كان بعض هؤلاء المفسرين - بحكم غريزة حب الاسطلاع - يحاولون أن يتعرفوا من مُسلِمة أهل الكتاب على هذه التفاصيل والجزئيات [2].

ويُرجع ابن خلدون إقبال المسلمين على أهل الكتاب في نقل هذه الإسرائيليات إلى اعتبارات اجتماعية ودينية.

فالاعتبارات الاجتماعية هي: أن العرب كانوا أمة أمية، يغلب عليها طابع البداوة وكانوا يتطلعون إلى معرفة شئ عن بدء الخليقة وأنباء القرون الأولى، فلجئوا إلى أهل الكتاب يلتمسون منهم ذلك.

---

(1) انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ١٢٠/١ ، د/ عبد الوهاب فايد

(2) انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ١٢٠/١ ــ ١٢١ ، د/ عبد الوهاب فايد .

والاعتبارات الدينية هي: أن هذه الأخبار التي أُخذت عن أهل الكتاب لا تمت إلى جوهر الدين الإسلامي وعقائده الأساسية وأحكامه الشرعية، وحيث كان جوهر الدين بعيدا عن هذا كله ومصونا، فلا حرج حينئذ من رواية مثل هذه الأخبار التي تتعلق بقصص الأولين وأنباء السابقين ، ومن هنا دخلت الإسرائيليات في كتب التفسير [1].

كما أنه كان لدخول جماعات من علماء اليهود في الإسلام كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهم، وتميم الداري من النصارى أثر عظيم في ازدياد رغبة المسلمين في معرفة أخبارهم، وتشوقهم إلى معرفة تلك التفصيلات التي سكت عنها القرآن الكريم، لاعتقادهم أن التوراة فيها هدى ونور، وهي كتاب سماوي [2].

ويروي الإمام الذهبي: أن كعب الأحبار جالس أصحاب النبي محمد ﷺ ، وكان يحدثهم من الكتب الإسرائيلية، ويحفظ العجائب [3].

ثم قال عنه أيضا: وكان خبيرا بكتب اليهودية، وله ذوق في معرفة صحيحها من باطلها [4].

حتى إن الإمام ابن كثير – بعد أن ساق طائفة من الأخبار في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام – قال: والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى، فيما نقلاه إلى هذه

---

(1) انظر مقدمة ابن خلدون ٢٥٢/١ وانظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم صفحة ١٧٨ ـــ ١٧٩ للدكتور/ عبد الوهاب فايد

(2) انظر الملل والنحل للشهرستاني ، صفحة ٤٨٨ ، تحقيق الدكتور/ محمد فتح الله بدران ، مطبعة الأزهر ١٩٥٥م.

(3) انظر سير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣ ـــ ٤٩٠ ، للإمام شمس الدين الذهبي.

(4) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحات .

الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد [1] والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله تعالى عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ [2].

وبجانب هذه الأسباب - الأسباب التي أدت إلى تسلل الدخيل عموما وفي الحديث خصوصا- كانت هناك أسباب أخرى ساهمت في تسلل الدخيل والإسرائيليات بوجه عام، وفي الوضع في الحديث بوجه خاص وتتمثل في الأمور التالية.

أولا: الخلافات السياسية :

بمجرد إلقاء حرب صفين أوزارها، انقسم الناس إلى فرق ثلاث؛

فرقة: خرجت على علي كرم الله وجهه، واعتزلته لقبوله مبدأ التحكيم، وأخرى جددت بيعتها له على أن تكون سلما لمن سالم وحربا لمن حارب، والثالثة أتباع معاوية الذين رفعوا المصاحف.

هذا بالإضافة إلى وجود طائفة اعتزلت الفتنة مثل ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما.

ثم تطورت هذه الفرق فيما بعد حتى اشتهرت بالخوارج، والشيعة، والمروانية أو أهل الشام، وأهل السنة والجماعة، وقد كان للجهلة من مقلدي هذه الطوائف ومن لا خلاق لهم، أثر في وضع الحديث انتصارا لآرائهم ومذاهبهم.

قال الرامهرمزي: حدثني الحسين بن عبد الله الجشمي، (من ولد مالك بن جشم)، حدثنا عبيد بن هشام، حدثنا عبيد بن عمر، عن عبد الكريم قال: قال لي رجل

---

(1) الأوابد : الأمور المعيبة والمصائب ، انظر المعجم الوسيط ١٠٠٨/٢.

(2) انظر تفسير ابن كثير ٣ ٣٦٦ . ط عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

من الخوارج: إن هذا الحديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا [1].

والخوارج: جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق، وأعلن عصيانه وألب عليه [2] ، فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان على التابعين من بعدهم بإحسان، أو الأئمة في كل زمان [3].

وعند الإطلاق يقصد بهم القوم الذين خرجوا على الإمام علي كرم الله وجهه في موقعة صفين عقب قبوله التحكيم، وتجمع آراء الخوارج في القول بتكفير علي كرم الله وجهه[4] والتبرئ من عثمان وعلي وأصحاب الجمل والحكمين رضي الله عنهم، وكذلك من رضى بالتحكيم.

ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا [5].

كما أن هناك مسائل اختلفوا فيها كانت سببا في تعدد فرقهم، وكلها تدور في ظل هذه الأصول التي بنوا عليها مذهبهم.

هذه أهم المسائل التي انفردوا بها، وعليها قام مذهبهم.

أما ما يتعلق بالمذاهب العَقَدية فلم يكن لهم فيها مذهب مستقل، وإنما يتفقون مع بعض الفرق الإسلامية في عقائدهم ،

---

(1) اللالئ المصنوعة ، للسيوطي ٣٨٩/٢ ، وكتاب المحدث الفاضل صفحة ٤١٥ ــ ٤١٦.

(2) انظر هامش مقالات الإسلاميين ، لمحي الدين عبد الحميد ١٦٧/١.

(3) انظر الملل والنحل ، للشهرستاني ١١٤/١.

(4) انظر هامش مقالات الإسلاميين ١٦٧/١.

(5) انظر الملل والنحل ، للشهرستاني ١١٥/١.

فهم يقولون بخلق القرآن، والقدر، وأن الإمامة لا تختص بقريش وغير ذلك [1]
وتختلف نظرة الباحثين في دور الخوارج في وضع الحديث إلى فريقين؛

الفريق الأول:

يرى أن الخوارج كغيرهم من الفرق الإسلامية، كان لبعض جهلتهم والمتعصبين منهم دور في الكذب على رسول الله ﷺ ، انتصارا أو تعصبا للآراء التي ينتحلونها .

الفريق الثاني:

ويرى هذا الفريق أن الخوارج لم يكن لهم دور في وضع الحديث، ولم يقم دليل يثبت به أنهم وضعوا الحديث، وقد صور هذا الرأي أصدق تصوير الدكتور عجاج الخطيب فقال: إلا أننا لم نجد دليلا يثبت عليهم – أي بين الأحاديث الموضوعة – وربما كان عدم كذبهم هذا لاعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر، والكذب من الكبائر [2]

ثم نقل أقوالا عن بعض العلماء يثنون فيها على صدق الخوارج وخلو مروياتهم من الكذب، من ذلك ما يرويه عن سليمان بن الأشعث يقول: ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثا من الخوارج [3].

وقال الذهبي: ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم أصدق الناس حتى قيل: إن حديثهم من أصح الحديث [4].

---

[1] انظر مقالات الإسلاميين ١٦٦/١ ــ ٢١٢ ، والفرق بين الفرق صفحة ٥٤ ــ ٩٢

[2] انظر السنة قبل التدوين ، صفحة ٢٠٤ ، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة صفحة ١٣.

[3] انظر السنة قبلب التدوين ، صفحة ٢٠٥ ، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة صفحة ١٤ ، والكفاية صفحة ٢٠٧.

[4] انظر المنتقى من منهاج الاعتدال صفحة ٢٢ ــ ٢٣.

فالخوارج - والله أعلم - لم يقعوا في حمأة الكذب، ولم يعرف عنهم الكذب على رسول الله ﷺ أو التقول عليه، وكذلك فقد أطبق العلماء على أن للشيعة أثرا بارزا في الكذب ووضع الحديث، ولم يخالف في ذلك أحد، بل إن نفرا من الشيعة أنفسهم يقرون بأن بعض من انتسب إليهم كان يفتري ويتقول على رسول الله ﷺ وآل بيته، والاعتراف - كما يقال - سيد الأدلة.

يقول ابن أبي الحديد: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية ما صنعته الشيعة وضعت لصاحبها في مقابلة هذه الأحاديث [1].

وقد أفاض الدكتور/ عمر حسن فلاتة، في إبراز دور الشيعة في وضع الحديث، ونقل أقوال أئمة الحديث في ذلك [2].

ولم يقتصر وضع الشيعة على هذه المسائل بل تجاوز الأمر إلى مسائل أخرى تتلخص فيما يلي؛

١ـ الوضع في مثالب الشيخين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، والحط من قدرهما، واتهامهما بالإساءة لعلي وآل بيته الكرام مما لا يخفى كذبه، وقد أشار ابن أبي الحديد إلى كذب الشيعة في ذلك فقال: فأما الأمور الشنيعة المتهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة رضى الله عنها ..... وأن عمر ﷺ ضغطها بين الباب والجدار، وجعل في عنق علي كرم الله وجهه حبلا يقاد به، فكله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث وإنما هو شئ تنفرد الشيعة بنقله [3]

---

[1] انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي صفحة ٨٩ ـ ٩٠ ، والسنة قبل التدوين صفحة ١٩٥

[2] انظر الوضع في الحديث ، للدكتور/ عمر حسن فلاتة ٢٤٥/١ ـ ٢٤٦.

[3] انظر السنة قبل التدوين ١٥٨/١ ـ ١٥٩ ، نقلا عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

٢ـ ولم يكتف الشيعة من النيل من معاوية بلعنه أو شتمه أو الطعن فيه لخروجه على علي كرم الله وجهه ومحاربته له، بل وضعوا أحاديث على لسان رسول الله ﷺ يأمر فيها بقتله[١]، ويدعو عليه وعلى عمرو بن العاص بالإركاس والدع في النار [٢].

بل لم يقتصروا على ذلك حتى ألحقوا بني أمية كلهم به، وتقولوا على الرسول ﷺ أنه قال: إن الله عناهم بقوله: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ [٣]، كل هذا وغيره يبين لنا دور الشيعة وأثرهم في الوضع في الحديث، وأجدني غير مغال إذا قلت: إن الشيعة كان لهم نصيب وافر في ذلك، وكتب الموضوعات أكبر شاهد على ذلك.

والله أعلم

وكذلك فقد كان للمعارضين للشيعة - وهم الجمهور- والذي عرف فيما بعد بأهل السنة دورهم في وضع الحديث، فإن بعض الجهلة والفسقة منهم ممن أخذته العزة بالإثم قابلوا الشر بمثله، وقد ولجوا في حمأة الوضع ومستنقعات الكذب فوضعوا أحاديث في فضل الشيخين أبي بكر وعمر، حيث رأوا أن الفضائل الثابتة لهما غير كافية لمجابهة ذلك السيل من بهت الشيعة، فتقولوا على رسول الله ﷺ ما لم يقل، ووضعوا أحاديث أفردت في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان [٤] ومعاوية [٥] رضى الله عنهم .

---

[١] والحديث هو : " إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري هذا فاقتلوه " ، انظر الموضوعات ٢٤/٢ ـ ٢٦ ، واللالئ المصنوعة للسيوطي ٣٨٨/١.

[٢] انظر الموضوعات لابن الجوزي ٢٨/٢ ، واللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ٣٩٠/١.

[٣] الإسراء : ٦٠ ، وانظر زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، ٤٠/٥، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

[٤] انظر كتاب الموضوعات ٣١٠/١ ـ ٣٢١ ، واللالئ المصنوعة ٢٦٢/١ ـ ٢٩٤.

[٥] انظر كتاب الموضوعات ١٦/٢ ـ ٢٦ ، واللالئ المصنوعة ٣٨٠/١ ـ ٣٩٢.

## ثانيا : الزندقة والإلحاد في الدين :

الزنادقة هم الذين يأولون القرآن والسنة تأويلا فاسدا منافيا لأصول العقيدة الإسلامية وقواعدها المقررة، لاستدراج العامة إلى الخروج عن الإسلام وإضعاف شوكة المسلمين، وقيل هم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، أو هم لا يتدينون الدين، يفعلون ذلك استخفافا بالدين، يتقون به الناس .

وقد اندس الزنادقة بين صفوف المسلمين عندما أكرهوا على الدخول في دين الله، فأظهر جماعة منهم الإسلام، ولم تنشرح صدورهم له، وقد كان بعض هؤلاء الزنادقة ذوي مكانة في مجتمعاهم قبل الفتح الإسلامي لبلداهم، وبسقوط مملكاهم أضحوا نسيا منسيا، فدفع هم الحقد الدفين في نفوسهم إلى الكيد للإسلام والمسلمين، ولما كان باب القرآن قد أوصد أمامهم، منذ جمع الناس على مصحف واحد، لجأوا إلى باب السنة منه يدخلون، وعلى السذج من المسلمين يلفقون، فأذكوا نار الفتنة والفرقة، ووسعوا دائرة الخلاف بين المسلمين، وأدرجوا في الشريعة السمحاء من معتقداهم الباطلة. يعززوها بوضع الحديث على رسول الله ﷺ ، وقد تعددت طرقهم في بث سموهم ونشر مفترياهم، فمنهم من اتخذ التشيع له شعارا كما فعل ابن سبأ، ومنهم من ادعى ألوهية علي كرم الله وجهه وأن فيه جزءا إلهيا متحدا بناسوته كما نقل عن بيان بن سمعان الفهري الذي قتله خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار [1]

ومنهم من كان يدس الأباطيل والأكاذيب السخيفة على رسول الله ﷺ قاصدين بذلك تشويه صورة الإسلام الناصعة في عقائده وعباداته ومقاصده، بل إنهم اختلقوا من الأحاديث ما ترده أصول الدين ويرده العقل السليم، ولا سيما ما تتعلق منها بذات الله وصفاته، وتلك الأباطيل تنم عما تنطوي عليه بواطنهم من تنفير العامة

---

[1] انظر الموضوعات ١/١٠٥ ، واللآلئ المصنوعة ١/٣ ، وتنزيه الشريعة ١/١٣٤، والسنة قبل التدوين صفحة ٢٠٧.

عن الإسلام، وإظهاره بمظهر الدين المتناقض [1]

لقد كان عمل هؤلاء الزنادقة خبيثا محرفا للحقيقة، مما استدعى جهودا مضنية من المحدثين الأجلاء في ذلك العصر، لتنقية الحديث والتمييز بين الغث والسمين، ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الزنادقة كثيرا ما نراهم يقرون بالوضع، بل إن غالبهم كان يقر بأنه وضع أحاديث كثيرة تركها تجول بأيدي العامة من الناس. قال المهدي: "العباسي" أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمائة حديث، فهي تجول في أيدي الناس.

وقال حماد بن زيد:وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث[2].

ويرى بعض الباحثين أن إقرار الزنادقة بوضع الحديث وإصرارهم على ذلك، إنما هو من تحديهم للمسلمين وإصرارهم على زندقتهم [3].

يقول الدكتور/ عمر حسن فلاتة، وقد بدا لي –والله أعلم – أن إقرار بعضهم واعترافهم بالوضع في الحديث بصورة هائلة وأرقام خيالية، هو جزء من مخططهم الرهيب، فقد أبت زندقتهم إلا تنفير الناس من معتقداتهم والطعن عليهم في دينهم، وقد بذلوا جهدهم في ذلك حال تمتعهم بحرياتهم، فلما أخذوا وأيقنوا بالهلاك، عملوا على تنفيذ مخططاتهم بالتشكيك فيما في أيدي الناس من الأحاديث والروايات، وليس معنى هذا أنهم لم يكذبوا مطلقا، بل إنهم كذبوا على رسول الله ﷺ بعض الأحاديث، وهم بذلك يعدون كذابين وضاعين، إلا أنه ينبغي ألا يسلم لهم وضع هذه الأعداد الهائلة، ولا سيما وأن بعضهم حصرها في تحليل الحرام أو تحريم الحلال [4]، ولو تتبعنا

---

[1] انظر الموضوعات ٣٨/١.

[2] انظر الموضوعات ٣٨/١.

[3] انظر السنة ومكانتها في التشريع صفحة ١٠٠.

[4] انظر اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ٣٨٩/٢.

الكتب التي عنيت بجمع الأحاديث الموضوعة لم تبلغ هذا العدد فضلا عن أن تبلغ أحاديث الأحكام هذا الرقم [1]

وقد أحسن الخلفاء صنعا حينما أخذوهم وقعدوا لهم كل مرصد، وأراحوا الأمة الإسلامية منهم بإنزال أشد العقوبة بهم، فقد سن الأمير خالد بن عبد الله القسري [2] سنة حسنة فيهم، حينما ضحى بالجعد بن درهم سنة ١٥٢هـ، ثم سار خلفاء بني العباس على سنته لما أحسوا بخطرهم على كيان الإسلام، فتعقبوهم قتلا وتشريدا، وأشهر من أعمل في رقابهم التأديب الخليفة المهدي الذي أنشأ ديوانا خاصا للزنادقة يتتبع فيه أوكارهم ويقضي على رؤسائهم [3]

ثالثا: الخلافات الفقهية والكلامية ونصرة المذاهب والأهواء :

حرص النبي ﷺ على ترك أمته مجتمعا واحدا يسوده الوفاق والوئام ولا يجد الاختلاف سبيلا إليه، ففي كل مناسبة كان ﷺ يحض على الاتفاق وجمع الكلمة، وينفرهم من الاختلاف والتفرق، وقد سد ﷺ كل سبيل يتطرق منه الافتراق إلى الأمة.

ومع بداية القرن الثاني الهجري لاح في الأفق الاختلاف الفقهي بين العلماء في بعض الأحكام الفرعية، وأخذ كل فريق يتسم بطابع معين، عرف فيما بعد بالمذاهب الفقهية، فكما اختلف الناس وتفرقوا في بعض المسائل العقدية، كان اختلافهم في المسائل الفرعية والتطبيقات العملية أكثر، ولا سيما أن الشارع وكَلَ إلى الفقهاء المجتهدين استنباط بعض المسائل الفرعية بعد أن وضع لهم الأصول الكلية، فأدى ذلك إلى الاختلاف في بعض المسائل الفرعية التي أجاز الشارع فيها ذلك الاختلاف وعدها من تنوع العبادات، خصوصا إذا كان في ذلك مصلحة للأمة الإسلامية، ودفع لعنت

---

[1] انظر الوضع في الحديث ٢٢٢/١ للدكتور/ عمر حسن فلاتة.

[2] هو أمير الحجاز ثم الكوفة ، روى له أبو داود ، انظر تقريب التقريب ٢١٥/١.

[3] انظر السنة ومكانتها في التشريع ، صفحة ١٠٠.

يلحقها، ولكن الجهلة المقلدين الذين ضاق أفقهم جعلوا الانتصار للمذهب وحمل الناس عليه غايتهم وهدفهم . فدفع ذلك الفسقة منهم - ولا سيما في قضايا علم الكلام وأهل الأهواء - إلى طرق باب الوضع في الحديث للوصول إلى مآربهم، ولإضفاء القدسية على مذهبهم، وسلكوا في سبيل الوصول إلى ذلك طريقين.

الأول: وضعوا أحاديث في مناقب أئمتهم، وأخرى في مثالب مخالفيهم، زعما منهم أن في الإشادة بإمامهم دليلا على صحة كل ما ذهبوا إليه، كما أن في الأخرى دليلا على انتقاص ما ذهب إليه غيرهم وعدم صحته، من ذلك: " سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي" [1].

وأما أحاديث المثالب فمنها حديث "يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس" . وغير ذلك. [2]

والثاني: لجأ بعضهم إلى حديث أو أحاديث يؤيد بها رأي إمام في مسألة بعينها، قال فيها الإمام قولا، فيعزز هؤلاء المتعصبون لهذا الإمام قوله بحديث يختلقونه على رسول الله ﷺ [3]، إلى غير ذلك من الأحاديث التي وضعت انتصارا لآراء بعض الأئمة، وهو مما وضع في مذاهب أهل السنة، أما بالنسبة للشيعة فإنهم لا يقبلون من الحديث إلا ما روى عن طريق أئمتهم، وقد حمل ذلك من قل ورعه منهم على وضع أحاديث على أئمتهم .

كما كان لنشأة الفرق الكلامية وغيرها من أهل البدع والأهواء من أهل السنة ومعتزلة ومرجئة وجبرية وجهمية وكرامية أثر كبير في إذكاء حركة الوضع والولوج فيها، فقد حاولت تلك الفرق تأييد مذاهبهم وآرائهم بالأحاديث التي لا

---

[1] انظر الموضوعات ٤٨/٢ ، واللالئ المصنوعة ٤١٧/١.

[2] انظر الموضوعات ٧٥/٢ ـــ ٧٦ و ٩٦ ـــ ٩٧

[3] انظر بعض ذلك في اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي ٢٢/١ وما بعدها

يشك الناظر فيها أنها مختلقة موضوعة. يظهر فيها أثر الصنعة والتكلف [1]، عدا عن كونها مخالفة للآيات الكريمة والأصول العقدية عند علماء هذه الأمة .

رابعا: العصبية للجنس والقبيلة واللغة والبلد :

فقد وضعت الشعربية [2] بعض الأحاديث التي تفضل الفرس على العرب واللغة الفارسية على غيرها مثل حديث: "إن كلام الله حول العرش بالفارسية وإن الله إذا أوحى أمر يسر أوحاه بالفارسية، وإذا أوحى أمرا فيه شدة أوحاه بالعربية"[3].

قال الشوكاني: هذا الحديث رواه ابن عدي عن أبي أمامة مرفوعا، وهو موضوع باطل لا أصل له،وكل ما ورد في هذا المعنى فهو موضوع، وقد تعسف من زعم غير ذلك[4].

وقال ابن حبان: هذا الحديث باطل لا أصل له، وعمر بن موسى بن دحية وضاع[5].

وكذلك فقد وضع بعض الجهلة والفسقة في الذود عن العرب، منها؛ "من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فإنه يورث النفاق" [6]، وفي حديث آخر عن أنس مرفوعا: "من تكلم بالفارسية زادت في خبثه ونقصت في مروءته"[7].

---

(1) انظر بعض ذلك في اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي ٢٢/١ وما بعدها .

(2) الشعوبية ــ بالضم ــ فرقة عنصرية تحتقر أمر العرب ، وتفضل العجم عليهم ، وإنما نسب إلى الجمع لأنه صار علما لغلبته على جيل واحد كالأنصار.

(3) انظر الموضوعات ١١/١ ، واللالئ المصنوعة ١٧/١.

(4) انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، صفحة ٣١٤ بتصرف.

(5) له ترجمة في المجروحين ٨٧/٢، والميزان ٢٢٥/٣ ، وانظر اللالئ المصنوعة ١٨/١.

(6) انظر اللالئ المصنوعة ٢٣٨/٢.

(7) انظر مستدرك الحاكم ، ٨٧/٤ ــ ٨٨ ، وعلق الإمام الذهبي عليها في التلخيص بقوله : ليس بصحيح. وإسناده واه بالمرة ، وانظر تنزيه الشريعة ٣١/٢ . والموضوعات ٥١/٢ ــ ٧١ ، واللالئ ٢٣٨/٢.

وكذلك وضعت أحاديث في فضل بعض البلدان بدافع التعصب الممقوت مثل حديث: "جنان هذه الدنيا دمشق من الشام، ومرو من خراسان. وصنعاء اليمن، وجنة هذه الجنان صنعاء".

قال الشوكاني:وقد توسع المؤرخون في ذكر الأحاديث الباطلة في فضائل البلدان ولا سيما بلدانهم، فإنهم يتساهلون في ذلك غاية التساهل ويذكرون الموضوع ولا ينبهون عنه [1]

كما تجرأ بعض من لا خلاق له على الكذب على رسول الله ﷺ تفضيلا لقبيلة على أخرى، أو لجنس على آخر أو لشعب على شعب مقابل، أو للون على لون. دون أن يكون هناك دافع للتفضيل سوى اتصافهم ببعض الصفات الجبلية، ككونهم عربا أو فرسا أو كونهم من ربيعة أو مضر [2].

وقد زاد من تلك النعرات إيثار بعض الخلفاء في الدولة الأموية والعباسية بعض القبائل أو الشعوب، وتفضيل بعض الأجناس، وقصر العمل والوظائف عليهم دون غيرهم. وتوليتهم لمهام أمور الدولة، فأدى ذلك إلى فخر القبائل العربية، والدعوة إلى الشعوبية والمناداة بفضل السودان وإدعاء المزية لأبناء فارس أو أبناء الرومان [3] ضاربين عرض الحائط بتلك المبادئ التي جاء بها الإسلام ونص فيها على المساواة بين الناس، وأنهم كأسنان المُشط لا فرق بين عربي وعجمي، وأبيض وأسود إلا بالتقوى.

**خامسا: استهواء العامة والتكسب بالوعظ والقصص:**

فقد ظهرت – في زمن التابعين وتابعيهم – جماعة يعظون الناس في المساجد والأسواق، يعرفون بالقُصاص، يتكسبون مما يلقونه على الناس من قصص وعظات

---

(1) انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، صفحة ٤٣٦ ـــ ٤٣٧ بتصرف يسير ، واللالئ ٤١٩/١ وما بعدها

(2) انظر اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ٤٠٧/١ وما بعدها .

(3) انظر الوضع في الحديث ١/٣٦٠ للدكتور" عمر حسن فلاتة.

وأحاديث وحكايات، وكلما كان القصص منهم أغرب كان التفاف الناس حولهم أكثر، فكانوا يستميلونهم بالغرائب والمناكير والأساطير، يستبيحون لأنفسهم الكذب في الحديث، فيضعون على رسول الله ﷺ - كما يقول الإمام القرطبي - أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها ثم يذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد [1] وكان لهم في ذلك جرأة ووقاحة .

ومن المؤسف حقا أن هؤلاء القصاص الجهال الذين تشبهوا بأهل العلم وتجرؤوا على أن يكذبوا على الله ورسوله ﷺ قد وجدوا من العامة آذانا صاغية، ولقى العلماء منهم أذى كثيرا وعنتا كبيرا [2]، وقد رويت عنهم أخبار تحاكي الخيال، وحوادث تشبه الخرافات والأساطير، ومن العجب أن تبلغ الوقاحة بهؤلاء القصاص أن يسودوا الصحائف بكذبهم، الذي يشير كل حرف منه إلى منزلة مؤلفه، ويعرضه على كبار فقهاء عصره ليكتبوا عليه تصويب ذلك المصنف [3].

إنها جرأة على الله ورسوله ﷺ ، إذ لم يكتف هؤلاء القصاص بالقيام عقب الصلوات بإراقة ماء الوجه والاسترزاق بالكذب بل طرقوا باب التأليف وصناعة الكتابة في تنفيق كذبهم ونشر أباطيلهم [4].

سادسا: الجهل بالدين مع القصد الحسن:

وهو ما فعله الزهاد والعباد والجهلة؛ فقد كانوا يضعون الأحاديث - في مجال الترغيب والترهيب حسبة - زاعمين أنهم بذلك يتقربون إلى الله، ويحسبون أنهم

---

(1) انظر تفسير القرطبي ٧٩/١.

(2) انظر في ذلك أحداثا مؤسفة في كتاب السنة ومكانتها في التشريع صفحة ٧٦ .

(3) انظر الوضع في الحديث ، للدكتور/ عمر حسن فلاتة ٢٧٨/١ بتصرف.

(4) انظر اللآلئ المصنوعة ، للسيوطي ٣٩٢/٢.

يحسنون صنعا، ويقولون: "نحن ما كذبنا عليه وإنما كذبنا لـــه" أي لصــالح الــدين في زعمهم الفاسد.

ويمكننا القول بأن هؤلاء كان لهم الأثر البارز والخطير في وضــع الحــديث، ويبدو ذلك في العدد الكبير من الأحاديث التي اختلقت من قبل هذه الطائفة حتى إنها لتمثل الغالبية العظمى من الأحاديث الموضوعة في متناول حياة الناس اليومية.

وأما خطورته فتتجلى فيما يلي :

١- انتساب رواده إلى الصلاح والزهد والانكباب على العبادة بــل الغلــو فيها، مما غرر بالكثيرين من الخاصة فضلا عن العامة في قبول أقوالهم.

٢- احتساب هؤلاء الكذابين الأجر والثواب عند الله فيما وصــفوا، زعمــا منهم أن حمل الناس على الطاعة والعبادة وتوجيههم لقراءة القرآن وقيام الليل، وصيام النهار ولو كان ذلك الحمل بأحاديث موضوعة مكذوبة ملفقة فيه ثواب عظيم عند الله تعالى.

٣- إفراطهم في الوعد، حيث رتبوا على العمل اليسير الذي لا يتجاوز كونه نافلة في حكم الشرع ثوابا عظيما فوق ثواب الفرض والواجب [١].

٤- كما أفرطوا في الوعيد حيث رتبوا على أعمال يعتبرها الشارع من صغائر الذنوب عذابا عظيما، يستوجب الخلود في النار واليأس من رحمة الله، مما لم يوعد مثله مقترفوا الكبائر، فأخلوا بموازين الأعمال وأفسدوا مقادير الوعد والوعيد.

لذلك فقد تنبه أئمة الحديث - رحمهم الله تعالى - إلى خطورة هــذه الطائفــة على حديث رسول الله ﷺ فأظهروا أمرهم، وأبدوا عوارهم.

قال يحيى بن سعيد القطان: لم نر الصالحين في شئ أكذب منهم في الحديث [٢].

---

(١) انظر الموضوعات ٣٢/١.

(٢) انظر صحيح مسلم، المقدمة ، باب بيان أن الإسناد من الدين ١٧/١.

قال الإمام العراقي: يريد – والله أعلم – المنسوبين للصلاح بغير علم يفرقون به بين ما يجوز لهم وما يمتنع عليهم .. [1].

وكان أول من استباح هذا الكذب القبيح طائفة تسمى "الكرامية" [2] . فقد أجازت وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب، واستدلوا على ذلك بما روى في بعض طرق الحديث "من كذب علي متعمدا ليضل به الناس" . وحمل بعضهم حديث "أي كذب علي" أي قال إنه شاعر أو مجنون.

وقال بعضهم : إنما نكذب له لا عليه،

قال السيوطي: وهو جواز الوضع في الترغيب والترهيب خلاف إجماع المسلمين الذين يعتد بهم [3] .

سابعا: التزلف إلى الخلفاء والأمراء :

فقد قام بعض علماء السوء بوضع الأحاديث التي يظن أنها ترضي هوى الخلفاء ونيل رضاهم والحظوة لديهم، رغبة فيما عندهم أو تطلعا إلى منصب قريب منهم، وقد حفظت لنا كتب التاريخ حوادث حاول فيها بعض الجهلة والمنتسبين ظلما إلى العلم، أو من أغراهم الشيطان فاشتروا دنياهم بآخرتهم، واستحبوا العمى على الهدى، وكذبوا على رسول الله ﷺ ، وحاولوا أن يتقربوا إلى الحكام رغبة في دنيا يصيبونها، أو متاع زائل يحصلون عليه .

ومن العجب أن هذه الأخبار كلها كانت مع بعض خلفاء الدولة العباسية، ولم يثبت من طريق صحيح أن أحدا من العلماء تقرب إلى خلفاء الدولة الأموية بكذب

---

(1) انظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة صفحة ٢٤ ، نقلا عن فتح المغيث للعراقي.

(2) الكرامية – بتشديد الراء – جماعة من المبتدعة ينسبون إلى زعيم لهم يسمى محمد بن كرام ، وهو أحد المتكلمين الذين يذهبون إلى التجسيم والتشبيه في ذات الله تعالى وصفاته .

(3) انظر تدريب الراوي للسيوطي ١/٢٨٣ – ٢٨٤ ، بتصرف قليل ، والموضوعات ١/٩٤ – ٩٨

على رسول الله ﷺ ، ولعل السبب في ذلك أن غالب العلماء آنذاك كانوا مبتعدين عن خلفاء بني أمية، إن لم يكونوا مناصبين لهم العداء [1].

ثامنا: الوضع من أجل تنفيق سلعة وترويجها وعكسه، أو الثناء على عمل أو ذمه :

كذلك من الدوافع التي حملت بعض الفسقة على الوضع في الحديث الترويج لسلعة أو إعطائها فوائد طبية خاصة، فقد وضع من هذا النوع أحاديث كثيرة.

منها؛ ما وضعه محمد بن حجاج اللخمي في فوائد الهريسة عن حذيفة مرفوعا: " أطعمني جبريل الهريسة لأشد بها ظهري لقيام الليل" [2].

وكذلك سائر الأحاديث التي وضعت في فضائل وفوائد بعض الأطعمة كالعدس[3]والباذنجان[4]وبعض الفاكهة كالرمان[5] والعنب[6]، وبعض الحبوب كالحلبة[7]،

وبعض البقول كالهندباء [8] والجرجير[9] وبعض أنواع الحلوى كالفالوذج[10]، إلى

---

(1) انظر الوضع في الحديث ٢٧٠/١ للدكتور/ عمر حسن فلاتة ، بتصرف قليل ، وانظر كذلك تدريب الراوي للسيوطي ٢٨٥/١ ــ ٢٨٦ ، والباعث الحثيث ، صفحة ٩٤ ، وتفسير القرطبي ٧٩/١ ــ ٨٠ ، وانظر ما وضعه غياث بن إبراهيم حين دخل على المهدي ، في اللآلئ المصنوعة ٣٩٠/٢.

(2) انظر الموضوعات ١٧/٣ ، واللآلئ المصنوعة ١٩٩/٢.

(3) انظر الموضوعات ٢٩٤/٢ ، واللآلئ المصنوعة ١٨٠/٢.

(4) انظر الموضوعات ٣١/٣ ، واللآلئ المصنوعة ١٩٨/٢.

(5) انظر الموضوعات ٢٨٥/٢ ، واللآلئ المصنوعة ١٧٧/٢.

(6) انظر الموضوعات ٢٨٦/٢ ، واللآلئ المصنوعة ١٧٩/٢.

(7) انظر الموضوعات ٢٩٧/٢، واللآلئ المصنوعة ١٨٧/٢.

(8) اللآلئ المصنوعة ١٨٧/٢ ، والهندباء : بقل زراعي حولي ومحول من الفصيلة المركبة، يطبخ ورقه أو يجعل سلطة، انظر المعجم الوجيز ص ٦٥٣.

(9) انظر الموضوعات ٢٩٧/٢ ــ ٢٩٨.

(10) انظر الموضوعات ٢١/٣ ــ ٢٢ ، واللآلئ المصنوعة ٢٠٣/٢ ، وهو نوع من الحلوى يصنع من الدقيق والماء والعسل ، أو يصنع من النشا والماء والسكر ، انظر المعجم الوسيط ص ٤٨٠.

غيرها من الأحاديث التي يظهر فيها جليا أنها من تدبير وعمل يد خبيث مستفيد منها، كما أن هناك أسبابا أخرى للوضع في الحديث منها :

١- الوضع في الحديث لمصالح تتعلق بالكذاب.

٢- الوضع بقصد الإغراب أو ادعاء الإنفراد بأحاديث أو طرق .

٣- الوضع بقصد الامتحان .

هذا وقد استمرت حركة الوضع إلى عصور متأخرة، فابن الجوزي يذكر في كتبه من قصاص زمانه، فهذا هو "الرتن الهندي" يدعي الصحبة في المائة السادسة للهجرة ويضع الأحاديث المكذوبة [1]

ومهما يكن من استمرار بوق الوضع قرونا، فقد ناهضها العلماء ولا سيما أئمة الحديث، الذين ألفوا الكتب، وميزوا فيها بين الصحيح والحسن والضعيف والمرفوع، وكذلك في التنصيص على الأحاديث الموضوعة كتبا كثيرة، وكشفوا عن عوارها وحذروا الناس من الاغترار بها .

ولا شك أن هؤلاء الأئمة الأعلام كانوا فطاحل النقاد وكبار الحفاظ، انتدبوا أنفسهم لتخليص الحق من الباطل، وتقربوا إلى الله تعالى بالكشف عن أحوال هؤلاء الكذابين على رسول الله ﷺ ، المتزيدين في حديثه، وأنزلوا الرواة منازلهم، وبينوا للناس درجاتهم، ولقبوهم بما يستحقونه من المحاسن والمثالب، لا تأخذهم بأحد رحمة في دين الله، فتراهم يقولون: فلان ثقة، فلان كذاب، فلان لين الحديث، فلان لا بأس به، فلان ضعيف... إلى غير ذلك من ألقاب الرفعة أو سمات الضعة والسقوط والهوان، مما يشير إلى أن أئمة الحديث في عصر التدوين ،كانوا على بصيرة نفادة ومعرفة تامة بالسنة ،

---

[1] انظر ما كتب عنه في كتب الرجال لترى العجب العجاب، مثل كتاب ميزان الاعتدال للذهبي ٢/٢٣٥ ، وانظر هذا الموضوع في السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للأستاذ/ يوسف السباعي، صفحة ٨٧ ـــ ٨٨ ، ط المكتب الإسلامي.

متونها وأسانيدها، فتراهم غربلوا الرواة وأقصوا كثيرا منهم عن حظيرة السنة، والتمتع بشرف روايتها [1].

* * *

[1] انظر الحديث والمحدثون ، صفحة ٢٦٧ ، للشيخ محمد أبو زهرو ، بتصرف قليل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٤ هـ ـــ ١٩٨٤م .

# المبحث الخامس

# بعض من اشتُهر برواية الإسرائيليات بعد التابعين

قبل التحدث عن الشخصيات التي اشتهرت برواية الإسرائيليات بعد التابعين، يحسن بنا تحديد المراحل التي تم بها تدوين التفسير وهي كالآتي :

المرحلة الأولى: مرحلة تدوين الآثار المسندة:

وفي هذه المرحلة جمعت الآثار المسندة – المرفوعة وما دونها – ودونت آثار التفسير باعتبارها جزءا من الحديث النبوي ومن آثار الصحابة والتابعين، ولذلك لم يلتزموا فيها الترتيب ولا التماثل، وإنما جمعت الآثار والروايات حسبما تيسر لصاحب التصنيف. ومن هذا النوع :

* مسند شعبة بن الحجاج ، المتوفي سنة ١٦٠هـ.
* مسند وكيع بن الجراح الرواسي، المتوفي سنة ١٩٧هـ.
* مسند سفيان بن عيينة، المتوفي سنة ١٩٨هـ .

المرحلة الثانية: مرحلة استقلال آثار التفسير بالتدوين:

وتعتبر هذه المرحلة بداية عصر التدوين للتفسير باعتباره علما مستقلا، له رواياته الخاصة به، مجموعة ومتجاورة حسب ترتيب المصحف، ومسندة مرفوعة إلى النبي ﷺ ، أو موقوفة على أصحابه، أو مقطوعة عند التابعين، وكان لا يشترط فيها الصحة، وذلك كتفسير السدي الصغير ، ومقاتل بن سليمان، المتوفي سنة ١٥٠هـ.

المرحلة الثالثة: مرحلة الآثار المسندة المستقلة الممزوجة بغيرها :

وذلك مثل ذكر الإعراب وتوجيه الأقوال، والترجيح بين الآثار، وأشهر تفسير في هذه المرحلة تفسير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ، للإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفي سنة ٣١٠هـ.

المرحلة الرابعة: مرحلة الروايات المحذوفة الأسانيد:

وهي المرحلة التي تساهل فيها المفسرون، فحذفوا أسانيد الروايات، ونسبوا الأقوال إلى السابقين مباشرة، فاختلط الصحيح بالفاسد، وتعذر - إلى حد ما - التمييز بين الأقوال، وتسرب إلى التفسير الدخيل والموضوع المكذوب وأباطيل بني إسرائيل، والآراء الشاذة المنكرة، ومن أشهر التفاسير في هذه المرحلة تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفي سنة ٩١١هـ .

المرحلة الخامسة: مرحلة التفسير بالرأي :

لم يُلتفت في هذه المرحلة إلى الرواية إطلاقا لا مسندة ولا مجردة، وإنما كان اعتماد المفسر على النظر، صحيحا كان أو باطلا، ملونا التفسير بلون تخصصه العلمي، فاللغوي يحول التفسير إلى ميدان لغة وإعراب وصرف ونحو، وتوجيه القراءات القرآنية كتفسير البحر المحيط لأبي حيان.

والفقيه يستطرد في مسائل الفروع ومذاهب العلماء فيها وأدلتها، وما يراه من ترجيح فيها، فيغلب هذا الاستطراد الفقهي على التفسير، ومثال هذا كتاب "أحكام القرآن" للجصاص، المتوفي سنة ٣٧٠هـ . وأحكام القرآن لابن العربي، المتوفي سنة ٥٤٣هـ وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المتوفي سنة ٦٧١هـ .

وفي هذه المرحلة ألفت تفاسير الطوائف والفرق، كالشيعة والمعتزلة والصوفية والباطنية، ولا تزال هذه المرحلة ممتدة إلى يومنا هذا مع تلونها بألوان العصور والبيئات والأشخاص والأحوال [1].

---

[1] انظر هذه المراحل مفصلة في كتاب المدخل إلى التفسير الموضوعي، للدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد، صفحة ١٥ ــ ١٦ ، طبع دار الطباعة والنشر الإسلامية ، ١٩٨٦م ، وانظر مقدمة محقق أحكام القرآن لابن العربي ــ للأستاذ/ محمد عبد القادر عطا ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م.

وقد تسربت الإسرائيليات والدخيل إلى تفسير القرآن الكريم في المرحلة التي تساهل فيها المفسرون في ضبط الروايات بحذف أسانيدها، ونسبة الأقوال إلى أصحابها مباشرة، فاختلط الصحيح بالفاسد، والأصيل بالدخيل، وتسربت الأساطير والخرافات وأباطيل بني إسرائيل والآراء الشاذة والمنكرة، والأحاديث الموضوعة على حين غفلة من أعين العلماء إلى كتب التفسير .

## من اشتهر برواية الإسرائيليات بعد التابعين

ومن الذين اشتهروا برواية الإسرائيليات بعد التابعين :

١ــ محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة العالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، المتوفي في الكوفة سنة ١٤٦هـ [١]، روى عن أخويه وعن الشعبي وأبي صالح باذام، وعنه ابنه هشام، وأبو معاوية، والسفيانان، وحماد بن سلمة، وابن المبارك وابن إسحاق، وابن جريج . . . وغيرهم[٢]

وقد اشتهر بالتفسير وكان عالما بالأنساب والأخبار، يهودي النزعة من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ممن يقولون: إن عليا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا، ويملؤها عدلا كما ملئت جورا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها [٣].

ومحمد بن السائب في هذا على دين أصحابه يكذب ولا يترفع، ويضع الحديث ولا يتورع، لذلك فقد حذر منه كبار العلماء، كالنووي وابن معين والبخاري وابن حنبل والجوزجاني والدارقطني وابن حبان وابن عدي [٤].

---

[١] انظر ترجمته كاملة في ميزان الاعتدال ، ٢/٥ ــ ٥ ، وتهذيب التهذيب ١٧٨/٩ ، والجرح والتعديل ٢٧٠/٧ ، والفهرست لابن النديم صفحة ١٤٥.

[٢] انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٨/٩ ــ ١٧٩

[٣] انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٤/٥

[٤] انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٥/٥ ، وشذرات الذهب ٢١٧/١، طبع دار الآفاق ، بيروت

## رأى العلماء فيه :

قال الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال: لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به ؟

وقال الجوزجاني: كذاب، وقال الدارقطني وجماعة: متروك.

وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه.

وقال ابن حنبل : لا يحل النظر إلى تفسير الكلبي [1] .

قال ابن عدي: له أحاديث صالحة، وخاصة عن أبي صالح، وهو رجل معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول ولا أشبع منه.

وقال الذهبي: أبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من أبي صالح . . .

وقال عنه الداوردي: متهم بالكذب، ورمي بالرفض [2] ، وله تفسير مشهور [3] فمن كان هذا حاله لا يوثق بروايته ولا يحتج بها.

٢ـ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج [4] ، أبو خالد المكي، ويقال أبو الوليد له كنيتان، أول من صنف الكتب في الإسلام، وأصله رومي نصراني، توفي سنة ١٥٠هـ ، أحد الأعلام الثقات.

---

[1] انظر ميزان الاعتدال ، للذهبي ٤/٥ ـ ٥

[2] انظر طبقات المفسرين للداودي ٢/١٤٩.

[3] انظر تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ٩/٤ ، وميزان الاعتدال ٥/٥ ، ومختصر الكامل لابن عدي صفحة٦٥٢

[4] انظر ابن حجر في تقريب التقريب من التابعين، وأدخله في الطبقة السادسة ، وهم الذين لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة ، وإنما عاصروا أهل الطبقة الخامسة ، وهم الذين رأوا الواحد أو الاثنين من الصحابة ، فالأليق أن يكون من طبقة كبار أتباع التابعين ، وقد جرينا على ذلك وجرى عليه كثير من العلماء ، انظر الإسرائيليات في كتب التفسير للدكتور/ الذهبي صفحة ١٤٧ ، ومقدمة تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/١.

حدث عن ابن أبي رباح، وابن أبي مليكة، ونافع ، وطاوس، وعمـرو بـن شـعيب، وعمرو بن دينار والزهري وغيرهم.

وحدث عنه : الحمادان، والسفيانان، والأوزاعي، والليث، وابن علية، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبد الرزاق بن همام . . . وغيرهم[1] .

رحل في طلب العلم إلى البصرة واليمن وبغداد وجمع الكثير، ولكنه كان حاطب ليل، يدلس ويروي الأحاديث الموضوعة[2]

رويت عنه روايات كثيرة في التفسير منها الصحيح وغير الصـحيح، لأنـه لم يقصد الصحة وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم [3] ، ولذلك يحكم عليه بالتدليس وعدم الثقة ببعض مروياته.

رأي العلماء فيه :

قال عبد الرزاق: ما رأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج [4] وهـو مـن فقهاء أهل الحجاز وقرائهم.

وقال الذهبي: الرجل في نفسه ثقة حافظ، إلا أنه كان يدلس بلفظة "عن" [5]، ولذا قال الإمام أحمد بن حنبل: إذا قال ابن جريج "قال" فاحذروه، وإذا قال: "سمعت أو سألت"

وعنه : بقية بن الوليد، وإسماعيل بن عياش، وعبد الصمد بن عبد الوارث، وعلي بـن الجعد، وغيرهم، كان واسع العلم بالتفسير.

---

(1) وانظر تهذيب التهذيب ٤٥٢/١، وشذرات الذهب ٢٢٦/١، والتاريخ الكبير للبخاري ٤٢٢/٥.

(2) وانظر سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٥ ، طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت

(3) وانظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٨٨/٢.

(4) وانظر سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٦.

(5) وانظر سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٦.

قال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في الحديث [1].

فمن كان هذا حاله لا يوثق بروايته.

وقد نال هذا الرجل من الطعن والتجريح ما لم ينله أحد من علماء عصره فيما أعلم، وذلك لما عرف عنه من المذاهب الردية والعقائد الفاسدة، فعلمه شره أكثر من خيره، وضره أكبر من نفعه، وإذا كان مقاتل بن حيان يقول: إن علمه كالبحر[2] فكثيرا ما يحمل البحر الخبث ويقذف بالغثاء والزبد.

وتفسيره يحوي من الإسرائيليات والخرافات وضلالات المشبهة والمجسمة ما ينكره الشرع ولا يقبله العقل [3].

* * *

---

(1) انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٣٠٠/٥.

(2) وانظر ميزان الاعتدال للذهبي ٢٩٨/٥.

(3) وانظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد ١٤١/١.

## المبحث السادس

## جهود العلماء في إبطال الإسرائيليات والرد عليها

مع نزول آيات الكتاب الكريم نزل قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1] ، وعدا محققا من الله تعالى بحفظ كتابه العزيز من أن تناله الأيدي العابثة بالتغيير والتبديل، فهو معجز في كل الأطر، في لفظه ومعناه وأسلوبه. . . حتى وفي رسمه كما ذهب الكثير من الأئمة الأعلام، لذلك قيض الله تعالى لهذه الأمة من يتجشم المشاق ويركب الصعاب ويتحمل أعباء الدفاع عن دين الله ، متحملا المسؤولية الجسيمة، متطلعا إلى الأجر الدائم عند الله تعالى، وهذا ما يطمع فيه الإنسان العاقل ويرى فيه كل ثراء. وإننا لنسجل بكل فخر واعتزاز تلك الجهود المضنية التي تنوء بها الجبال الشم، والتي بذلتها كوكبة مباركة من أعلام هذه الأمة، لتمحيص هذا التراث الإسلامي بترا لأيدي كل العابثين والحاقدين المارقين.

ومن يطلع على ما قام به هؤلاء الأعلام - من أول عهد الصحابة الكرام إلى أن تم تدوين الحديث النبوي الشريف - تجاه الوضع والوضاعين، وتمييز صحيح السنة من ضعيفها، وما ابتكره هؤلاء من أسباب ووسائل وقواعد وضوابط لتحقيق ذلك، يحكم بأن جهدهم الذي بذلوه لا مزيد عليه، وأن الطرق والأساليب التي اتبعوها هي أقوم الطرق وأسلمها للنقد والتمحيص، ويمكن إجمال تلك الطرق تحت عناوين أربعة وهي:

أقوم الطرق للنقد والتمحيص :

١- المبادرة إلى جمع السنة وتدوينها.

٢- التشدد في قبول الروايات - منذ عهد مبكر - والعناية بضبطها سندا ومتنا.

---

[1] الحجر : ٩

٣- وضع الكتب الخاصة بتاريخ الرجال، والأحاديث الموضوعة.

٤- اجتهاد العلماء في ضبط القواعد الخاصة بعلوم الحديث الشريف وتقسيمه إلى صحيح وحسن وضعيف.

## أولا: المبادرة إلى جمع السنة وتدوينها :

من الثابت أن السنة النبوية لم تدون في عهد الرسول ﷺ ، ولا في عهد الصحابة الكرام حفاظا على القرآن الكريم من الالتباس والاختلاط بغيره، وكان تعويل الصحابة الكرام في حفظ الحديث على الاستظهار في الصدور لا على الكتابة في السطور، وقد كانت بواعثهم النفسية على تدوين الحديث تضارع بواعثهم على كتابة القرآن حماسة وقوة، بَيد أنهم - من تلقاء أنفسهم أو بتوجيه من نبيهم الكريم ﷺ - نهجوا في جمع الحديث منهجا، يختلف كثيرا عن منهجهم في جمع القرآن الكريم.

فقد كان كتاب الله تعالى يستغرق جل أوقاتهم، وكان يملك عليهم كل مشاعرهم، وحديث رسول الله ﷺ أكثر من أن يحصوه، وقد وجد بعض الصحابة من البواعث النفسية ما حملهم على العناية بكتابة ما سمعوه، وأقرهم الرسول ﷺ على ذلك حين أُمن التباس السنة بالقرآن.

وانصرف الصحابة إلى القرآن الكريم جمعا له في الصدور والسطور، وانشغالهم به عن كل شيء سواه كان جزءا من التوجيه النبوي الحكيم لهم، وهو توجيه متدرج مع الحياة والأحياء، متطور مع الأحداث التي تعاقبت على المجتمع الإسلامي، روعي فيه الزمان والأشخاص، فنهى الرسول ﷺ عن كتابة الأحاديث أول نزول الوحي مخافة التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن، فقال ﷺ : " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب على فليتبوأ مقعده من النار" [1].

---

[1] انظر صحيح مسلم ٤٧/١، كتاب الزهد ، باب التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم.

حتى إذا كان عهد الخلفاء الراشدين لم يتغير الحال كثيرا، فقد كانت آراء الخلفاء في التشدد في قبول الرواية والتورع عن الكتابة إمتدادا لأقوال الرسول الكريم، بل بلغ بهم الورع أن راحوا يتشددون حتى في الرواية، فلم يعط أبو بكر الجدة سدس الميراث إلا بعد أن شهد المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة أن الرسول ﷺ أعطاها السدس [1].

ولما انتشر الإسلام، وتفرق الصحابة في الأمصار والأقطار، وحدثت الفتن، واختلفت الآراء وكثرت الفتاوى، أخذوا في تدوين الحديث والفقه وعلوم الدين[2].

وإذا انتقلنا إلى عصر التابعين هالتنا تلك الروايات المتضاربة على كراهة كبار التابعين وأوساطهم وأواخرهم للكتابة، ثم لا نلبث أن نجد كثيرا منهم يتساهلون في أمرها أو يرخصون بها، أو يحضون عليها، ونجدها أصبحت أمرا رسميا في عصر أوساطهم، لأمور جدت في عصرهم وهي؛

١- ضعف ملكة الحفظ عند الناس.

٢- طول الأسانيد وتشعبها بسبب بعد العهد وكثرة حملة الحديث.

٣- كثرة الفرق المنحرفة عن جادة الصواب، وعن المنهج الذي كان عليه الصحابة رضى الله عنهم كالمعتزلة والجبرية والخوارج وغيرهم.

فنهض أئمة الإسلام لمواجهة هذه الضرورات، ووضعوا لكل طارئ ما يسد الثلمة[3] ، فقد أرسل عمر بن عبد العزيز لأبي بكر بن حزم – عامله وقاضيه على المدينة المنورة – " أنظر إلى ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت

---

(١) انظر المختصر في علم رجال الأثر ، ص ٧٩ للأستاذ/ عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثالثة ـ القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٥٢م ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٩/١ . في ترجمة أبي بكر الصديق .

(٢) انظر كشف الظنون ص ٣٣ .

(٣) انظر منهج النقد في علوم الحديث ص ٥٨ للدكتور/ نور الدين عتر.

دروس العلم وذهاب العلماء" [1] . وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وكذلك كتب إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث، وممن كتب إليه بذلك محمد بن شهاب الزهري، ومن ذلك الوقت أقبل العلماء على كتابة السنن وتدوينها [2].

وأغلب الظن أن الخليفة عمر بن عبد العزيز حين أمر رسميا بالشروع في تدوين الحديث إنما استند إلى آراء العلماء، فلم يقدم على ذلك إلا بعد استشارتهم أو الاطمئنان – على الأقل – إلى تأييد أكثرهم.

وإذا كان أوساط التابعين قد بدأوا يحذَرون وضع الوضاعين، فإن أواخرهم أمسوا يصادفون كثيرا من نماذج الوضاعين، وصور وضعهم، تأييداً للفرق والشيع المختلفة، لذلك فقد أمسى لزاما أن يشيع التدوين في عصرهم، حفظا للنصوص النبوية الشريفة من عبث العابثين.

ولم يكد ينتهي القرن الثالث الهجري إلا والسنة النبوية قد جمعت كاملة في كتب معتمدة، ومبوبة في فصول وأبواب واضحة، كموطأ الإمام مالك، ومسند أحمد بن حنبل، وصحيحي البخاري ومسلم، وسنن النسائي، وابن ماجه، وأبي داود، وغيرها من الكتب التي حفظت لنا هذا الكنز العظيم من سنة رسول الله ﷺ ، وهكذا مر الحديث النبوي بمراحل طويلة حتى وصل إلينا محررا مضبوطا [3].

ثانيا: التشدد في قبول رواية الأحاديث منذ عهد مبكر والعناية بضبطها سندا ومتنا

---

(1) انظر صحيح البخاري ١/١١٤ كتاب العلم باب كيف يقبض العلم .

(2) انظر الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ص ٤ ، لمحمد بن جعفر الكتاني ، ط ١ ، ١٣٣٢هـ ، عنيت بنشره مكتبة عرفة بدمشق ، وطبعت في بيروت .

(3) انظر ذلك ، الحديث والمحدثون ص ٢٤٣ وما بعدها للشيخ محمد أبو زهو ، ومنهج النقد في علوم الحديث ص ٣٨ وما بعدها ، للدكتور / نور الدين عتر ، دار الفكر ، بيروت .

قام الصحابة رضوان الله عليهم بالتبليغ عن رسول الله ﷺ ، وبذلوا من أجله غاية ما في الوسع البشري، لكنهم لم يغفلوا – في وقدة حماسهم للدعوة – عن أمر جوهري هو صون هذا التراث من التحريف في وجه التيارات الجارفة، والأحداث الطاغية فوضعوا أصول قوانين الرواية التي تكفل حفظ الحديث وصيانته، وكان الناس آنذاك على أصل العدالة، لا حاجة إلى الجرح والتعديل، لأن العصر هو عصر الصحابة، وهم جميعا عدول، فلم يكن يحتاج لأكثر من التحرز عن الوهم [1]، فاتبع الصحابة من قوانين الرواية ما يحتاج إليه في عصرهم للتثبت من صحة النقل، والتحرز عن الوهم، وما زالت هذه القوانين تتفرع لتلبية المطالب المستجدة عصرا بعد عصر حتى بلغت ذروتها [2].

وأهم قوانين الرواية في عصر الصحابة هي:

١– تقليل الرواية عن الرسول ﷺ خشية أن تزل أقدام الكثيرين بسبب الخطأ أو النسيان، فيقعوا في شبهة الكذب على رسول الله ﷺ ، فضلا عن قصدهم أن يتفرغ الناس لحفظ القرآن الكريم، فكان أبو بكر وعمر يتشددان في ذلك، وقد سلك عموم الصحابة هذا السبيل حتى اشتهر واستفاض عنهم مرفوعا وموقوفا: " كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع " [3].

٢– التثبت في الرواية عند أخذها وعند أدائها، قال الإمام الذهبي في ترجمته لأبي بكر الصديق: وكان أول من احتاط في قبول الأخبار ... [4].

وقال في ترجمته لعمر بن الخطاب: هو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ...... وحض على تكثير طرق الحديث

---

(1) أما المنافقون فكانوا أصغر وأقل من أن يحملوا علما أو يؤخذ عنهم العلم .

(2) انظر منهج النقد في علوم الحديث ص ٥١ ، ٥٢ للدكتور/ نور الدين عتر.

(3) انظر في ذلك صحيح مسلم ٣٢/١ . مقدمة المصنف ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع .

(4) انظر تذكرة الحفاظ ٩/١ وما بعدها للإمام الذهبي ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

لكي يرتقي عن درجة الظن إلى درجة العلم، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والـوهم، ولا يكاد يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفهما أحد [1].

وقال في ترجمته لعلي بن أبي طالب: كان إماما عالما متحريا في الأخذ بحيث إنه يستحلف من يحدثه بالحديث ...... [2].

٣- نقد الروايات ؛ وذلك بعرضها على نصوص وقواعد الدين، فإن وجـد مخالفا لشئ منها ردوه وتركوا العمل به، احتياطا في ضبط الحديث لا لتهمة أو سـوء ظن.

على أن علماء المسلمين اهتموا برواية الأحاديث وضبطها في شتى عصورهم، فقد قال أبو العالية البصري ( المتوفي سنة ٩٣هـ ) : كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فما رضينا حتى رحلنا إليهم، فسمعناها من أفواههم .

وقال محمد بن سيرين ( المتوفي سنة ١١٠هـ ) : لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ من حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم [3].

ويقول أيضا : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم [4].

وعندما سئل عبد الله بن المبارك عن الأحاديث الموضوعة قـال: يعـيش لهـا الجهابذة[3].

وقال أيضا: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء [5].

---

(1) انظر تذكرة الحفاظ ١١/١ .

(2) انظر تذكرة الحفاظ ١/ ١٤.

(3) انظر صحيح مسلم ٣٥/١ ، باب بيان أن الإسناد من الدين .

(4) انظر صحيح مسلم ٣٥/١ ، باب بيان أن الإسناد من الدين .

(3) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/١ ، طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(5) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٣٦/١ ، باب بيان أن الإسناد من الدين ، ومقدمة ابن الصلاح ص ١٣٠.

وروى أن الإمام الزهري كان عند إسحاق بن أبي فروة، فجعل ابن أبي فـــروة يقول: قال رسول الله ﷺ ، فقال له الزهري : قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجـــرأك على الله !! تسند حديثك ؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة [١].

والإسناد خَصِيصة هذه الأمة، وسنة بالغة من السنن المؤكدة، ولهـــذا لم يكـــن لأمة من الأمم، أن تسند عن نبيها إسنادا متصلا غير هذه الأمة، وأما باقي الأمم فإنمـــا هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم التي أخذوها عن غـــير الثقـــات، ولذا قال الإمام الأوزاعي: ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد [٢].

وقد رحل جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ من المدينة إلى مصر، لحديث واحد بلغه عن مسلمة بن مخلد [٣] ، لا لشكه في روايةِ من رواه، بل للتثبت والتحري، وهذا سعيد ابن المسيِّب يسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد [٤].

لذلك اعتنى المحدثون كثيرا بتحقيق الأسانيد والبحث فيها، إذ يتعين دراســـة السند للوصول إلى الحكم الصحيح على المتن في كثير من الأحيان، فلـــولا الإســـناد وطلب هذه الطائفة له لدُرِس منار الإسلام، ولتمكن أهل البدع والإلحاد منه، بوضـــع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بترا [٥].

---

[١] انظر معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٦ ، والخطم كل ما وضع في أنف البعير ليقاد به ، انظر المعجم الوسيط ١/١٤٥، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٢/ ١٤٥٥ ، والأزمة : جمع زمام .

[٢] أخرجه ابن عبد البر في أول التمهيد ، وابن رجب في شرح علل الترمذي ، ص ٥٨ .

[٣] أنظر معرفة علوم الحديث صفحة ٩ للحاكم ، والنشر في القراءات العشر ١/١٩٧.

[٤] انظر معرفة علوم الحديث صفحة ٨ للحاكم .

[٥] انظر معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـــ ، ١٩٧٧م.

وعلم الإسناد؛ هو من أعظم مدارات علم الحديث لأنه نقل محض، فلابد من إثباته وصحته، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد.

وكان المحدثون يحكمون على الرجال بما يناسب أحوالهم من جرح أو تعديل، وبالعبارات الملائمة، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، كل ذلك حسبة لله تعالى، وخدمة لدينه ورغبة في الذب عن سنة نبيه ﷺ .

## ثالثا: الكتب المعنية بتاريخ الرجال والأحاديث الموضوعة :

وأما الكتب التي وضعها العلماء في تاريخ الرجال وفي الأحاديث الموضوعة فهي كثيرة جدا، نذكر منها على سبيل الإجمال؛

١ـ التاريخ الكبير للبخاري، المتوفي سنة ٢٥٦هـ.

٢ـ تاريخ الضعفاء والمتروكين للنسائي، المتوفي سنة ٣٠٣هـ .

٣ـ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم المتوفي، سنة ٣٣٧هـ.

٤ـ الثقات لأبي حاتم بن حيان البستي، المتوفي سنة ٣٥٤هـ .

٥ـ الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين وعلل الحديث لابن عدي الجرجاني، المتوفي سنة ٣٦٥هـ.

٦ـ ميزان الاعتدال للإمام شمس الدين الذهبي، المتوفي سنة ٧١٨هـ.

٧ـ تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي.

٨ـ سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي.

٩ـ الكاشف عمن له رواية في الكتب الستة لشمس الدين الذهبي.

١٠ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، المتوفي سنة ٨٥٢هـ.

١١ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني.

وهناك كتب كثيرة ألفت في تاريخ الصحابة، وفي طبقات الرواة والحفاظ وضبط الأسماء وتحقيق الأنساب.

الكتب المؤلفة في الموضوعات ؛

كما ألفت كتب كثيرة في بيان الموضوعات وأهمها؛

١ــ كتاب الموضوعات الكبرى لابن الجوزي، المتوفي سنة ٥٩٧هـ.

٢ــ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي، ٩١١هـ .

## رابعا: ما يخص اجتهاد العلماء في ضبطهم القواعد الخاصة بعلوم الحديث:

إن نظرة عجلى يلقيها الباحث المنصف على تلك الجهود المضنية التي بذلها العلماء في ضبط قواعد علوم الحديث، تقنعه بأن المكان الذي ينبغي أن يتبوأه مصطلح الحديث في تاريخ العلوم، يعلو كل مكان سمت إليه فلسفة المصطلحات في مختلف العصور، وسيجد مادة غنية من النقد العلمي الدقيق الذي بناه المحدثون على تمحيص الحقائق.

فقد بلغ من شدة حرصهم على السنة النبوية أن قسموا الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف، ووضعوا الأمارات والضوابط لكل ذلك، كما وضعوا علامات للوضع في السند، وأخرى للوضع في المتن، يعرف بها من خلال ذلك، فإذا تحققت العلامات والأمارات في أحدهما فإنه لا يقبل بل يرد [1].

---

[1] انظر هذه العلامات في كتاب الوضع في الحديث ١/٣٣٥ وما بعدها للدكتور/ عمر حسن فلاتة .

لقد اعتقد المحدثون أن دراستهم لمتن الحديث وعنايتهم بحفظ كتب الرواية ليست شيئا ذا بال إن لم يقترنا بعلم الحديث دراية، وهو علم يُبحث فيه عن أحوال الراوي والمروي، وهم يقصدون بالراوي حلقة في سلسلة السند، ويقصدون بالمروي متن الحديث.

فعلم مصطلح الحديث لا يقتصر على مباحث الإسناد فقط، بل يتجاوزها المسائل المتعلقة بالمتن أيضا، فمباحثهم تدور حول الإسناد والمتن، من حيث القبول والرد، ففي حالة القبول، يدرسون الصحيح والحسن، وفي حالة الرد يدرسون الضعيف والموضوع.

ولكن إذا كان لابد من الاختيار بين السند والمتن أيهما تدور عليه مباحث المحدثين فإنه المتن بلا نزاع، وما السند إلا وسيلة إلى الأقوال والمتون.

وإذا أضيف إلى هذا كله ورع الرواة في مختلف العصور، وركوبهم المشاق في طلب الحديث، وشعورهم بقيمة المروي بأن هذا الأمر دين أمكننا أن نقول: إن هذا المصطلح على نحو ما عرَّفه المحدثون ليس له في الدقة مثيل في التاريخ [1].

ولعل هذا ما دعى المستشرق الألماني "شيرفجر" إلى القول: (لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم الرجال بمثل ما جاء به المسلمون، حيث درسوا أحوال الرواة وألفوا الموسوعات الضخمة في ذلك) [2]

فقد توسع العلماء في الجرح والتعديل وفي نقد الرجال لكثرة شيوع الضعف من جهة الحفظ، ومن جهة انتشار الأهواء والبدع، كما توقفوا في قبول الحديث ممن لم يعرف به، كما تتبعوا الأحاديث لكشف خباياها، ووضعوا لكل صورة جديدة قاعدة

---

[1] انظر علوم الحديث ومصطلحه للدكتور/ صبحي الصالح ص ٢٧٨ ـــ ٢٨٨ ، باختصار وتصرف.

[2] انظر أضواء على التاريخ الإسلامي للأستاذ / فتحي عثمان ص ١٣٦ ، ط دار الجهاد ١٩٥٦م .

تعرفها وتبين حكمها، فتكاملت أنواع الحديث، واتخذت اصطلاحاتها الخاصة، ووجدت العناية بسبر الروايات وتتبعها لكشف علل الحديث، واستوفى العلماء المتون والأسانيد دراسة وبحثا.

ومن هنا فإن كل ثناء على عمل المحدثين ومصطلحاتهم الدقيقة، لا تفي بما لهم علينا من يد، وعلى الحضارة الإنسانية من فضل، وأيقنا أن دراسة مصطلح الحديث تدعيم لمناهجنا الأصيلة في نشر الثقافة، وهي مناهج لم يعرفها العالم مطبقة إلا مرة واحدة في عصورنا الذهبية، ولا يمكن أن يطبقها غيرنا، لأنها انبثقت من تفكيرنا القادر على التجريد، ومن ثقافتنا الواسعة الشاملة، ومن روح ماضينا المجيد [١].

وبعد هذه الجهود المضنية التي قام بها أسلافنا، والأسوار المنيعة التي أرسوا دعائمها من خلال تلك القواعد والضوابط لم يعد مجال لأحد أن ينفذ إلى هذا الحصن المنيع، وتحقق وعد الله تعالى بحفظ القرآن والسنة معا من عبث العابثين وزندقة المارقين، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٢].

* * *

---

[١] انظر علوم الحديث ومصطلحه لصبحي الصالح ص ٢٨٨ .

[٢] الحجر : ٩ .

## المبحث السابع

## أقسام الدخيل

سبق تعريف الدخيل بأنه: التفسير الذي ليس له أصل في الدين.

وينقسم إلى قسمين رئيسين؛

الأول: الدخيل من حيث المنقول.

الثاني: الدخيل من حيث المعقول.

وينقسم القسم الأول إلى:

١- الروايات الإسرائيلية المخالفة لما ورد في القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة .

٢- الأحاديث الموضوعة في التفسير.

وأما القسم الثاني: فهو ما كان ناشئا عن رأى فاسد، كان مستنده والباعث عليه الحرافا في الفهم السليم، بتوجيه المعقول وجهة منحرفة، والسير به على درب غير مستقيم، بأن يُحكَم العقل فيما ليس الحكم فيه للعقل، أو يُظنَ خطأً أن في ظاهر النص مخالفةً لمقتضى العقل، فيؤول النص ويطرح ظاهره لأجل هذا الظن، أو كان مستند هذا الرأي الفاسد تحكما للهوى، ويمكن أن يتمثل في الآتي :

أمور ستة يتجلى فيها هذا المعنى :

١- رأي منشؤه تحريف المعقول وتعطيل الظواهر، وهذا للمعتزلة وبعض فلاسفة المسلمين.

٢- رأي منشؤه الجمود عند الظاهر مع طرح المعقول، وهذا للمشبهة والمجسمة.

٣- رأي منشؤه التفلسف المتنطع في استبطان المعاني وهو لأهل التصوف الفلسفي.

٤- رأي منشؤه التعسف في استعراض المقدرة اللغوية والإعرابية المنحرفة في توجيـــه الآراء، وكذلك تخريجات نحوية مضطربة شاذة أو ضعيفة، أدت إلى خلـــل في معـــاني التنزيل، وهو

لبعض النحاة واللغويين.

٥- رأي منشؤه إبراز المتكلف والغريب من أوجه الإعجاز، ولا سيما العلمي منه وهو لبعض العاملين بالعلوم المعاصرة.

٦- رأي منشؤه الإلحاد في آيات الله والكيد للإسلام، وهو للباطنية وأمثالهم من الفرق الكافرة كالبهائية والبابية والقاديانية [1].

* * *

---

[1] انظر الدخيل في التفسير ص ٢ للدكتور/ إبراهيم خليفة ، وهي مذكرة في التفسير ألقيت على طلبة السنة الرابعة في كلية أصول الدين ـــ جامعة الأزهر ١٩٨٣م ـــ قسم التفسير، وانظر كذلك الدخيل في تفسير القرآن الكريم ٢/٦٥ص ١٢٩، للدكتور/ عبد الوهاب فايد .

## المبحث الثامن

## أقسام الإسرائيليات باعتبار السند

تنقسم الإسرائيليات باعتبار السند إلى ثلاثة أنواع ؛

ــ الصحيح

ــ الضعيف

ــ الموضوع

١ــ فالصحيح مثاله:

ما أخرجه الإمام ابن كثير في تفسيره نقلا عن ابن جرير الطبري قال: حدثنا المثنى قال: حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا فليح بن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن.﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾[1]وحرزا [2] للأميين ، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا "[3].

قال عطاء: لقيت كعبا، فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا [4].

---

[1] الأحزاب : ٤٥ .

[2] أي حفظا وملجأ.

[3] انظر صحيح البخاري ١٤١/٣، كتاب البيوت ، باب كراهية الصخب في السوق ، طبع دار القلم ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م

[4] انظر تفسير ابن كثير ٢٥٣/١ ، الطبعة التجارية ، ومسند الإمام أحمد ١٤٧/٢، طبع المكتب الإسلامي، بيروت ، والسنن الكبرى للإمام البيهقي ، كتاب النكاح ، باب ما أمره الله به ٧٢/٧ ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

فهذا الأثر ضعيف بهذا الإسناد لأن فيه المثنى بن إبراهيم الآملي ، شيخ الطبري وهو مجهول لا يعرف، ولكنه تقوى وراتفع إلى مرتبة الحَسن لغيره، بل بلغ درجة الصحيح بإخراج الإمام البخاري له في كتابه الجامع الصحيح.

٢ــ والضعيف من ناحية السند والمتن مثاله:

ما ذكره الإمام ابن كثير أيضا في تفسيره في أول سورة "ق" ، قال ابن أبي حاتم حدثني أبي، قال حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي، حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد، عن ابن عباس – رضى الله عنهما– قال: "خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له "ق" سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له "ق" السماء الثانية مرفوعة عليه..... وهكذا حتى عد سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سماوات، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ [١].

وعلق ابن كثير على هذا الإسناد بقوله: "فيه انقطاع" [٢].

يشير بذلك إلى الراوي المجهول الذي أخذ عنه أبو حاتم بقوله: حُدِثت، فضلا عن أن الليث بن أبي سليم المزني ضعفه العلماء ضعفا شديدا [٣]، ثم علق ابن كثير على متنه أيضا بقوله: وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل ....

ومن اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون على الناس أمر دينهم [٤].

---

[١] لقمان : ٢٧.

[٢] انظر تفسير ابن كثير ٢٢١/٤.

[٣] انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤٦٧/٨ ، وتقريب التهذيب ٢٦٣/٢ ، والجرح والتعديل ١٧٧/٧، والكاشف ١٣/٣، ولسان الميزان ٣٤٧/٧، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٢٠٩ ، وأحوال الرجال للجوزجاني ص ٩١، وميزان الاعتدال ٣٤/٤.

[٤] انظر تفسير ابن كثير ٢٢١/٤ .

٣- الموضوع : مثاله :

ما رواه ابن جرير بسنده عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :
" إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس ( بختنصر) وكان الله ملكه سبعمائة سنة، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها، وقتل على دم زكريا سبعين ألفا، ثم سبى أهلها وبني الأنبياء، وسلب حلي بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألف ومائة ألف عجلة من حلي حتى أورده بابل.

قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله، لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله قال: أجل، بناه سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد، أعطاه الله ذلك، وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين، فسار بختنصر بهذه الأشياء حتى نزل بها بابل، فأقام بنو إسرائيل مائة سنة يعذبهم المجوس . . . [(١)].

وكذلك ما أخرجه أبو داود وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه، عن علي قال: إن حبيبي ﷺ نهاني عن الصلاة بأرض بابل فإنها ملعونة [(٢)].

فهذان الأثران موضوعان، لأنهما مما ورد في فضائل المدن التي لم يصح منها إلا القليل.

وفي الأثر الأول مبالغة لما حدث في تلك الفترة، حيث استخرج مائة وسبعين ألف عجلة من حلي، كما أن الوصف الذي ورد في بناء بيت المقدس لم ينقل إلينا من طريق صحيح أو حسن، بل هو من صنع الخيال ووهمه، فضلا عن معارضته للحقائق التاريخية.

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي ١٦٥/٤ ، وتفسير الطبري ٢٢/١٥ .

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي ٩٦/١ ، وسنن أبي داود ١٣٢/١ ، باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة ، وسنن البيهقي ٦٣٢/٢ ، كتاب الصلاة ، باب من كره الصلاة في موضع الخسف والعذاب .

وأما الأثر الثاني؛ فإن الأرض أرض الله ولا تصب اللعنة عليها، بل على مرتكب المعاصي المقيم عليها،

أضف إلى ذلك أن الرسول ﷺ أخبرنا بأن الأرض جعلت له مسجدا وطهورا [1] .

وبابل الآن مدينة عربية إسلامية في الجمهورية العراقية، ومعظم سكانها مسلمون، لذلك فرائحة الوضع بادية في هذين الأثرين بالوضع . والله أعلم .

---

[1] انظر سنن أبي داود ٣٣/١، باب المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة .

# المبحث التاسع

## الإسرائيليات باعتبار الموافقة أو المخالفة لشريعتنا

تنقسم الإسرائيليات باعتبار ذلك إلى ثلاثة أقسام:

١- الموافق لما في شريعتنا:

وهو ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن الكريم والسنة المطهرة، إذ أن القرآن الكريم هو المهيمن والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو حق وصدق، وما خالفه فهو باطل وكذب، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [١].

وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غُنيةٌ عنه،ولكن يجوز ذكره وروايته للإستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم، مثل ما يتعلق بالبشارة بسيدنا محمد ﷺ وبرسالته، وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء، وغير ذلك مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه ولكن بقى شعاع منه يدل على الحق [٢].

أخرج مسلم في صحيحه عن طريق فاطمة بنت قيس - وكانت من المهاجرات الأول - قالت: قال رسول الله ﷺ بعد أن جمع الناس: " إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة، ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيخ الدجال" [٣].

وفي هذا القسم ورد قوله ﷺ : " بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" [٤].

---

[١] المائدة : ٤٨.

[٢] انظر الإسرائيليات في كتب التفسير للدكتور/ محمد محمد أبو شهبة ص ١٠٦.

[٣] انظر صحيح مسلم ٣٧٣/٤ ، طبعة دار الشعب ، مصر ، وهذا جزء من حديث طويل في كتاب ذكر الفتن وأشراط الساعة ، باب قصة الجثاثة .

[٤] انظر صحيح البخاري ٦٣٦/٤ ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم، لأنــه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي قد وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك [1].

فالرسول ﷺ أذن لصحابته بأن يحدثوا عن بني إسرائيل، وأن يــرووا عنــهم الأخبار بشرط أن تكون هذه الأخبار صحيحة، ولا يستطيع المسلم أن يتأكــد مــن صدق أي خبر من أخبار أهل الكتاب إلا إذا جاء في شرعنا ما يدل على صدقه، أمــا الخبر الذي يكون في الشرع ما يدل على كذبه، أو الذي يكون مخالفا لمنطــق العقــل وقواعد التفكير الصحيح، فإنه لا تصح روايته بحال، بل يجب رده وعدم قبوله.

ويبدو أن الإذن قد وقع بعد أن تأصلت الثقافة الإسلامية في نفوس المسلمين، وتميزت في عقولهم تميزا كاملا عن ثقافات أهل الكتاب.

### ٢- المخالف لما في شريعتنا :

وهو ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، وذلك مثل مــا ذكــروه في قصــص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم السلام، كقصة آدم ويوســف وداود وسليمان عليهم السلام، ومثل ما ذكروه في توراقم من أن الذبيح هــو إســحاق لا إسماعيل عليهما السلام، فهذا لا يجوز روايته وذكره، إلا مقترنا ببيان كذبه وتحريفــه وتبديله، قال تعالى :

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [2].

أخرج الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله: "أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ٦/٣٢٠ .

(٢) النساء : ٤٦.

بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه فقال: أمتهوكون [1]فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوه، والذي نفسي بيده لو أن موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني" [2].

وهذا الحديث يمثل تحذيرا شديد اللهجة للمسلمين، من محاولة التعرف على ثقافات أهل الكتاب، سواء كان ذلك بطريق القراءة في كتبهم أم سؤالهم أم الاستماع لأخبارهم.

والسبب في هذا النهي، أن ثقافات أهل الكتاب لا يُطمأن إليها ولا يوثق بها، لأنهم قد حرفوا الكلم عن مواضعه، وغيروا وبدلوا في كتب الله المنزلة على رسلهم، فمن الواجب أن يكون المسلمون على حذر من ثقافاتهم كي لا يقعوا في حيرة واضطراب وبلبلة وكي لا يلتبس عندهم الحق بالباطل.

ومثال هذا القسم: ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم بسند قوي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: " أراد سليمان أن يدخل الخلاء، فأعطى الجرادة خاتمه. وكانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي، فأعطته، فلما لبسه دانت له الجن والشياطين، فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي، فقالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان: قالت: كذبت لست سليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول: أنا سليمان، إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عز وجل، وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان سلطانه، ألقى في قلوب الناس إنكار

---

[1] أي متحيرون شاكون مترددون ، والاستفهام هنا إنكاري .

[2] انظر مسند الإمام أحمد ٣٨٧/٣ ، قال ابن حجر في الفتح ٤٠٤/١٢ ، بعد أن ساق جميع روايات هذا الحديث ( وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به ، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلا ).

ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان، فقالوا لهن: أيكون من سليمان شيء؟ قلن: نعم، إنه يأتينا ونحن حيض، وما كان يأتينا قبل ذلك، فلما رأى الشيطانُ أنه قد فُطن له، ظن أن أمره قد انقطع . . . [1]

وقد روى الحافظ السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس وقتادة أن هذا الشيطان كان يسمى صخرا [2] ،......

وروى عن مجاهد أن اسمه آصف [3].

وفي رواية قتادة ومجاهد: "أن الشيطان لم يسلط على نساء سليمان ومنعهن الله منه فلم يقربهن، ولم يقربنه" [4] . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وكلها مستمدة من قصص أهل الكتاب.

ونحن لا نشك لحظة في أن هذه الخرافات من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم، وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن أهل الكتاب.

وأحب أن أؤكد هنا أن قوة السند، لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله، من مسلمة أهل الكتاب، فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني إسرائيل ، وخرافاتهم وافتراءاتهم على أنبياء الله تعالى [5].

قال القاضي عياض في الشفا: ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه، لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، وقد عصم الأنبياء من مثله [6].

---

[1] انظر الدر المنثور للحافظ السيوطي ٣٠٩/٥ ــ ٣١١ ، وتفسير ابن كثير ٣٦/٤ ، طبع الحلبي وشركاه .

[2] انظر الدر المنثور ٣١٠/٥.

[3] انظر الدر المنثور ٣١٢/٥.

[4] انظر الإسرائيليات والموضوعات للدكتور/ محمد أبو شهبة ص ٢٧٢، والدر المنثور ٣١٢/٥.

[5] انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٧٢ للدكتور/ محمد أبو شهبة .

[6] انظر الشفا للقاضي عياض ١٦٢/٢ طبع استانبول .

أقول : كلها أكاذيب وتلفيقات، ولكن بعض الكذبة من بني إسرائيل كان أحرص وأبعد غورا عن البعض الآخر، فلم يتورط فيما تورط فيه البعض من ذكر تسلط الشيطان على نساء سليمان عليه السلام ، وذلك حتى يكون لما لفقه وافتراه بعض القبول عند الناس، أما البعض الآخر فكان ساذجا في كذبه، مغفلا في تلفيقه، فترك آثار الجريمة بينة واضحة، فاشتمل ما لفقه على دليل كذبه.

ومن العجيب أن الحافظ السيوطي نبه في كتابه " تخريج أحاديث الشفا " علي أنها إسرائيليات، وليته نبه إلى ذلك في التفسير.

وقد ندد الإمام الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره بهذه الرواية ثم قال: إسناده إلى ابن عباس – رضى الله عنهما – قوي ، ولكن الظاهر أنه تلقاه ابن عباس – إن صح عنه – من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام [1]، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء.

والحق أن نسيج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح ولا يصمد أمام النقد، وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه السلام ، فأي ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا ؟

وأي ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم، يدومان بدوامه ويزولان بزواله، وما عهدنا في التاريخ البشري شيئا من ذلك (٢) .

٣ــ ما سكت عنه شرعنا ولم ترد موافقة له أو مخالفة :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولا أمنا بالله وما أنزل إلينا " [3].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣٦/٤. (٢) الإسرائيليات والموضوعات ٢٧٢ ــ ٢٧٤ د / أبو شهبة بتصرف.

(٣) انظر صحيح البخاري ٨٣٥/٤ ، ك التوحيد ، ب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية.

في هذا الحديث لا يحذر الرسول ﷺ صحابته من الاستماع لأحاديث أهل الكتاب، بل يحذرهم فقط من تصديق هذه الأحاديث أو تكذيبها، لأنها قد تكون كاذبة فيصدقون بها، أو تكون صادقة فيكذبون بها، فيقعون في الحرج، ومعنى ذلك أنهم يتوقفون بالنسبة لها، وفي هذا المعنى قال تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [1].

ولعل السبب في نهي الرسول ﷺ عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم، هو أن أهل الكتاب ـ نظرا لكثرة ما حرفوا في كتب الله –لم يكونوا أهلا لأن يثق المسلمون في أخبارهم، وليسوا – كذلك – أمناء عندما يقومون بترجمة التوراة من العبرانية إلى العربية، فلا غرو إذن، أن يحذر الرسول ﷺ من تصديقهم أو تكذيبهم، وحسبُ المؤمنين أن يقولوا لهم – عند سماع أخبارهم – : ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [2].

ومن الروايات الإسرائيلية التي سكت عنها شرعنا : ما أخرجه الإمام ابن كثير عن السدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [3] . قال : كان رجل من بني إسرائيل مكثرا من المال، فكانت له ابنة، وكان له ابن أخ محتاج، فخطب إليه ابن أخيه ابنته، فأبى أن يزوجه، فغضب الفتى فقال: والله لأقتلن عمي، ولآخذن ماله، ولأنكحن ابنته، ولأكلن ديته، فأتاه الفتى، وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل، فقال: يا عم انطلق معي، فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم، لعلي أصيب منها، فإنهم إذا رأوك معي أعطوني، فخرج العم مع الفتى ليلا، فلما بلغ

---

[1] العنكبوت : ٤٦

[2] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ١/١١٢ ـ ١١٤ ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد .

[3] البقرة : ٦٧.

الشيخ ذلك السبط قتله الفتى، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمـه، كأنه لا يدري أين هو، فلم يجده فانطلق نحوه، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليـه، فأخذهم وقال : قتلتم عمي فأدوا إلى ديَته، فجعل يبكي ويحثو التراب علـى رأسـه، وينادي واعماه ! فرفعهم إلى موسى، فقضى عليهم بالدية فقالوا : يا رسـول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه، فيؤخذ صاحب الجريمة، فوالله إن ديته علينا لهينـة، ولكن نستحي أن نُعيَّر به، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [1].

فهذا من القصص المسكوت عنه، ولا يحمل في طياته أية إشارة لعدم قبولـه، ولكنه مقطوع من حيث السند، وهو مثل الأخبار التاريخية الأخرى، يحتمل الصـدق والكذب، ولكننا نجل القرآن الكريم أن يفسر بمثل هذا.

وكذلك أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم وعددهم، وعصا موسى من أي نوع من الشجر كانت ، وأسماء الطيور وأنواعها التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام .... إلى غـير ذلك مما أبهمه القرآن ولا فائدة من ذكره وتعيينه.

* * *

[1] البقرة : ٧٢ ، وانظر تفسير ابن كثير ١٠٩/١ ، طبع عيسى البابي الحلبي.

# المبحث العاشر

# الإسرائيليات باعتبار موضوعها

تنقسم الإسرائيليات باعتبار موضوعها إلى:

## ١ــ ما يتعلق بالعقائد والأصول:

مثاله؛ ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في باب قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [1] . بسنده عن عبد الله بن مسعود [2] ﷺ قال: جاء حبر من الأحبار إلى الرسول ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [3].

وتكلم ابن حجر في الفتح في شرح هذا الحديث، ونقل أقوال العلماء في تأويل الإصبع، ثم قال: والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل، مع اعتقاد التنزيه، فإن كل ما يستلزم النقص فظاهره غير مراد [4].

## ٢ــ ما يتعلق بالأحكام:

مثاله ؛ ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: كيف تفعلون بمن زنى

---

(١) الزمر : ٦٧.

(٢) عبد الله بن مسعود ، انظر صحيح البخاري ، وطبقات القراء لابن الجوزي ٤٩٨/١ ، وتهذيب التهذيب ٨٤/٧ ، وشذرات الذهب ٧٨/١ .

(٣) انظر صحيح البخاري ٤٩٧/٣، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ، طبع دار القلم، ١٤٠٧ هـــ ١٩٨٧م .

(٤) انظر فتح الباري لابن حجر ٤٢٣/٨ ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

منكم؟ قالوا نحممهما [١] ونضربهما، فقال: لا تجدون في التوراة الرجم؟

فقالوا: لا نجد فيها شيئا.

فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها (الذي يدرسها منهم ) كفه على آية الرجم ، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ، ولا يقرأ آية الرجم ، فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يجنأ [٢] عليها يقيها الحجارة [٣].

٣ـ ما يتعلق بالحوادث العامة ، كالقصص والمواعظ وما لا فائدة من ذكره.

مثاله؛

ما ذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ [٤].

قال: وذكر محمد بن إسحاق عن التوراة، أن الله تعالى أمره (يعني نوحا عليه السلام) أن يصنعها – أي السفينة – من خشب الساج،(٥) وأن يجعل طولها ثمانين ذراعا،

---

[١] أي تسود وجوههما بالفحم ونحوه ، انظر المعجم الوسيط ١/ ٢٠٠.

[٢] أي أكب وأشرف بكاهله على صدره ويميل عليها بجسمه ويحني عليها ليحميها من وقع الحجارة ، انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ١/ ٩٩.

[٣] انظر صحيح البخاري ٦/ ٣٦٣ ، كتاب تفسير القرآن ( سورة آل عمران ) باب قوله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ .

[٤] هود : ٣٧.

(٥) والسَّاجُ الطَّيْلَسانُ الضخم الغليظ وقيل هو الطيلسان المقوّر ينسج كذلك وقيل هو طيلسانٌ أَخضر. لسان العرب ٢/ ٣٠٢

وعرضها خمسين ذراعا وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار، وأن يجعل لهـــا جُؤجـــؤا [1] وأزورا [2] يشق الماء [3].

* * *

[1] الجؤجؤ : عظام صدر الطائر ، وجمعه جآجئ ، وفي حديث علي (كرم الله وجهه) كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة ، أو كجؤجؤ طائر في لجة بحر ، وجؤجؤ السفينة والطائر صدرهما ، انظر لسان العرب لابن منظور ٣٤/١ ، طبعة بولاق ١٣٠٠هـ .

[2] الأزوار : من الزور وهو وسط الصدر أو ما ارتفع منه إلى الكتفين ، أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت، والجمع : أزوار ، والزور الميل ، وعنق أزور : أي مائل ، انظر لسان العرب ٤٢٦/٥، والقاموس المحيط ٦٧/١.

[3] انظر تفسير ابن كثير ٤٤٤/٢ ، طبع : عيسى البابي ـــ القاهرة .

# المبحث الحادي عشر

## أثر الدخيل والإسرائيليات في التفسير وفي المسلمين

قبل أن نخوض غمار هذا البحث الشائق الشائك، يحسن بنا أن نتحدث باختصار عن موقف المفسرين في كتبهم من الإسرائيليات.

في البداية لي ملاحظتان؛

أولاهما: إن المفسرين بوجه عام قد تساهلوا في إيراد الإسرائيليات في كتبهم، ومعظمها أباطيل وخرافات من نسيج الخيال، إلا أن مقدار هذا التساهل يختلف من مفسر لآخر.

الثانية: إن أولئك المفسرين الذين وضعوا لأنفسهم في مقدمة تفاسيرهم منهجا دقيقا للإسرائيليات، لم يلتزموا هذا المنهج في أثناء التفسير، مثل الإمام القرطبي، المتوفي سنة ٦٧١هـ. فعلى الرغم من أنه يقول في مقدمة تفسيره: وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه، ولا غنى عنه للتبيين [١] ا.هـ.

نجده يتوسع كثيرا في إيراد الإسرائيليات، ويأتي لنا خلال تفسيره بالأباطيل والخرافات [٢].

بعد ذلك نستطيع أن نقول: إن المفسرين بالنسبة للإسرائيليات فريقان: فريق أكثر من رواية هذه الإسرائيليات، وفريق قلل من روايتها.

فمن المفسرين الذين أسرفوا وتوسعوا في ذكرها، الإمام محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠هـ، في تفسيره الشهير "جامع البيان في تفسير القرآن" [٣]

---

[١] انظر تفسير الإمام القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٣/١ ، دار الشعب.

[٢] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم للدكتور/ عبد الوهاب فايد ١٦٢/١.

[٣] طبع هذا التفسير عدة طبعات ، منها طبعة دار الكتب العلمية في بيروت في ١٢ مجلد ، وحققه الأستاذ/ أحمد شاكر وآخرون ..

والإمام أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المتوفي سنة ٤٢٧هـ، في تفسيره المسمى " الكشف والبيان عن تفسير القرآن " [١].

أما المفسرون الذين قللوا من رواية الإسرائيليات إلى حد كبير واحتاطوا كثيرا في إيرادها، الإمام عبد الحق بن عطية، المتوفي سنة ٥٤١هـ، في تفسيره المشهور باسم "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" [٢].

والإمام الحافظ إسماعيل بن كثير، المتوفي سنة ٧٧٤هـ، في تفسيره المسمى "تفسير القرآن العظيم" [٣].

---

(١) يقال له الثعلبي والثعالبي ، ولم يقتصر تفسيره على المأثور فحسب ، بل جمع فيه إلى المأثور ذكر الوجوه والقراءات والعربية واللغات والإعراب والموازنات والتفسير والتأويلات ، والأحكام والفقهيات والحكم والإشارات والفضائل والكرامات . . . .

ثم ذكر في أول الكتاب أسانيده إلى من يروي عنهم التفسير من علماء السلف ، واكتفى بذلك عن ذكرها أثناء الكتاب، كما ذكر أسانيده إلى مصنفات أهل عصره وكتب الغريب والمشكل والقراءات .

انظر التفسير والمفسرون ٢٢٩/١ للذهبي ،

ولئن أثنى عليه بعض العلماء ، فقد أخذه ونقده البعض الآخر من علماء الرواية والدراية وأئمة النقد ، فقد ملأ كتابه هذا بالموضوعات والقصص الإسرائيلي .

وقد نقده ابن تيمية فقال : والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع .

انظر مقدمة في أصول التفسير ، ص ٣٢ ، لابن تيمية . فليكن القارئ لهذا التفسير على بينة من أمره ولا يغتر بكل ما يذكر فيه .

(٢) طبع في دار الكتب العلمية في بيروت في ست مجلدات ، ووضع حواشيه / عبد السلام عبد الشافي محمد.

(٣) هذا التفسير من أجل التفاسير إن لم يكن أجلها وأعظمها ، جمع فيه ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ بين التفسير والتأويل والرواية والدراية ، مع العناية التامة بذكر الأسانيد وبيان صحيحها من ضعيفها ومن موضعها ، ونقد الرجال والجرح والتعديل، واستيفاء الآيات في الموضع الأول ، وتفسير القرآن بالقرآن ، وحسن البيان والبعد عن التعقيد ، وهذا التفسير يعتبر نسيج وحده في التنبيه على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ، وله في ذلك حاسة دقيقة وملكة راسخة في نقد المرويات والتنبيه منشئها ومصدرها ، وكيف دست في الرواية الإسلامية .

انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص ١٢٩ للدكتور/ محمد أبو شهبة .

كذلك نستطيع أن نقول: إن المفسرين يختلفون - بالنسبة للإسرائيليات ما بين ناقل وناقد،

فمن الذين شحنوا كتبهم بالإسرائيليات من غير تمحيص ولا نقد، الإمام الحسين بن مسعود البغوي، المتوفي سنة ٥١٦هـ، صاحب كتاب "معالم التنزيل" [١]،

والإمام علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، المتوفي سنة ٧٤١هـ، صاحب كتاب "لباب التأويل في معاني التنزيل" [٢].

أما المفسرون الذين كانت لهم جهود موفقة في نقد هذه الإسرائيليات وتمحيصها، فعلى رأسهم الإمام عبد الحق بن عطية والحافظ ابن كثير، والعلامة جار الله الزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨هـ، وإن كان قد تسرب إلى تفاسيرهم جميعا بعض

---

[١] معالم التنزيل في التفسير ، هو كتاب متوسط ، نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وهو ليس خالصا للتفسير بالمأثور، بل جمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد المقبول، كما لم يذكر فيه الأسانيد اكتفاء بذكرها في أول كتابه، كما صنع الثعلبي في تفسيره الذي هو أصل تفسيره ومرجعه. وهذا التفسير من خيرة التفاسير وأسهلها وأبعدها عن التعقيد وعدم الاستطراد ، وعدم الإكثار من المباحث اللغوية والنحوية والفقهية، قد جمع فيه بين الصحيح والضعيف، وذكر فيه كثيرا من الإسرائيليات والموضوعات، كتفسير الثعلبي إلا أنه مقل في ذلك عنه، وهو مطبوع ومشهو ، وطبع في دار الكتب العلمية في بيروت عدة طبعات .

[٢] صدر الإمام الخازن كتابه هذا بمقدمة مفيدة في فضل القرآن وتلاوته، ووعيد من تكلم في تفسير القرآن بغير علم ، وقد جمع تفسيره هذا من تفسير البغوي وغيره من التفاسير التي تقدمته وليس له فيه ـ كما يقول في ديباجته ـ سوى النقل والانتخاب مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل .

ومن حسنات هذا الكتاب عناية صاحبه بتخريج الأحاديث ، وبيان من رواها من الأئمة في كتابه ، مشيرا إلى صاحب الكتاب بالحرف تارة وذكر الاسم تارة أخرى. وقد امتلأ هذا التفسير كأصله- تفسير البغوي وتفسير الثعلبي - بالقصص والأخبار والإسرائيليات الباطلة ، ولا سيما في قصص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية، والفتن والملاحم ، إلا أنه يكر (يرد ) على بعض الإسرائيليات والموضوعات ولا سيما ما يتعلق بعصمة الأنبياء عليهم السلام ، وما يخل بالعقيدة الصحيحة بالإبطال، وأطنب في ذلك،

ويؤخذ عليه ذكره الكثير من الإسرائيليات المشتملة على العجائب والتي لا يشهد لها أثر صحيح ولا عقل سليم، ولا يعقب عليها بتضعيف أو إبطال. وهذا التفسير مطبوع ومشهور، وطبع في دار الكتب العلمية في بيروت عدة طبعات. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٣٩،محمد أبو شهبة ، بتصرف قليل

الإسرائيليات دون أن يعقبوا عليها بشيء [1].

## أثر الدخيل والإسرائيليات في التفسير وفي المسلمين

أما أثر الدخيل والإسرائيليات في التفسير وفي المسلمين فأقول:

إن الإسرائيليات بما حوته من خرافات وأساطير، وما أدخله أعداء الإسلام من روايات وأخبار في تفسير الكتاب العزيز، ونسبة ذلك إلى الرسول ﷺ حينا، أو إلى صحابته الكرام حينا آخر، قد ترك أثرا سيئا على علم التفسير خاصة، وعلى المسلمين بصفة عامة، وذلك للأسباب التالية:

أولا: فتحت الباب واسعا أمام الأعداء والحاقدين ليطعنوا في دين الله، حيث أظهروا الإسلام بأنه دين اشتمل على الخرافات والأباطيل والأساطير، وأنه ينسجم معها في تعاليمه وأخباره، وهذا الاتهام شكل إعاقة بل سدا منيعا أمام الباحثين عن الحقيقة في اعتناق دين الإسلام، فازداد الخرق على الراقع اتساعا، فإذا حُققت هذه

---

[1] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد ١٦٢/١، ١٦٣ بتصرف ، وتفسير الكشاف للزمخشري ، خير كتب التفسير وأجلها لولا نزعته الإعتزالية في تفسير بعض الآيات القرآنية ، والتي بسببها تناوله المعترضون بالنقد اللاذع ، ويكفي هذا الكتاب فضلا ومنزلة ، أن كل من جاء بعد الزمخشري عالة عليه فيما يذكره من أسرار الإعجاز والغوص في المعاني البلاغية الدقيقة ،

- ومن مميزات هذا التفسير :

١ــ خلوه من الحشو والتطويل ٢ــ سلامته من القصص الإسرائيلي غالبا ، وإذ ذكر بعضه فإنه يفنده

٣ــ اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في الخطاب .

٤ــ عنايته الفائقة بالإبانة عن أسرار الإعجاز القرآني وبطريقة فنية . وقد قيض الله لهذا الكتاب من نبه إلى ما فيه من اعتزاليات ، وبين ما فيه من انحراف ، وميل باللفظ القرآني إلى مذهب أهل الاعتزال ، وهو الإمام أحمد بن محمد ، المعروف بابن المنير ، عالم الإسكندرية وقاضيها في كتابه "الإنتصاف" . انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص ١٣١ ، ١٣٢ للدكتور / محمد أبو شهبة ، بتصرف قليل .

الأخبار الكاذبة من الخرافات والأباطيل، وبان زيفها سقطت وتهافتت أمام حقيقة الإسلام الناصعة ومنطقه الرشيد.

ثانيا: لقد اغتر بهذه الروايات قسم كبير من الناس، خدعوا بها وأوردوها في مؤلفاتهم، وهذا أمر في غاية الخطورة، حيث ذكرت في كتب ومؤلفات لعلماء أفاضل بحجة الأمانة العلمية، فكان وجودها على هذا النحو – ومن غير تضعيف لها – من العوامل التي ساعدت عوام الناس على قبولها وانتشارها بينهم.

ثالثا: كانت هذه الروايات وأمثالها من المعوقات لتقدم الفكر الإسلامي الصحيح، فبدل أن يتفرغ الناس والعلماء والباحثون لدراسة القيم والمبادئ الإسلامية، وتنظيمها وتبويبها لعرضها على الناس، صرفوا معظم وقتهم في بيان زيف هذه الخرافات والأباطيل وإظهار ضعفها وخطئها.

رابعا: لقد كان لهذا الحشد الهائل من الروايات الدخيلة في التفسير، أثر غير مرغوب فيه بين المسلمين، مما أضفى على التفسير نوعا من الاضطراب وعدم الثقة.

وليت الأمر اقتصر على ما يتعلق بالروايات التاريخية والقصص وأخبار الأولين العاديين، فقد يكون ضرره أقل، إلا أن الذي زاد الطين بلة والأمر تعقيداً وسوءا، أن وصل الخدش والتجريح بأشخاص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد رويت بحقهم روايات تتنافى وعصمتهم، وتخل بمروءتهم، ويخجل القلم من تسطيرها [1]، إنها روايات غثة مكذوبة يأباها النظم الكريم، ويجزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء عليهم السلام.

[1] انظر تفسير الطبري ، ١٠٨/١٢ ــ ١١٤ ، الدر المنثور ١٣/٤ ــ ١٤ ، وكذلك ٢٨٠/٥ وكذلك ٣٠٠/٥ ــ ٣٠٢ ، وكذلك ٥/ ٣١٥ ــ ٣١٦ .

خامسا: فرقت المسلمين شيعا وأحزابا، وأفسدت عليهم عقيدتهم بما حوته من عقيدة التشبيه والتجسيم، ووصف الله تعالى بما لا يليق بجلاله وعظمتـــه، وبتصـــويرها للأنبياء بما يتناف وعصمتهم.

كما كان لليهود أثر واضح في فتنة خلق القرآن التي نقلت عـــن لبيـــد بـــن الأعصم اليهودي.

ولا يخفى على أحد ما أصاب المسلمين من ويلات وفتن بسببها.

يقول الأستاذ إسماعيل سالم عبدالعال: إن الفساد الذي أصاب كثيرا من الناس في عقيدتهم، وبلبل أفكارهم وأثر فيهم تأثيرا بالغ السوء من جراء الروايات الإسرائيلية والقصص الخرافي والأوهام الباطلة لا يستهين به إلا مأفون أو مخبول [1].

سادسا: شُغل بعض الناس بتتبع هذه الروايات، فصرفوا بسببها عن التدبر في آيات القرآن الكريم وفي أحكامه ومواعظه وقصصه، ودعوة الناس إلى الإسلام.

فشغلوا بالبحث عن لون كلب أهل الكهف ومعرفة أسمائهم، وعـــن عصـــا موسى ومن أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم، وعن اسم الغلام الذي قتله الخضر، وعن طول سفينة نوح وعرضها وارتفاعها وأسماء الحيوانات التي حملت فيها، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى . . . . . .

إلى غير ذلك مما سكت عنه القرآن الكريم وأبهمه، مما لا فائدة من تعيينه تعـــود علـــى المكلفين في دنياهم ولا في دينهم.

سابعا: أحدثت هذه الروايات وأمثالها اضـــطرابا فكريـــا وتنازعـــا في الآراء، حجب الرؤية الصحيحة عن بعض العقول، ونشأ بسبب ذلـــك خـــلاف في بعـــض المسائل،

---

[1] انظر نقد ابن كثير للإسرائيليات ، بقلم الأستاذ / إسماعيل سالم عبد العال ، مقال نشر في مجلة الوعي الإسلامي، ص ٢٧ ، العدد ١٢٥ ، سنة ١٩٧٥م .

فمن ذلك؛

من الذبيح؟ إسماعيل أم إسحاق؟

ولعل هذا ما دفع الإمام ابن كثير – رحمه الله – للقول: وهذه الأقوال كلها والله أعلم، مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في زمن الدولة العمرية جعل يحدث عمر ﷺ عما كتبه قديما،فربما استمع له عمر ﷺ فترخص الناس في استماع ما عنده، ثم نقلوه عنه، غثها وسمينها .

وليس لهذه الأمة – والله أعلم – حاجة إلى حرف واحد مما عنده [1] .

ولخطورة هذه الروايات على المسلمين فقد حذر كثير من العلماء منها، وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبده [2] ، والشيخ محمود شلتوت [3]، والشيخ عبد المنعم النمر [4] ، والشيخ أحمد شاكر [5]، وغيرهم من العلماء الأجلاء الذين تنبهوا لهذا الأمر.

ثامنا: إن وجود الدخيل والإسرائيليات في التفسير كاد يذهب الثقة في بعض الروايات الصحيحة عن الصحابة والتابعين، حيث أسند الكثير من الروايات غير الصحيحة إلى هؤلاء الأعلام .

ولا شك أن إسنادها إلى هؤلاء العلماء غفلة شديدة منهم لا نرضاها، نسأل الله لهم العفو والمغفرة.

---

(1) انظر تفسير ابن كثير ٨٧/٤ بتصرف واختصار.

(2) انظر تفسير المنار ٣٤٧/١ .

(3) انظر كتاب الفتاوى ، لشيخ الأزهر / محمود شلتوت ، ص ٥٦.

(4) انظر مجلة العربي الكويتية ، العدد ١٣٨ ، تشرين الأول / اكتوبر ، ١٩٦٩م ، مقال بعنوان [ ابن جرير الطبري ].

(5) انظر عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، ص ١٤ ـــ ١٥ تحقيق الشيخ / أحمد شاكر.

وهذه الروايات إما إسرائيلية وخرافات وضعها زنادقة أهل الكتاب القدامى، الذين أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين، حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا، وتلقاها عنهم بعض الصحابة والتابعين، بحسن نية أو اعتماد على ظهور كذبها وزيفها.

وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة، دسها أعداء الأديان كي تروج تحت هذا الستار، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة [1] وهذا ما أميل إليه.

وقد كان لهذه الإسرائيليات أثر بالغ الضرر في الإسلام نفسه، لأن وجودها في كتب التفسير يصور الإسلام في صورة بشعة، أقرب ما تكون إلى الخرافة والأساطير، ومن هنا يتخذ الملاحدة وأعداء الدين – من مبشرين ومستشرقين – من هذا التسرب الإسرائيلي، مادة خصبة للهجوم على القرآن الكريم ، بدعوى أنه كتاب تفسره الخرافات وتحيط به الأباطيل.

* * *

(1) انظر تفسير المنار ، ٣/١٣ ، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، للدكتور/ محمد أبو شهبة .

# المبحث الثاني عشر
## حكم رواية الإسرائيليات

يجدر بنا قبل الحديث عن حكم رواية الإسرائيليات أن نتحدث عن النصوص الثابتة في روايتها، فهناك نصوص تبيح روايتها ولها وجه من الدلالة، وأخرى تمنع.

أولا ــ أدلة الإباحة والجواز:

١ــ ما ورد في القرآن الكريم من جواز الرجوع إلى أهل الكتاب ومساءلتهم:

أ ــ قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْـرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١)، فالأمر في الآية للإباحة لرسول الله ﷺ أن يسأل أهل الكتاب، والأمة تشترك مع الرسول ﷺ في الخطاب، إذ لم يقم دليل على الخصوصية.

ب ــ قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢). وهذا دليل في جواز الرجوع إلى التوراة لمعرفة بعض الأحكام منها (٣).

ج ــ قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَـهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (٤). والمراد بقوله تعالى:﴿ وَمَنْ عِـنْدَهُ عِلْـمُ الْكِتَابِ ﴾. عبد الله بن سلام على قول أكثر المفسرين (٥).

د ــ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ (٦).

---

(١) يونس : ٩٤. (٢) آل عمران : ٩٣.

(٣) انظر تفسير الآلوسي ، ٨٥/٢٠ بتصرف يسير .

(٤) الرعد : ٤٣.

(٥) انظر تفسير النسفي ، ٢٥٣/٢ .

(٦) الإسراء : ١٠١.

قال أبو السعود في تفسيره: الخطاب في الآية لرسول الله ﷺ ، أي فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقينا، أو ليظهر صدقك [١].

## ٢ــ ما ورد في السنة:

أ – ما رواه الإمام البخاري في صحيحه – بسنده – عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال : "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسـرائيل ولا حـرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" [٢].

ب – ما رواه الإمام البخاري في صحيحه – بسنده – في باب التفسير عنـد قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَـادِقِينَ ﴾ [٣] ، حيـث اسـتمع الرسول ﷺ وبعض صحابته الكرام لبعض اليهود وهم يتلون التـوراة ، وناقشـهم في ثبوت الرجم في التوراة [٤].

ج – ما أخرجه الإمام مسلم عن طريق فاطمة بنت قيس ، وفيه: "أن النبي ﷺ استمع لتميم الداري وكان رجلا نصرانيا – فأسلم – وحدثه حديثا وافق ما حدث به رسول الله ﷺ المسلمين عن المسيح الدجال" [٥].

د – ما رواه الإمام أحمد – بسنده – عن مسروق عن ابن مسعود قـال: "إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة فدخل الكنيسة، فإذا هو بيهـودي، وإذا بيهودي يقرأ عليهم التوراة، فلما أتوا على صفة النبي ﷺ أمسكوا، وفي ناحيتها رجـل مريض،

---

[١] انظر تفسير أبي السعود، ٢٣٥/٣ ، الطبعة المصرية .

[٢] انظر صحيح البخاري ٦٣٦/٤ ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

[٣] آل عمران : ٩٣.

[٤] انظر صحيح البخاري ٣٦٣/٦ ، ك التفسير، ب قوله تعالى: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾.

[٥] انظر صحيح مسلم ٥/ ٨٠ ، كتاب ذكر الفتن وأشراط الساعة ، باب قصة الجساسة .

فقال النبي ﷺ ما لكم أمسكتم؟ فقال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة، فقرأ حتى أتى على صفة النبي ﷺ وأمته، فقال: هذه صفتك وصفة أمتك أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم مات، فقال النبي ﷺ : لُوا أخاكم" وإسناده جيد [1].

ففي سماع الرسول ﷺ التوراة من الرجل المريض دليل على إباحة الأخذ والقراءة، والاستدلال بما ورد في كتب أهل الكتاب، بل هو إقرار لهذه الإباحة، والإقرار يعمل به عند علماء الحديث وغيرهم.

٣ـ ما ثبت من رجوع بعض الصحابة إلى من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم ويناقشونهم لبعض ما جاء في كتبهم، كأبي هريرة وابن عباس وابن مسعود....وغيرهم[2].

وكذلك ما ثبت من اقتناء بعض الصحابة لبعض كتب اليهود، وبعض صحف التوراة، فقد ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه أصاب جملة من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها، ورأى فيها عجائب [3].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير حديثا مرفوعا عن عبد الله بن عمرو بن العاص: " أن رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس حين غابت فقال: في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض " .

ثم شكك في صحة هذا الحديث قائلا: وفي صحة الحديث نظر، ولعله من كلام عبد الله بن عمرو، من زاملتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك [4].

---

(1) انظر الفتح الرباني ،أ/ عبد الرحمن البنا، ٩٩/١ ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ومعنى : " لو أخاكم " تولوا شأنه من غسل وتكفين وصلاة عليه ، لأنه دخل الإسلام بنطقه بالشهادتين.

(2) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٠/١.

(3) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٥/١ ، وانظر تفسير القاسمي ٤٢/١.

(4) انظر مقدمة في أصول التفسير ص ٩٨ ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط ٢ ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٥هـ.

وأرى أن ما ورد من هذا كله لا يصح أن يفهم على إطلاقه، بل لابد من أن يقيد بدائرة الجواز، كما فهمنا من الحديث الشريف، وهي الأخبار الصادقة فقط، وذلك لأن منهج الصحابة جميعا كان يقوم أساسا على الدقة والتحري والاحتياط والتشدد في النقل عن أهل الكتاب [1].

## ثانيا: أدلة المنع من الرجوع إلى أهل الكتاب :

١- ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن اليهود والنصارى حرفوا كتبهم نصا وتفسيرا، مما أذهب الثقة بها وبما يحدثون عنها، وما لا يوثق به لا تجوز روايته، فمن الآيات الخاصة باليهود والتي تفيد تحريف التوراة:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [2].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [3].

وفي شأن النصارى :

أ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ....﴾ [4].

---

[1] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ١/١٣٠ ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد.

[2] الأنعام : ٩١.

[3] المائدة : ١٣.

[4] المائدة : ١٤.

ب ــ وقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [1]

## ٢- ومما جاء في السنة النبوية :

أ ــ ما رواه الإمام البخاري في صحيحه – بسنده – عن أبي هريرة قال: " كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال لهم رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ .... ﴾ الآية [2].

ب ــ ما رواه البخاري في صحيحه – بسنده – عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ؟ وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله، محضا لم يشب [3] ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب وغيروا، فكتبوا بأيديهم، قالوا هو من عند الله، ليشتروا بذلك ثمنا قليلا، أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم [4].

جـ ــ ما روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه " نهى كعب الأحبار عن التحديث ، وهدده بالنفي، إلى بلاده، وقال له: " لتتركن الحديث عن الأول، أو لألحقنك بأرض القردة" [5].

---

(١) المائدة : ١٥.

(٢) انظر صحيح البخاري ٣٧٨/٤ ، كتاب التفسير ، باب ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ .

(٣) أي خاليا من شوائب التحريف والتبديل والتغيير لأنه محفوظ بحفظ الله تعالى ، ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، انظر القاموس المحيط ٨٨٣/١.

(٤) انظر صحيح البخاري ٨٢٨/٩ ــ ٨٢٩ ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾.

(٥) انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، ١٠٨/٨ ، مطبعة السعادة .

د ـــ ما أخرجه عبد الرزاق في مسنده من طريق حريث بن ظهير قال: قـــال عبد الله – يعني ابن مسعود – : لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل [1].

وقال السيد رشيد رضا في تفسيره: والمراد من النهي عن سؤالهم، النهي عـــن سؤال الاهتداء، وتلقي ما يرونه بالقبول لأجل العلم بالشرائع الماضية، وأخبار الأنبياء لزيادة العلم، أو لتفصيل بعض ما أجمله القرآن .

وسببه ما هو ظاهر من السياق، وهو أنهم لنسيانهم بعض مـــا أنـــزل إلـــيهم وتحريفهم لبعضه، بطلت الثقة برواياتهم، فالمصدق بهـــم عرضـــة لتصـــديق الباطـــل، والمكذب بهم عرضة لتكذيب الحق، إذ لا يتيسر لنا أن نميز فيما عندهم بين المحفـــوظ السالم من التحريف وغيره، فالاحتياط ألا نصدقهم ولا نكـــذبهم، إلا إذا رووا شـــيئا يصدقه القرآن أو يكذبه، فإننا نصدق ما صدقه، ونكذب ما كذبه، لأنه مهيمن علـــى تلك الكتب وشهيد عليها [2]. أما ما سكت عنه فالأولى أن نتوقف في قبوله وروايتـــه، مع جواز إطلاعنا عليه اتقاء لشره ولتحذير الناس منه .

## خلاصة القول :

نخلص مما سبق أن مسألة رواية الإسرائيليات قد مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى :

منع المسلمين من هذه الروايات وتحذيرهم تحذيرا شديدا من محاولة التعـــرف على ثقافات أهل الكتاب، سواء كان ذلك بطريق القراءة في كتبـــهم أو ســـؤالهم أو

---

[1] انظر فتح الباري ، لابن حجر ، ٢٥٩/١٣.

[2] انظر تفسير المنار ، ١٢/٦ ، للسيد / رشيد رضا ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٧٥هـ ، مطبعة محمد صبيح ، مصر.

الاستماع لأخبارهم، وكان ذلك -كما يبدو - في بداية اتصال المسلمين بأهل الكتاب في المدينة.

### المرحلة الثانية:

السماح والإذن بسماع هذه الروايات وعدم تصديقها أو تكذيبها، مع تجديد إيمانهم عند سماعهم لشيء من هذه الروايات.

المرحلة الثالثة:

الإذن للمسلمين بالحديث عن أهل الكتاب، ورواية الأخبار، بشرط أن تكون هذه الأخبار صادقة وموافقة لما في شرعنا.

### التوفيق بين الرأيين :

يمكننا أن نجمع بين الرأيين السابقين - الإباحة والمنع - جمعا بين النصوص ذاتها، وعملا بها جميعا وذلك على الوجه التالي:

١ـ إن ما جاء من هذه الروايات موافقا لشرعنا تجوز روايته والتحديث به، وعليه تحمل الآيات والأحاديث المبيحة لذلك.

٢ـ وما جاء من هذه الروايات مخالفا لشرعنا، أو كان لا يستقيم مع العقل والمنطق، فلا يجوز التحدث به ولا الإخبار به، وعليه تحمل أدلة المنع والحظر.

٣ـ وأما ما سكت عنه شرعنا توقفنا في قبوله، عملا بالحديث الشريف، وكذلك توقفنا في روايته فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب، لأن روايته توهم قبوله والتصديق به، وما قد توقفنا في قبوله فمن الأحوط أن نتوقف كذلك في روايته.

فالمقياس في القبول والرواية واحد، وهو ما ورد من نصوص في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، فما كان من الإسرائيليات موافقا لذلك قبلناه وأجزنا روايته، وما كان منها مخالفا لذلك رددناه، وما كان مسكوتا عنه في ديننا بحيث لا يكون في نصوص القرآن

الكريم أو السنة الشريفة، ما يوافقه ولا يخالفه، توقفنا في قبوله عملا بالحديث الشريف.

وأرى كذلك أن نتوقف في روايته، قياسا على توقفنا في قبوله سدا للذريعة [1]

ويرى بعض العلماء أن هذا القسم تجوز روايته استنادا إلى عموم الإباحة في قوله ﷺ " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" [2].

ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– حيث يقول:

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم [3]

وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني [4]

ومنهم أيضا الإمام برهان الدين البقاعي حيث يقول: هذا فيما يصدقه كتابنا، وأما ما لا يصدقه ولا يكذبه، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج . . ." [5] . فإن دلالة هذا على سنية ذكر مثله، ذلك أقرب إلى الدلالة على غيرها [6].

وقد مشى على سنن هؤلاء العلماء الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي – رحمه الله – فأجاز رواية هذا القسم المسكوت عنه فقال:

وأما ما سكت عنه شرعنا، ولم يكن فيه ما يشير لصدقه ولا لكذبه وكان محتملا، فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه، أما روايته فجائزة على أنها مجرد

---

(1) انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد ١/١٥٦ ــ ١٥٧.

(2) انظر صحيح البخاري، ٦٣٦/٤ ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(3) من قول الرسول ﷺ : " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " ، انظر مقدمة في أصول التفسير ص٩٨.

(4) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، ص ١٠٠ ، تحقيق الدكتور/ عدنان زرزور، ط بيروت .

(5) انظر صحيح البخاري ، ٦٣٦/٤ ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

(6) انظر تفسير القاسمي ، ٤٧/١.

حكاية لما عندهم، لأنها تدخل في عموم الإباحة المفهومة من قوله ﷺ : " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" [1].

ولأن غالب ما يروى من ذلك راجع إلى القصص والأخبار، لا إلى العقائد والأحكام، وروايته ليست إلا مجرد حكاية له كما هو في كتبهم، أو كما يحدثون به، بصرف النظر عن كونه حقا أو غير حق [2].

ولكن هل يجوز ؟ لمن له قدم راسخة في العلم، الإطلاع على الإسرائيليات والنقل منها؟ في مقام الرد على أصحابها، وإلزامهم وإقامة الحجة عليهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن ؟ إن الإتيان بالتوراة وتلاوتها يفيدان جواز معرفة ما فيها والإطلاع عليها، في مقام الحاجة لهم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3]،

وما ثبت عن الرسول ﷺ من أنه طلب إلى اليهود أن يحتكموا في قضايا معينة إلى التوراة التي بأيديهم فرفضوا [4]، فإن طلب الرسول ﷺ ذلك من اليهود، دليل على جواز معرفة ما في كتبهم والإطلاع عليها، في مقام إلزامهم وإقامة الحجة عليهم.

وإنما قلنا: إن ذلك جائز لمن له قدم راسخة في العلم دون غيره، لأن من تمكن في علوم الدين وقويت معرفته بها يستطيع – بسهولة – أن يميز بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، والغث والسمين، بخلاف غيره فقد يلتبس عنده الحق بالباطل، فيقع في ضلال مبين [5].

---

[1] انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور الذهبي ، ص ٨٠.

[2] انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور الذهبي ، ص ٨٦ ، ٨٧.

[3] آل عمران : ٩٣.

[4] صحيح البخاري ، ٣٦٣/٣ ، ك التفسير ، ب قوله تعالى: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾.

[5] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، ١٦١/١ ــ ١٦٢ ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد بتصرف قليل .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويصير من الراسخين في الإيمان، فلا يجوز له النظر في شئ من ذلك، بخلاف الراسخ فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديما وحديثا من التوراة، وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه [1].

على أن هذه الروايات "ذات الطابع الإسرائيلي" إن رويت عن أحد من الصحابة الكرام وصح سندها ومتنها فيرجح قبولها، خاصة إذا كان ناقلها ممن لم يشتهر بالأخذ عن أهل الكتاب، لاحتمال أن يكون قد سمعها من الرسول ﷺ ، حيث إنهم أكثر الناس التزاما بقول الرسول ﷺ بعدم تصديق أهل الكتاب أو الأخذ عنهم.

## وأما ما ورد عن التابعين:

فيتوقف فيه كسائر الروايات الأخرى، لقوة احتمال أن يكونوا قد أخذوه عن أهل الكتاب، حيث كثر ذلك في زمانهم، فتجوز روايته للإستشهاد لا للإعتقاد [2] .

وينبغي على كل من يتكلم في تفسير القرآن أو يعظ المسلمين ويتفرغ للدعوة والإرشاد ، أن يكون يقظا متنبها لكل هذه الروايات الإسرائيلية الدخيلة على عمود الدين والتفسير، إذ أن في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة غُنية عنها.

•••

---

(1) انظر فتح الباري ، لابن حجر ١٣/٤٣٨.

(2) انظر مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ، ص ٤٥ ــ ٤٦ ، وتفسير ابن كثير ، ١/٤ ، و تفسير القاسمي١/٤٧، والتفسير والمفسرون ، للإمام الذهبي ١/١٧٩ ــ ١٨٠ ، والدخيل في تفسير القرآن للدكتور/ عبد الوهاب فايد ١/٥٧، والحديث والمحدثون ، للشيخ / محمد أبو زهو ، ص ١٩٠ .

## المبحث الثالث عشر

## موقف الصحابة من الإسرائيليات، وأشهر من عرف برواياتها منهم

إن الإسرائيليات تسللت إلى ثقافة المسلمين عن طريق مسلمة أهل الكتاب، في عصر مبكر من عصور الإسلام وهو عصر الصحابة والتابعين.

وقد كان منهج الصحابة الكرام – في الأخذ عن أهل الكتاب – يقوم على التحري والدقة والاحتياط بخلاف منهج التابعين للأسباب التالية:

١ـ إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا تلاميذ محمد ﷺ وخلفاءه، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه العزيز ووثقهم الرسول ﷺ في أكثر من حديث، ولا شك أنهم كانوا يعلمون موقف الرسول ﷺ من ثقافات أهل الكتاب، فليس من المعقول ولا من المقبول أن يخالف الصحابة رسول الله ﷺ في ذلك.

٢ـ إن الصحابة الكرام لم يكونوا في حاجة إلى أخبار أهل الكتاب، بالنسبة لتفسير القرآن الكريم، فهم الذين عاصروا التنزيل وشاهدوا القرائن والأحوال، وعرفوا أسباب النزول، وفهموا القرآن الكريم فهما صحيحا، فلا يمكن أن يعدلوا عن هذا الفهم الصحيح الذي استمدوه – في المقام الأول – من الرسول ﷺ إلى شئ آخر.

٣ـ إن الصحابة كانوا مشغولين – في سبيل أداء رسالتهم الخالدة – بالجهاد في سبيل الله تعالى، ودعوة الناس إلى الإسلام، وتبليغ القرآن إلى من بعدهم، فكيف يقال عنهم – وهم على مستوى هذه المسؤولية الخطيرة – إنهم قد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب.

صحيح أن بعضهم قد أخذ بعض الأشياء عن أهل الكتاب، ولكنَّ هذا الأخذ كان مقرونا بالتحفظ والحذر والتحري والاحتياط.

٤ـ إن الصحابة كانوا ينظرون إلى ثقافة أهل الكتاب - بصفة عامة - نظرة تتسم بالشك والحذر والريبة، لأنهم كانوا يعلمون أن معظم هذه الثقافة مستمدة من التوراة والإنجيل، وهما قد أصابهما التغيير والتحريف والتبديل، يضاف إلى ذلك نهى الرسول ﷺ الصحابة عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم، ثم الإذن المقيد ثم الإباحة.

لهذا كله كان منهج الصحابة في الأخذ عن أهل الكتاب دقيقا إلى أبعد غايات الدقة، ويتلخص في أنهم كانوا لا يسألون أهل الكتاب عن كل شئ، ولا ينقلون عنهم كل شئ.

فالصحابة كانوا لا يسألون أهل الكتاب عن الأشياء التي تتعلق بعقائد الإسلام وأحكامه، لأن هذا الجانب المتعلق بالعقيدة والشريعة، يختلف تماما في الإسلام عما كان عليه أهل الكتاب في عصر صدر الإسلام.

كما كان الصحابة لا يسألون أهل الكتاب عن الأخبار التي ورد فيها نص عن الرسول ﷺ ، فإذا سمعوا من الرسول ﷺ حديثا في مجال القصص والأخبار لم يعدلوا عنه إلى غيره مهما كان، بل كانوا يصححون لأهل الكتاب بعض ما يحدثون به [١].

وكذلك كانوا لا يسألون أهل الكتاب - في مجال القصص - عن الأشياء التافهة التي يعد السؤال عنها مضيعة للوقت، ومن قبيل العلم الذي لا ينفع، والجهل الذي لا يضر [٢].

وكان الصحابة أيضا لا يقبلون من أهل الكتاب كل شئ، بل يرفضون ما كان من أخبارهم مخالفا للدين أو منافيا للعقل، ويقبلون ما جاء موافقا لهما.

ومما يؤكد أن منهج الصحابة رضى الله عنهم بالنسبة للإسرائيليات، كان يقوم أساسا على الدقة والتحري والاحتياط والتشدد، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ

---

[١] انظر التفسير والمفسرون ، ١٧٠/١ ، للدكتور/ محمد حسين الذهبي .

[٢] انظر الفوز الكبير في أصول الدين ـــ ص ٣٥ ، للدهلوي .

وهو يمثل السلطة الشرعية، أمر كعب الأحبار بترك الحديث عن الأوائل، وهدده بالنفي إذا لم يستجب، فقد ورد أنه قال لكعب: "لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة "[1].

وأظن أن ذلك لم يكن لتهمة، وإنما كان مخافة التشويش على عقائد العامة وأفكارهم، لعدم تمييزهم بين الحق والباطل.

وأن ما قيل من أن الصحابة الكرام قد تلقوا الإسرائيليات، وأن بعضهم اقتنى أسفارها وأدمن مطالعتها لما استبان له من البشائر النبوية [2]، وما قيل من أن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود، كانا يحكيان أقاويل أهل الكتاب التي أباحها الرسول ﷺ حيث يقول: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" [3]،

لا يصح أن يفهم على إطلاقه، بل لابد أن تقيد رواية الصحابة عن أهل الكتاب بدائرة الجواز، وهي الأخبار الصادقة فقط.

وقد قال الإمام الشافعي في تعليقه على هذا الحديث: ( من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ) [4].

وقد اشتهر من علماء الصحابة برواية الإسرائيليات: أبو هريرة، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن سلام ..... وغيرهم.

ويستنتج من هذه الأسماء أنها أسماء أهل علم وفضل، وهم الذين كانوا يراجعون بعض أهل الكتاب ليتعرفوا على الحقائق، وليتمكنوا من الرد عليهم، ولتكون

---

[1] انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ١٠٨/٨ ، ط السعادة ، مصر .

[2] انظر تفسير القاسمي ، ٤٢/١ .

[3] انظر صحيح البخاري ، ٦٣٦/٤ ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، وكذلك مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ، ص ٩٨.

[4] انظر فتح الباري ، لابن حجر ٣٢٠/٦.

لديهم القدرة والكفاءة على تمحيص ما يروونه كما هو ثابت عن أمثـال أبي هريـرة وابن عباس رضى الله عنهم.

## التعريف بهؤلاء الأعلام

### ١ــ أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني،

أحد الحفاظ الأثبات اختلف في اسمه واسم أبيه على ثلاثين قولا، أصحها: عبد الرحمن، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس أبو الأسود، فسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن، وكنـاه أبا هريرة.

أسلم سنة سبع للهجرة مع أمه عام خيبر، وتوفى بالعقيق سنة ٥٧هـــ على الراجح، وله ثمان وسبعون سنة، وكان عريف أهل الصفة الذين انقطعـوا للعبـادة في مسجد النبي ﷺ ، وقد استجاب الله تعالى دعاء النبي ﷺ له بـالحفظ، فكـان أكثـر الصحابة حفظا. فقد أخرج له بقي بن مخلد "٥٣٧٤" حديثا [١] .

وحمل عن النبي ﷺ وعن كبار الصحابة كأبي بكر وعمر.... وغيرهمـا علمـا كثيرا، قال عنه الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، وقد بلغ عدد مـن روى عنـه "٨٠٠" ثمانمائة رجل، واقتصر صاحب التهذيب على ذكر من له رواية عنه في كتـب الأئمة الستة، وبلغ مسنده "٥٣٢٦" حديثا، اتفق البخاري ومسلم منها على "٣٢٦" حديثا، وانفرد مسلم ب "٩٨" حديثا [٢].

وأصح الأسانيد عنه : ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عنه.

---

[١] مسند بقي بن مخلد من أهم مصادر الحديث ، وقد روى عن (١٣٠٠) ألف وثلاثمائة صحابي ونيف ، ورتب حديث كل صحابي على أبواب الفقه ، فهو مسند مصنف ،

انظر علوم الحديث ومصطلحه ، للدكتـور/ صبحي الصالح ، ص ٣٥٩ .

[٢] انظر تهذيب التهذيب ٢٦٥/١٢ ، وتذكرة الحفاظ ، ٢١/١.

وأما أضعفها: فالسدي بن سليمان عن داود بن يزيد الأودي عن والده يزيد عنه[1].

وقد ثار جدل كبير حول رواياته الكثيرة وشكك كثير من الناس - قديما وحديثا - بها واتهموه بما هو بريء منه، وكان أعظم هؤلاء فرق الحركات الباطنية الهدامة، وقد دافع هو عن نفسه في حياته فقال: إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل ما حدث أبو هريرة، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرءا مسكينا من مساكين الصفة، أعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه: " إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعي ما أقول، فبسطت نمرة عليَّ حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت مقالة رسول الله ﷺ تلك من شئ" [2].

وقال ﷺ : " ما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا ". وقد دعى ذات يوم لنفسه فقال: " اللهم إني أسألك علما لا ينسى" . فقال النبي ﷺ : "آمين" [3]

---

[1] انظر علوم الحديث ومصطلحه ، ص ٣٦٢ ، للدكتور/ صبحي الصالح .

[2] انظر صحيح البخاري ، ١١٥/٣ ـــ ١١٦ ، أول كتاب البيوع ، وطبقات ابن سعد ، ٢٣٠/٤ ، وطبقات القراء، ٣٧٠/١.

[3] انظر الإصابة ، لابن حجر ، ٧٤/١٢ ، ترجمة رقم ١٢٧٩ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣١٧/٥، ط للطبعة الأميرية بمصر ، وحلية الأولياء ، ٣٧٦/٢ ، طبع مصر ، ١٣٥١ هـــ ، وطبقات القراء ، لابن الجزي ، ٣٧٠/١ ، ترجمة رقم ١٥٧٤ ، الطبعة الثالثــة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، وتذكرة الحفاظ ، ٥٨/١ ، وشذرات الذهب ٦٣/١ ، طبع دار الكتب العلمية .

٢ـ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي،

بحر التفسير وحبر الأمة الذي لم يكن على وجه الأرض في زمانه أعلم منه، ابن عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، أخت أم المؤمنين ميمونة، ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكان عمره يوم توفى النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة، وهو خامس الصحابة المكثرين من الرواية، يلي في ذلك السيدة عائشة رضى الله عنها فقد روى له "١٦٦٠" ألف وستمائة وستون حديثا .

وهو ترجمان القرآن، ودعى له الرسول ﷺ بقوله: "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل" [١] .

وقال أيضا: ضمني رسول الله ﷺ وقال: " اللهم علمه الحكمة" [٢]، وهي الإصابة في غير النبوة [٣] ، فاستجاب الله دعاء نبيه الكريم، فاشتهر ابن عباس بالعلم الغزير والفقه الدقيق، حتى صارت تشد إليه الرحال للفتوى والرواية، وقال الناس في تفسيره: "لو سمعه أهل الروم والديلم لأسلموا "، إلا أن الناس تزايدوا عليه في الرواية، ونبه العلماء على أن أوهى طرقه في التفسير هي – بالدرجة الأولى – سلسلة الكذب وهي ما يرويه محمد بن مروان السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح.

ثم بالدرجة الثانية طريق الضحاك بن مزاحم، وهي منقطعة لأنه لم يرى ابن عباس.

وأما أصح أسانيده في الحديث فهي؛ ما رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس.

---

(١) انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، ٩٣٥/٣ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، ٩٤/٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر ابن عباس وأسد الغابة لابن الأثير ٢١١/٣.

(٣) انظر صحيح البخاري ، ٩٤/٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر ابن عباس .

وحدث عن النبي ﷺ وعن عمر وعلي ومعاذ، ووالده العباس وعبد الرحمن بن عوف وقرأ القرآن على أبي زيد ..... وغيرهم.

وعنه ابنه علي وابن أخيه عبد الله بن معبد وعكرمة ومقسم وكريب وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء بن أبي رباح . . .. وغيرهم.

وقد عد صاحب التهذيب ١٩٧ راويا أخذ الحديث عنه، وبلغ مسنده"١٦٦٠" ألفا وست مائة وستين حديثا، اتفق الشيخان منها على "٧٥" خمسة وسبعين حديثا. وانفرد البخاري بـ "١٢٠" مائة وعشرين حديثا، والإمام مسلم بـ "٩" تسعة أحاديث، وقد كان ابن عباس صاحب مدرسة في التفسير، وله تلاميذ وأتباع من كبار التابعين،

كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير رضى الله عنهم،

ومناقبه كثيرة، فقد شهد حنينا والطائف وفتح مكة وحجة الوداع، وشهد فتح إفريقية مع ابن أبي السرح، والجمل وصفين مع علي كرم الله وجهه، وقد جعله على نائبه على البصرة. وقد كف بصره سنة ٦٨هـ ، وتوفى بالطائف فصلى عليه محمد بن الحنفية سنة ٦٨هـ.[١]

**٣ـ عبد الله بن عمرو بن العاص أبو محمد السهمي،** أحد العبادلة الأربعة، أسلم قبل أبيه، ثم هاجر قبل الفتح، كان عابدا زاهدا كثير الصيام والصلاة، مقبلا على حديث رسول الله ﷺ حيث روى عنه ٧٠٠ سبعمائة حديثا، وكان بعد أن أذن له الرسول ﷺ بالكتابة يدون ما يسمعه منه من الحديث، وفي ذلك يقول أبو هريرة: ما

---

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة ، لابن الأثير ، ٢٩٠/٣ ، والإصابة ، ٣٢٢/١، وشذرات الذهب لابن العماد ٧٥/١، وطبقات القراء ، لابن الجزري ، ٤٢٥/١ ، وطبقات القراء ، للذهبي ، ٤١/١ ، ونكت الهميان ، للصفدي ص ١٨٠، وتذكرة الحفاظ ، للذهبي ٣٣/١.

كان أحد أحفظ مني لحديث رسول الله ﷺ إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب[1]

وهو أحد الذين حفظوا القرآن الكريم في حياة الرسول ﷺ .

روى عن عمر وأبي الدرداء ومعاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عوف..... وغيرهم.

روى عنه عبد الله بن عمر بن الخطاب، والسائب بن يزيد، وسعيد بن المسيب، وطاووس وغيرهم.

وأصح الأسانيد عنه ما يرويه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص، وتوفي ﷺ بمصر سنة ٦٩هـ، عن اثنتين وسبعين سنة، وقيل سنة خمس وستين [2]

**٤ـ عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف الأنصاري، من بني قينقاع، من ولد يوسف عليه السلام ، كان اسمه في الجاهلية "الحصين"، فسماه النبي ﷺ عبد الله ، وكان حليف الخزرج من الأنصار، من أصحاب النبي ﷺ .**

أسلم حين دخول النبي ﷺ المدينة، ولإسلامه قصة ذكرها الإمام البخاري في صحيحه في باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه [3]، وقد أسلم بإسلامه أهل بيته وعمة له تسمى خالدة [4].وقد بشره النبي ﷺ بالجنة، وفيه نزلت الآية الكريمة: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [5]، وكان عبد الله عالم أهل الكتاب وفاضلهم في زمانه، في المدينة المنورة .

---

[1] انظر صحيح البخاري ، ١١٩/١ ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم .

[2] انظر ترجمته في الإصابة ، رقم ٤٨٣٨ ، وطبقات القراء ، لابن الجزري ، ٤٣٩/١، رقم ١٨٣٥، وحلية الأولياء ٢٨٣/١ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤٨/٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ، ٧٣/١.

[3] صحيح البخاري ، ١٤٥/٥ ، ك مناقب الصحابة ، ب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، ح رقم ٤١٥.

[4] انظر فتح الباري ، لابن حجر ، ٢٠٢/٧.

[5] الأحقاف : ١٠ ، وانظر صحيح البخاري ، ١١٠/٥ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب عبد الله بن سلام

روى الحديث عن النبي ﷺ ، وروى عنه ابنه يوسف ومحمـــد، وأبـــو هريـــرة وعطاء بن يسار وأنس بن مالك، وشهد مع سيدنا عمر ﷺ فـــتح بيـــت المقـــدس، والجابية، وشهد فتح نهاوند، وقد عده بعضهم من البدريين، وكان من علماء الصحابة بعد إسلامه، وقد أثير حول مروياته كثير من الجدل وخاصة في التفسير، ونحن لا ننفي عن عبد الله بن سلام أنه روى ما علمه من معارف أهل الكتاب، ولكن الذي ننفيـــه: أن يكون ألصق هذه المرويات بالنبي ﷺ ونسبها إليه زورا، ومن يرى خلاف هذا فنحن نطالبه بالحجة والبرهان، وكانت وفاته ﷺ سنة ٤٣ للهجرة [1].

* * *

---

[1] انظر ترجمته في التاريخ الكبير ، للبخاري ، ١٨/٣ ، وأسد الغابة ، لابن الأثير ٢٦٤/٣ ، وشذرات الذهب ، لابن العماد ٥٣/١ ، والأعلام ، للزركلي ، ٩٠/٤ ، والإصابة ، ٣١٢/٢ ، وتذكرة الحفاظ ، للذهبي ، ٢٤/١ ، وتهذيب التهذيب ، ٢٣٩/٥ ، والجرح والتعديل ، ٣٨٨/٥.

# المبحث الرابع عشر

# موقف التابعين من الإسرائيليات، وأشهر من عرف بروايتها منهم

لقد كان موقف التابعين من الإسرائيليات يقوم على التوسع في روايتها، والأخذ عن أهل الكتاب، ولذلك التبس الأمر، واختلط الحق بالباطل.

ويرجع ذلك لسببين:

الأول: أن التابعين لم تثبت عدالتهم جميعا، كما ثبتت عدالة الصحابة، ولذلك نجد أن بعض التابعين قد أسرف في رواية الإسرائيليات عن أهل الكتاب، دون أن يتحرى الدقة في روايتها، بل إن بعضهم قد تساهل في رواية بعض الإسرائيليات، وهو يعلم أنها مكذوبة وباطلة منتحلة، وهذا ما لم يكن بحال يحدث من الصحابة الكرام.

الثاني: أنه قد دخل عدد كبير من أهل الكتاب في الإسلام، وأن بعضهم اعتنق الإسلام زورا ونفاقا، واتخذوه ستارا زائفا لأغراض دنيئة، مثل عبد الله بن سبأ اليهودي الخبيث، وهؤلاء الكتابيون كانوا مصدرا أساسيا لإدخال الإسرائيليات في ثقافة المسلمين، ومن ثَمَّ في تفسير القرآن الكريم، وهذه الظاهرة كانت أكثر وضوحا في عهد التابعين عنها في أيام الصحابة، وزاد الطين بلة في العصور التي جاءت بعد عصر التابعين، فيما يتعلق بالرواية عن أهل الكتاب، والتوسع في الأخذ عنهم، فتضخمت الإسرائيليات – ومعظمها خرافات في تفسير القرآن الكريم – تضخما كبيرا، وأصبحت من الكثرة بحيث تكاد تحجب عن المسلمين هداية القرآن الكريم.

وأشهر من عرف برواية الإسرائيليات من التابعين، قطبا الرواية الإسرائيلية في هذا العصر:

١ــ كعب الأحبار هو: كعب بن ماتع بن عمرو بن قيس الحميري، يكنى أبا إسحاق،

أسلم في أيام أبي بكر [1] وقيل في أيام عمر [2]، واشترك مع الصحابة في عـــدد مـــن المعارك، وأبلى فيها بلاء حسنا، وأسلم على يده عدد من أحبار اليهود، وأصبحوا من خيرة المسلمين [3].

وقد أجمع علماء الجرح والتعديل على توثيقه، ولهذا لا نجد له ذكرا في كتـــب الضعفاء والمتروكين.

وأخرج له الشيخان في الصحيح، وكذا باقي أصحاب الكتب الستة[4]، ويكفيه فخرا أن فريقا من الصحابة رووا عنه، مثل ابن عباس وأبي وعبد الله بن عمرو وغيرهم [5].

وقد كان له بعد إسلامه دور بارز في نقل كثير من الأخبار الإســـرائيلية، إلى المجتمع الإسلامي وإلى ثقافة المسلمين، إلا أن بعض هذه الأخبار التي نقلت عنه لا تعدو أن تكون من قبيل الخرافات والأساطير، وقد اختلف الناس في أخباره التي هي من هذا القبيل.

فقال قوم – معتذرين عن كعب في حكايتها – : أنه كان يحكي هذه الأخبـــار لا على أنها من كلام الرسول ﷺ ولا على أنها صادقة، بل كان يحكيها علـــى علاتهـــا، معتمدا في ذلك على أن المسلمين جميعا يعلمون أنها مستمدة من كتب اليهود المحرفـــة، فالذنب ليس ذنبه في رواج هذه الأخبار، بل ذنب هؤلاء المسلمين الذين لم يحتاطوا في قبولها ولا في روايتها [6].

---

(1) انظر تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ٤٣٨/٨

(2) انظر أسد الغابة ، ٤٣٨/٥ ، والتفسير والمفسرون ١٨٧/١: ١٩٤

(3) انظر سطور مع العظماء ، ص ٢٩ ، لمحمد كامل حسن المحامي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٦٩م.

(4) انظر مقالات الكوثري ، ص ٣١.

(5) انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، ١٤٢/١ ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد .

(6) انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، ١٤٢/١ ، ١٤٣ ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد .

قال الشيخ محمد أبو زهو: لا ينبغي أن يتخذ من رواية هذه الإسرائيليات، وسيلة للطعن في رواتها من أمثال كعب ووهب، ممن أثنى عليهم الصحابة وزكاهم أهل البصرة بالتعديل والتجريح، وذلك أنهم حكوا عن الكتب غير مصدقين لها على الإطلاق،بل كانت عقيدتهم فيها كعقيدة الصحابة، فما جاء على وفق شرعنا صدقوه، وما خالفه كذبوه، وما لم يوافق أو يخالف شرعنا ردوا فيه العلم إلى الله عز وجل [1]

صحيح أن كعب نقل بعض الأخبار وهو يعلم زيفها وكذبها، ولعله فعل ذلك ليطلع المجتمع الإسلامي على هذه الثقافة المزورة، ليزدادوا تماسكا بما هم عليه، وليته أراحنا من كل هذا الركام المتهافت من هذه الإسرائيليات، الذي سمم العقول والأفكار، وجر على المسلمين البلاء.

ولا شك أن كثيرا مما نسب إليه كان كذبا وزورا، ولعل أولئك الذين نسبوها إليه إنما أرادوا أن يضفوا عليها لباسا من الثقة والإجلال، وذلك بنسبتها إلى تابعي عظيم وعالم جليل، جمع بين الثقافتين الإسلامية واليهودية معا وكعب منها براء.

هذا ما تميل إليه النفس، ويطمئن إليه القلب والوجدان، لأن كعبا كان صادق الإيمان والإسلام، عالما بأحاديث الرسول ﷺ بالنسبة لهذه الإسرائيليات، وعدم جواز روايتها على علاتها، فكيف يسوغ لتابعي جليل، رضيه بعض الصحابة أستاذا لهم أن يخالف الرسول ﷺ عن أمره [2].

وقد كان كعب ذا عبادة وسمت، فإذا دخل في الصلاة بكى حتى تفيض عيناه بالدموع [3].

---

[1] انظر الحديث والمحدثون ، ص ٨٦ — ٨٧ ، للدكتور/ محمد أبو زهو .

[2] انظر الدخيل في تفسير القرآن الكريم ، ١/١٤٣ — ١٤٤ ، للدكتور/ عبد الوهاب فايد .

[3] انظر سطور مع العظماء ، ص ٢٩ ، لمحمد كامل حسن .

حدث عن عمر وصهيب وعائشة وغيرهم، وروى عن النبي ﷺ ولكنه مرسل لأنه لم يلق النبي ﷺ ولم يسمع منه.

وحدث عنه: أبو هريرة ومعاوية وابن عباس وبقية العبادلة وغيرهم.

وروى عنه : نفر غير قليل من التابعين كعطاء بن أبي رباح .... وغيره.

وكان خبيرا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة[١] وكان على علم كبير [٢]، ويبدو ذلك لمن اطلع على كتب التفسير والحديث.

ولم يعرف عنه أنه ألف أو ترك آثارا علمية مكتوبة، بل كانت تعاليمه شفوية تناقلها عنه أصحابه ومن أخذ عنه [٣].

**٢ـ وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كناز اليمني** الصنعاني، أبو عبد الله الأبناوي [٤] صاحب القصص ، وعالم أهل اليمن، وحافظهم وقاضيهم على مدينة صنعاء، كان من أبناء فارس ومن شرفائهم [٥]، وهو من خيار التابعين، أسلم أبوه في حياة الرسول ﷺ [٦]، وولد في آخر خلافة عثمان ﷺ سنة ٣٤هـ .

واتفق الجمهور على توثيقه، وخالف الفلاس فقال: كان ضعيفا واقمه بالقول في القدر ولكنه رجع عن هذا القول بعد أن ظهر له الصواب. [٧]،

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٤٩٤/٣ .

(٢) انظر فتح الباري ، لابن حجر ، ٢٨٥/١٣ .

(٣) انظر التفسير والمفسرون ، للذهبي ، ١٨٧/١ ، وانظر ترجمته في : قمذيب التهذيب ، ٤٣٨/٨، وأسد الغابة ، ٤٣٨/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٩٤/٣ .

(٤) انظر قمذيب التهذيب ، ١٦٦/١١ ــ ١٦٧.

(٥) انظر الأعلام للزركلي ، ١٢٦/٨.

(٦) انظر مرآة الجنان ، لليافعي ، ص ٢٤٨ ، والأعلام ، للزركلي ، ١٢٦/٨ .

(٧) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ١٤١ ، للشيخ الذهبي .

قال وهب بن منبه: كنت أقول بالقدر، حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء، في كلها: "من جعل لنفسه شيئا من المشيئة فقد كفر"، فتركت قولي [(١)].

ولم أر أحدا طعن فيه بالوضع أو الاختلاق والكذب، إلا ما قاله بعض المتأخرين، وكان كثير النقل من كتب أهل الكتاب، ويظهر أنه كانت له ثقافة واسعة بكتب الأولين وحكمهم وأخبارهم، وقد ذكر عنه ابن كثير (في البداية) حكما صائبة، ومواعظ كثيرة، وقصصا استغرقت بضعا وعشرين صفحة، وليس فيها ما يستنكر إلا القليل، وكذلك نقل عنه في التفسير روايات كثيرة جدا وجلها من الإسرائيليات.

ونحن لا نخليه من التبعة والمؤاخذة، أن كان واسطة من الوسائط التي نقلت هذا إلى المسلمين، وألصقت بالتفسير الصافي، والقرآن منها براء .... ويا ليته ما فعل [(٢)].

وقد نسب إلى وهب بن منبه الكثير من الإسرائيليات ، ولكن جانبا كبيرا منه – فيما يبدو لي – لا تصح نسبته إليه، ولعل ما صنعه الإمام البخاري بالنسبة له، يدل دلالة واضحة على ما ذكرنا، فقد أخرج له حديثا واحدا عن أخيه همام عن أبي هريرة في كتاب العلم [(٣)].

فاقتصار البخاري على حديث واحد لوهب، يدل على أن معظم ما نسب إليه أسانيده واهية ، وإلا لأخرج البخاري له في صحيحه أكثر من حديث [(٤)].

قال الأستاذ الدكتور الذهبي – رحمه الله– : وما كان لي ولا لغيري أن ينكر إكثار وهب من رواية الإسرائيليات، فذلك أمر تنطق به كتب التفسير والحديث، والتي تعنى بسرد الإسرائيليات، لكن الذي أنكره وينكره كل منصف، أن تكون كل

---

(١) انظر ميزان الاعتدال ، للذهبي ، ٢٦/٦ ــ ٢٧.

(٢) انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، للدكتور/ محمد أبو شهبة ، ص ١٠٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، ١١٩/١ ، باب كتابة العلم .

(٤) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ، للشيخ الذهبي ، ص ١٤٢ ، بالهامش .

هذه الإسرائيليات - ومنها أباطيل كثيرة - صحيح نسبتها إليه، فلو أننا عرضناها على قواعد المحدثين في نقد الرواية والرواة، لتبين لنا أن طائفة منها مكذوبة عليه، وأن اسمه - لشهرته العلمية الواسعة بما كتب عن أهل الكتاب - قد استغل واتخذ مطية لترويج الكذب وإذاعته بين الناس [1].

وقد نشأ وهب بن منبه في اليمن وتوفى سنة ١١٤هـ، وعمره ثمانون سنة، وحدث عن أبي هريرة وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري والنعمان بن بشير ..... وغيرهم .

وروى عنه؛ ولداه عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وهمام بن نافع، وداود بن قيس ...... وغيرهم.

وأخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي.

وقد وثقه الجمهور، فقال العجيلي: ثقة ، تابعي كان على قضاء صنعاء [2].

وقال الذهبي : كان ثقة صادقا، كثير النقل من كتب أهل الكتاب.

وقال النسائي ثقة.....

بعد هذا التوثيق، واعتماد البخاري ومسلم لحديثه، لا يسعنا إلا توثيقه في عداد خيار التابعين، ومعظم ما نسب إليه هو من وضع الزنادقة والوضاعين على لسانه، أو مما نقله هو ولم يتبين صحته عمن سبقه من اليهود، لذلك ينبغي على الباحث أن يكون يقظا متنبها لجملة مروياته في غير الصحيح [3]

والله أعلم.

---

(١) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ، للشيخ الذهبي ، ص ١٤٠ ــ ١٤١.

(٢) انظر ميزان الاعتدال ، للذهبي ، ٢٦/٦ .

(٣) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ، للذهبي ، ٢٦/٦ ، وسير أعلام النبلاء ، للذهبي ٥٤٤/٤ ، وتهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ١٦٦/١١ ، وشذرات الذهب ، لابن العماد ، ١٥٠/١ ، وحلية الأولياء ، ٢٣/٤ ، وطبقات ابن سعد ، ٣٩٥/٥.

هذان هما قطبا الرواية الإسرائيلية، اللذان عاشا مع الصحابة، وأخذا عنهم، ولقد جاء بعدهما أناس ينقلون الغث والسمين من الإسرائيليات في التفسير، ولا يميزون بين الحق والباطل، وهؤلاء وأمثالهم يتحملون وحدهم وزر إدخال الإسرائيليات - بدون ضوابط ولا قيود - في التفسير بصفة خاصة، وفي ثقافة المسلمين بصفة عامة، فقد كانوا لا يتورعون عن وضع الخرافات والأساطير ثم ينسبونها إلى من قبلهم من الصحابة أو التابعين بقصد ترويجها بين المسلمين . أ هـ .

ولعل من نافلة القول - والصلة وثيقة بما نحن بصدده- أن نتحدث في هذا المقام عن طرق المرويات الضعيفة والواهية في أسباب النزول وهذا ما يجده القارئ في المبحث الخامس عشر بمشيئته تعالي .

# المبحث الخامس عشر
# طرق المرويات الضعيفة والواهية في أسباب النزول

للعلماء كلام مفيد في بيان المرويات عن الصحابة والتابعين، ونقد الطرق التي رويت بها، وللحافظ ابن حجر – رحمه الله – باع طويل، وكلام جيد في هذا الموضوع، ذكره في أول كتابه أسباب النزول الذي سماه: " العجاب في بيان الأسباب " ونقل السيوطي ذلك في خاتمة تفسيره " الدر المنثور " [1].

وأدلى السيوطي بدلوه أيضا في هذا المجال فتحدث في الإتقان [2] عن جيد الطرق وضعيفها، الواردة عن الصحابة والتابعين، والذي يعنينا في هذا البحث معرفة الطرق الضعيفة والواهية، وإليك خلاصة ما قالوه في هذا الموضوع:

ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة، وفيه روايات وطرق مختلفة. وأوهى طرقه؛

١– طريق الكلبي [3] عن أبي صالح [4] عن ابن عباس فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير [5] فهي سلسلة الكذب، وكثيرا ما يخرج منها الثعلبي والواحدي.

---

[1] انظر الدر المنثور ٧٢٦/٦.

[2] راجع الإتقان ١٣٣٢/٢ ط : دار ابن كثير.

[3] محمد بن السائب الكلبي اشتهر بالتفسير ، وتركه ابن معين وابن مهدي . وقال ابن حبان : لا يحل ذكره في الكتب ، فكيف الاحتجاج به ؟ المجروحين ٢٥٣/٢ والميزان ٥٦/٣ .

[4] أبو صالح باذان مولى أم هانئ متكلم فيه ، ووثقه العجيلي وابن معين . وفي رواية الكلبي عنه ضعيف . تهذيب الكمال ٦/٤ والميزان ٢٩٦/١.

[5] محمد بن مروان الكوفي ، صاحب الكلبي ، ويعرف بالسدي الصغير ، تركه العلماء ، واتهمه ابن نمير بالكذب . الميزان ٣٢/٤ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٢٣٢/١ .

٢- طريق الضحاك بن مزاحم [١] عن ابن عباس. منقطعة، فإن الضحاك لم يلقه، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة، عن أبي روق عنه فضعيفة، لضعف بشر[٢]. وقد أخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير وابن أبي حاتم.

وان كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا، لأن جويبر شديد الضعف متروك [٣] ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذه الطرق شيئا، أنما أخرجها ابن مردويه، وأبو الشيخ بن حبان.

٣- طريق العوفي عن ابن عباس، أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا، والعوفي ضعيف [٤] ليس بواه، وربما حسن له الترمذي.

٤- طريق عثمان بن عطاء الخراساني [٥]. يروي التفسير عن أبيه عن ابن عباس، ولم يسمع أبوه من ابن عباس.

٥- وطريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدي [٦] - بضم المهملة وتشديد الدال - وهو كوفي صدوق لكنه جمع التفسير من طرق، منها عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة

---

[١] الضحاك بن مزاحم " ت ١٠٥هـ " ثقة مأمون وقال ابن حبان : لم يشافه أحد من الصحابة ، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم . الثقات ٤٨٠/٦.

[٢] بشر بن عمارة الخثعمي الكوفي . ضعفه النسائي ، وقال البخاري يعرف وينكر . الجرح والتعديل ٣٦٢/٢ والتاريخ الكبير ٨٠/٢ والميزان ٣٢١/١.

[٣] جبير بن سعيد الأزدي " ت ما بين ١٤٠ ــ ١٥٠ هـ " متكلم فيه ، والعلماء متفقون على تضعيف رواياته . الميزان ٤٢٧/١، والتهذيب ١٢٣/٣.

[٤] عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، ضعيف . يدلس ويخطئ كثيرا . رمي بالتشيع . الجرح والتعديل ٣٨٣/٦ والمجروحين ١٧٦/٢ ، والميزان ٧٩/٣ ، ويقول الشيخ شاكر في تحقيق الطبري ٢٦٣/١ : هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دورانا في تفسير الطبري ــ وغيره ــ وهو إسناد مسلسل بالضعفاء من أسرة واحدة ، إن صح هذا التعبير ! وهو معروف عند العلماء " تفسير العوفي " لأن التابعي في أعلاه الذي يرويه عن ابن عباس هو "عطية العوفي" .

[٥] عثمان بن عطاء "ضعيف" وأبوه " ثقة صدوق" يرسل ويدلس ، أرسل عن عامة الصحابة حيث لم يدركهم . انظر المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٥٦ ، والتقريب ١٥/٢ .

[٦] إسماعيل بن عبد الرحمن السدي " صدوق يوهم" ورمي بالتشيع . روى له مسلم والأربعة . التقريب ٨٣/١

بن شراحبيل عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة وغيرهم، وخلط روايات الجميع فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف، ولم يلق السدي من الصحابة إلا أنس بن مالك ﷺ. وربما التبس بالسدي الصغير الذي تقدم ذكره، وقد أخرج ابن جرير من هــذه النسخة كثيرا [1]. ولم يورد منها ابن أبي حاتم شيئا، لأنه التزم أن يخرج أصح مــا ورد - كما قال السيوطي - والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ويصححه، لكن مــن طريق مرة عن ابن مسعود، وناس فقط دون الطريق الأول.

## ومن تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم :

تفسير زيد بن أسلم من رواية ابنه عبد الرحمن عنه، وهي نسخة كبيرة يرويهــا ابــن وهب وغيره عن عبد الرحمن عن أبيه وعن غير أبيه، وفيه أشياء كـثيرة لا يســندها لأحد، وعبد الرحمن من الضعفاء [2]، وأبوه من الثقات.

ومنها تفسير مقاتل بن سليمان [3]، وقد نسبوه إلى الكذب،وروى تفسير مقاتل هذا

---

(1) ابن جرير هذا الإسناد في تفسيره ٣٤٧/١ ، ط : دار المعارف . وعقب عليه بقوله : " فإن كان ذلك صحيحا ، ولست أعلمه صحيحا ، إذ كنت بإسناده مرتاب ، فإن القول الذي روى عنهما هو القول ، وإن يكن غير صحيح فأولى بتأويل الآية ما قلناه " ويعلق الشيخ / أحمد شاكر على هذا بقوله : " هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دورانا في تفسير الكبري. إن لم يكن من أكثرها . فلا يكاد يخلو تفسير آية من رواية بهذا الإسناد ولم يبين علة إرتيابه في إسناده ، وهو مع ارتيابه قد أكثر من الرواية به ولكنه لم يجعلها حجة قط " ، ثم بين حال رجال هذا الإسناد ، وعلق بقوله : " وحق لأبي جعفر رحمه الله ــ أن يرتاب في إسناده ، فإن هذا الإسناد فيه تساهيل كبير " أ. هــ وراجع المواضع التالية : ٥٦/١ ــ ٢٤٨، ٣٥٤ وقال ابن كثير في تاريخه ١٩/١ " إن هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة " أ .هــ .

(2) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . أجمع أهل العلم بالنقل على تضعيف أخباره ، راجع التهذيب رقم ٤٥٠٥.

(3) مقاتل بن سليمان البخلي المفسر ، اتهمه العلماء في علمه وعابوا تفسيره ، ورموه بالكذب والوضع . انظر المجروحين ١٤/٣ والكامل في الضعفاء ٤٧/٦ .

عنه أبو عصمة نوح بن أبي مريم الجامع [١] وقد نسبوه إلى الكذب.
ورواه أيضا عن مقاتل الحكم بن هذيل وهو ضعيف، لكنه أصلح حالا من أبي عصمة.

## ومن التفاسير الواهية لضعف رواتها:

التفسير الذي جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني [٢] وهو قدر مجلدين، يسنده إلى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس.
وقد نسب ابن حبان موسى هذا إلى وضع الحديث، ورواه عن موسى عبد الغني بن سعيد الثقفي وهو ضعيف [٣].

وقد يوجد كثير من أسباب النزول في كتب المغازي، فما كان منها من رواية معتمر بن سليمان [٤] عن أبيه [٥]، ومن رواية إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة [٦] عن عمه موسى بن عقبة [٧]،

---

[١] نوح بن أبي مريم ، واسم أبي مريم " يزيد بن جعونة " ويعرف بالجامع لجمعه العلوم ، وهو الذي وضع حديث فضائل القرآن الطويل . انظر المجروحين ٤٨/٣.

[٢] موسى بن عبد الرحمن قال فيه ابن حبان : دجال ، وضع على ابن جريج عن عطاء وعن ابن عباس كتابا في التفسير. انظر : لسان الميزان ١٢٤/٦ .

[٣] عبد الغني بن سعيد الثقفي ، ضعفه ابن يونس ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن حجر : ابن يونس أعلم به ـــ المرجع السابق ٤ /٤٥.

[٤] معتمر بن سليمان بن طرخان الإمام الحافظ القدوة . ثقة ، وكان من كبار العلماء . تهذيب سير أعلام النبلاء رقم ١٣١٠.

[٥] سليمان طرخان الإمام شيخ الإسلام . ثقة . كان مقدما في العلم والعمل . المرجع السابق رقم ٩٣٥.

[٦] إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة المطرقي مولى آل الزبير بن العوام وثقه ابن معين . وقال أبو حاتم : ليس به بأس . الجرح والتعديل ١٥٢/٢.

[٧] موسى بن عقبة الإمام الثقة الكبير . كان بصيرا بالمغازي النبوية ، ألفها في مجلد ، فكان أول من صنف في ذلك تهذيب سير أعلام النبلاء رقم ٨٧٣ .

فهو أصلح ما فيها من كتاب محمد بن إسحاق [1].

وما كان من رواية ابن اسحاق أمثل، مما فيها من رواية الواقدي [2].

وإذا كنا قد تحدثنا عن أوهى الطرق والروايات الضعيفة في أسباب النزول، كما جاء في المبحث الخامس عشر فإننا سوف نتحدث الآن عن حديث أبي ﷺ في فضائل السور، لما بين المبحثين من تجانس، ولأن الإطار العام في قضايانا، الإسرائيليات والدخيل، وذلك ما سوف يأتي الحديث عنه في المبحث السادس عشر بمشيئته تعالى.

---

(1) محمد بن إسحاق بن يسار . العلامة الحافظ الإخبار ، صاحب السيرة النبوية ، روى له مسلم في المتابعات واستشهد به البخاري . المرجع السابق رقم ١٠٣٠.

(2) محمد بن عمر الواقدي ، صاحب التصانيف والمغازي ، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه . المرجع السابق رقم ١٥٠٤.

# المبحث السادس عشر

## حديث أبي في فضائل السور

عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ "من قرأ سورة كذا فله كذا من الأجر... الحديث" [1].

وحديث أبي بن كعب " من قرأ سورة كذا، أعطى من الأجر كذا" فذكر فضل سور القرآن سورة سورة، من أوله إلى آخره، كما يذكر ذلك الثعلبي والواحدي، في أول السورة، والزمخشري في آخرها، وكذا تبعه البيضاوي وأبو السعود، هو من الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن، وله طرق كلها باطلة وموضوعة، وقد أورده ابن الجوزي في كتابه الموضوعات،[2] وقال بعد أن ذكر طرقه وسنده "وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داوود، كيف فرقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث محال، ولكن ذلك من شر المحدثين، فإن من عاداتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل، وهذا قبيح منهم، لأنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من حدث عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"[3]

ثم ذكر ابن الجوزي أن في إسناد الطريق الأول: بديع بن حبان، وقد قال عنه الدارقطني : إنه متروك.

---

(1) أخرجه الثعلبي في تفسيره ، انظر : مخطوطة الكشف والبيان ج ٨ ورقة ٢١٣ . والواحدي في تفسيره الوسيط ٣/٣٥٠ والزمخشري في تفسيره الكشاف ٣/٣٣١ .

(2) الموضوعات لابن الجوزى ١/٢٤١

(3) كنز العمال ١٠/ ٢٢٢ ح ٢٩١٧١

وفي الطريق الثاني: مخلد بن عبد الواحد، قال عنه ابن حبان: منكر الحديث جدا، ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات، وقد روى بديع ومخلد هذا الحديث عن علـي بـن زيد،[1]

وقد قال أحمد ويحيى: علي بن زيد ليس بشيء، ثم قال في متن الحديث:

"ونفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استنفذ السور وذكر لكل واحـدة مـا يناسبها في الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله ﷺ ".

وقد روى في فضائل السور أيضا ميسرة بن عبد ربه،

قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا، قال: وضعته أرغب الناس فيه، ثم روى ابن الجوزي "عن ابن المبارك أنه قـال : أظـن الزنادقة وضعته"[2]

وروى أيضا من طريق أبي الحسن الحماهي عن محمود بن غيلان، قال سمعـت مؤملا يقول: " حدثني شيخ بفضائل سور القرآن، الذي يروي عن أبي بـن كعـب، فقلت: للشيخ من حدثك؟ فقال: حدثني رجل بالمدائن وهو حي، فسرت إليه فقلـت: من حدثك؟ فقال:حدثني شيخ بواسط وهو حي، فسرت إليه فقـال: حـدثني شـيخ بالبصرة، فسرت إليه فقال: حدثني شيخ بعبيدات، فسرت إليه، فأخذ بيدي فـأدخلني بيتا، فإذا قوم من المتصوفة ومعهم شيخ،

فقال: هذا الشيخ حدثني، فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال:لم يحدثني أحد ولكن رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن [3]

---

(1) المجروحين ٤٣/٣

(2) انظر العقيلي في الضعفاء ١٥٧/١ .

(3) انظر الموضوعات لابن الجوزي . أبواب تتعلق بالقرآن ، باب في " فضائل السور" ٢٣٩/١.

كان القصد من تعريف القارئ بهذا الحديث ليعرف مكانته، ولا سيما إذا قرأه في فضل أي سورة من سور القرآن ، وإنما أتبعناه وألحقناه بموضوع الفضائل، لمناسبة هذا الحديث لذاك العنوان، فعلى القارئ أن يتنبه لذلك.

ومن هنا فإذا ذكر حديث يتعلق بفضل سورة ما، فليس دليلا على صحة الحديث، وإنما ذكرناه لبيان تحقيقه والحكم عليه [١].

وقد ذكرنا هذا المبحث برمته في كتابنا معالم سور القرآن الكريم وإتحافات درره نظرة جديدة في التفسير الموضوعى ٥١/١ .

وأوردناه هنا في سياق حديثنا عن الإسرائليات والموضوعات، إذ الصلة وثيقة في هذا المنحى وذاك المنهج .

---

(١) معالم سور القرآن الكريم وإتحافات درره " نظرة جديدة في التفسير الموضوعي ج١ ص ٥١

## المبحث السابع عشر

## كتب التفسير ورواية الإسرائيليات

## نوع التفسير الذي دخلته الإسرائيليات؛

مما ينبغي أن يعلم، أن كتب التفسير تختلف فيما بينها في طبيعة ونوعية المنهج الذي تسير عليه في تفسير القرآن الكريم، فمنها ما يعرف بالتفسير بالمأثور، وهو تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بأقوال الصحابة والتابعين والعامل الرئيسي في هذا المنهج هو النقل.

ومنها ما عرف بالتفسير بالرأي، وهو تفسير القرآن الكريم على ضوء العقل المجرد والواقع، وربما دخل في تفسير أهل البدع والأهواء.

ومنها ما عرف بالتفسير الفقهي، وهو تفسير يكثر فيه الإسهاب في الكلام عن الأحكام الفقهية في الآيات التشريعية، أو يقتصر فيه على تفسير الآيات التشريعية الفقهية فحسب. ومنها التفسير الباطني ،وهو تفسير يخضع الآيات القرآنية للنظريات الصوفية الفلسفية والتأويلات الباطنية.

ومنها ما عرف بالتفسير العلمي بالمفهوم المعاصر، الذي يفسر الآيات الكونية ويوضح حقيقة النفس البشرية وأثرها، كما يعكس الحياة الاجتماعية.

وهذه أشهر أنواع كتب التفسير في هذا الصدد.

أما النوع الذي دخلته الإسرائيليات فهو التفسير بالمأثور، لأن الرواية الإسرائيلية هي من منهج هذا النوع، لأنه يعتمد أصلا على النقل والرواية، والصحابة والتابعون رضوان الله عليهم، كانوا يسمعون من أهل الكتاب، ويروون عنهم كما تقدم.

وأما الأنواع الأخرى فإن موضوعها بعيد في الأصل عن تفسير القرآن بالقرآن أو الرواية عن النبي ﷺ أو السلف الصالح ،وإن دخله شئ من النقل فعلى سبيل التكميل لا الأصالة.

ومن هنا يتضح أن الإسرائيليات لم تدخل جميع كتب التفسير، وإنما دخلت كتب التفسير بالمأثور بكثرة ملحوظة، وأما كتب التفسير بالرأي فلم توجد فيها الإسرائيليات بالكثرة الموجودة في كتب التفسير بالمأثور.

## المفسرون ورواية الإسرائيليات

سبق أن بينا في ما مضى من مباحث، أن من أسباب دخول الإسرائيليات إلى كتب التفسير، وجود القصة في القرآن الكريم بصورة إجمالية، وأن التوراة والإنجيل قد اشتملا على تفصيل لما طوى القرآن ذكره من هذا القصص، ومن هنا لجأ بعض المفسرين إلى الروايات الإسرائيلية، لتفصيل هذه الجزئيات التي أجملها القرآن، لهذا امتلأت كتب التفسير بقصص، روى عن أهل الكتاب، وأكثره مما لا أصل له، بل أكثره مما يستحيل حدوثه، ومع ذلك تناوله المفسرون شارحا بعد شارح، ومن أعجب الأشياء أن من تداولوا هذا القصص قد نصوا في مقدمات شروحهم على بطلان هذا القصص، وأوسعوه تجريحا وذما، ثم تناسوا ما قالوه فعمدوا إلى ذكره مسهبين، ولا ننكر أنهم في بعض الأحيان يعقبون عليه بما يفيد بطلانه! وفي بعض آخر ينقلون الإسرائيليات دون أن تترك هذه الأساطير الموهومة، ولعل اللاحق قد عز عليه أن يتورط السابق في سرد هذه المزاعم حتى ملأت فراغا شاسعا من تفسيره فرأى أن يجاريه.

وإليك دراسة تطبيقية لبعض كتب التفسير لنتعرف على موقف أصحابها من رواية الإسرائيليات.

## ١ـ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري :

**التعريف بالمؤلف ؛**

مؤلف هذا التفسير هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري من أهل طبرستان، ولد سنة ٢٢٤هـ، رحل من بلده لطلب العلم وهو ابن اثنى عشرة سنة، فدرس بمصر والشام والعراق، ثم استقر به المقام ببغداد إلى أن توفى ٣١٠ هـ.

وكان الرجل من أعلام عصره وممن يرجع إليه في الرأي، حفظ القرآن وفقه معانيه وأحكامه وقراءاته، وكان أيضا صاحب علم بالسنة وطرقها، وما صح وما سقم منها، ولقد جمع إلى جانب العلم بالكتاب والسنة علم الفقه والتاريخ وغيرهما من العلوم والفنون الكثيرة، وكان له مصنفات كثيرة من أبرزها مصنفه في التفسير وهو الكتاب الذي نتناوله الآن بالدراسة .

وكان ابن جرير في بداية أمره شافعي المذهب، درس فقه الشافعية وأفتى به عشر سنين في بغداد، ثم استقل وانفرد بمذهبه الذي أسسه بعد طول اجتهاد وطول نظر في الفقه، وكان له أتباع غير أنه لم يكتب له البقاء كغيره من المذاهب، ولئن دل هذا على شيء، فإنما يدل على طول باع الرجل في الفقه وتمكنه منه [١].

**الطبري ورواية الإسرائيليات :**

الطبري مفسر ومؤرخ، كتب في التاريخ كتابا ضخما، بدأه بأخبار الخليقة منذ البدء ، ثم بتسجيل قصص الأنبياء، ولكنه لم يكد يفرق بين ما قد يتسامح فيه في كتب التاريخ، وما يجب التدقيق في نقله إلى كتب التفسير، فإذا قرأت الجزء الأول من كتابه "تاريخ الأمم والملوك" ورجعت إلى ما كتبه في تفسيره عن آدم ونوح وهود وصالح

---

[١] طبقات المفسرين للداودي ج١ ص ١٠٦ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص ٧١١ .

وإبراهيم وموسى وسليمان وداوود وعيسى وسائر من تعرض لهم من المرسلين والأنبياء، فإنك تجد الأقوال متشابهة، والذين يدافعون عن مسلك الطبري في التاريخ، يقولون إنه يذكر الإسناد ليبرأ من العهدة ، وعلى القارئ أن يأخذ من الأخبار ما يشاء ويترك ما يشاء، لأن المؤرخ حين يذكر الروايات المتضاربة في حادث واحد لا يصدقها جميعا، لأن بعضها يكذب بعضا، وعلى الدارس من بعده أن يقوم بالترجيح والتوهين، ولئن جاز هذا السرد المتناقض في مجال التاريخ، فما أظن مجال التفسير في مقامه الجليل مما يتسع لحشد الغرائب والمتناقضات.

وأما تفسيره جامع البيان فيعد من كتب التفسير بالمأثور، بل أولها بلا منازع، وفيه يروي صاحبه كثيرا من الإسرائيليات والقصص الإسرائيلية مسندة إلى أصحابها ممن أسلم من أهل الكتاب.

والحق أن الإمام الطبري قد حذر من الإسرائيليات في مواضع كثيرة من كتابه، وقد روى منها أشياء، ونقدها بما يبين فسادها، ولكنه مع ذلك تسامح في إسرائيليات مماثلة، يظهر عوارها جليا دون خفاء، فيذكرها دون أن يعلق عليها بالتفنيد، فنجده عند تفسيره لقول الله تعالى في سورة هود عن نوح عليه السلام ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [1] يسوق رواية إسرائيلية باطلة لا يصدقها عقل ولا يؤيدها نقل، حيث ذكر أن أصحاب عيسى عليه السلام سألوه عن سفينة نوح عليه السلام فضرب الكثيب بعصاه فقام من التراب شخص هو سام بن نوح فسأله عيسى عليه السلام أن يحدث أصحابه عن السفينة، فقال طولها ألف ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، طبقة للدواب وطبقة للإنس وطبقة للطير، فلما كثرت أرواث الدواب، أوحى الله إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بحبل

---

[1] هود : ٣٨.

السفينة يقرضه، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر [1] وتمضى القصة طويلة إلى مـــداها البعيـــد، والغريـــب أن الطبري لم يذكر هذه القصة فيما كتبه في تاريخه عن نوح عليه السلام ، فهل يضيق بها كتاب التاريخ ويتسع لها مجال التفسير؟

ونجده عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [2] يسوق رواية يردها الشرع، ولا يقبلها العقل، وتتنـــافى مـــع عصـــمة الأنبياء.

وهي ما نصه؛ "حدثنا قتادة أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إن شيطانا في البحر يقال له صخر المارد، قال فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة، فـــنزح ماءها فجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر، فقال إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبيين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلا، قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا، ثم أتاها فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبيين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا، قال: ثم شربها حتى غلبت على عقله، قال: فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه، قال فكان ملكـــه في خاتمه فأتى به سليمان فقال: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت، وقيل لنا لا يسمعن فيـــه صوت حديد، قال: فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد فدار حولـــه يرى بيضه ولا يقدر عليه، فجاء بالماس فوضعه عليه، فقطعها به حتى أفضى على بيضه، فأخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخله بخاتمه، فانطلق يوما إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه، قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه، فألقـــاه

---

[1] تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٢.

[2] ص : ٣٤

في البحر فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه، فألقى على الشيطان شبه سليمان، قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه، قال فجعل يقضي بينهم، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة، فقال والله لأجربنه، قال فقال له: يا نبي! أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس، أترى عليه بأسا؟ قال: لا ، فبينما هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جني إلا سجد له حتى انتهى إليه ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ قال هو الشيطان صخر.[1]

وهذه الرواية رواية باطلة بينٌ فسادها وبطلانها، وهي من وضع زنادقة بني إسرائيل، ولا ندري كيف ساغ للطبري رحمه الله، على سعة علمه وجلالة قدره، أن يسوقها دون التعقيب عليها، مع أن كل من له مسحة من عقل يستطيع أن يدرك كذبها وفسادها.

أبو حيان والرازي يبطلان هذه الرواية فماذا قالا ؟

١- قال أبو حيان : ويستحيل عقلا وجود بعض ما ذكروه كتمثل الشيطان بصورة نبي، حتى يلتبس أمره على الناس ويعتقدون أن ذلك المتصور هو النبي، لو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبي، وإنما هذه المقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية [2]

٢- قال الفخر الرازي: "واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه؛ الأول: إن الشيطان لو قدر على أن يتشبه بالصورة والخلقة بالأنبياء، فحينئذ لا يبقى اعتماد على شرع من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد

---

(١) تفسير الطبري ج ٢٣ ص ١٠١.

(٢) البحر المحيط ج ٧ ص ١٦٧.

وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك، بل كانوا شـياطين تشـبهوا بهـم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال، ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية،

والثاني: أن الشيطان لو قدر على أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد، وحينئذ وجـب أن يقتلـهم، وأن يمـزق تصانيفهم وأن يخرب ديارهم.

ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء، فلأن يبطل مثله في حق أكابر الأنبياء أولى .

والثالث: كيف يليق بحكمة الله وإحسانه، أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان؟ ولا شك أنه قبيح [1].

والعجب من ابن جرير وغيره من المفسرين، كيف يغفلون عن مـا جـاء في تفسير الآية من صحيح الأحاديث، فقد جاء في الصحيحين وغيرهما واللفظ للبخـاري في كتاب الجهاد بسنده إلى أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : " قال سليمان بـن داوود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلـهن يـأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه قل إن شاء الله! فلم يقل إن شاء الله، فلـم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون " [2]

ولمسلم أيضا في كتاب الأيمان والنذور باب الاستثناء [3] ، ولأحمد بن حنبـل، في عدة مواضع جاء في أحدها أن سليمان عليه السلام نسي أن يقول إن شاء الله. [4]

وخلاصة ذلك أن المراد بالفتنة أن سليمان عليه السلام لم يستثني أي لم يقل إن شاء الله، وأن المراد بالجسد هو شق الرجل الذي حملت به إحدى نسائه كما جاء في الحديث السابق.

---

[1] مفاتيح الغيب ج٢٦ ص ١٨٢.

[2] صحيح البخاري ج١١ ص ٢٩٨.

[3] صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٧٦.

[4] المسند ج١٤ ص ١٣٤.

## ٢ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير :

### التعريف بالمؤلف :

هو الإمام العالم الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير، ولد بالبصرة سنة ٧٠٠هـ ثم نزح إلى دمشق وهو ابن سبع سنين، مع أخيه بعد موت أبيه ، سمع من كثير من العلماء منهم الآمدي وابن عساكر وغيرهم، وقد لازم الحافظ المزي وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاهره على ابنته، وأخذ كثيرا عن ابن تيمية وأعجب بآرائه واتبعه في كثير منها، وأفتى على مذهبه في كثير من المسائل، ولقد كان ابن كثير رحمه الله واسع العلم، تبحر في علم التفسير والحديث والتاريخ، فكان من نتاج ذلك مؤلفات من أشهرها وأعمها نفعا كتابه المعروف في التفسير، تفسير القرآن العظيم ، وكتابه المعروف في التاريخ البداية والنهاية.

### ابن كثير ورواية الإسرائيليات: وموقفه منها :

ابن كثير هو المحدث البارع الذي حذق فن الرواية وأصولها، فكان لذلك أكبر الأثر في مروياته في التفسير والتاريخ، ولم يذكر من الإسرائيليات كل شاردة وواردة، ولم يذكر من الأباطيل كل ما صادفه، بل كان يتوخى الصحة فيما يذكر، فإن ذكر شئا من ذلك فإنما يكون ذكره لا من باب التقرير له، والشهادة بصحته، ولكن من باب التحذير منه والتنبيه إلى بطلانه، وكان أسلوب ابن كثير – رحمه الله – في نقد هذه الإسرائيليات يختلف من رواية إلى أخرى، ومن حالة إلى أخرى، ففي الحالات التي يروي فيها روايات باطلة لا يقبلها العقل يشير إليها بالبطلان، وينصح بالإيمان إجمالا فيما أورده القرآن مجملا من غير تكلف بحث.

وابن كثير وإن كان يشترك مع الطبري في ذكر الأسانيد، إلا أنه يتعقب ما يذكره بالنقد، ويبين ما فيه من قوة وضعف وصحة وبطلان، وينبه إلى ما يوجد في ذلك من الإسرائيليات والمناكير، ويحذر من قبولها واعتقاد صحتها.

يقول الدكتور محمد أبو شهبة: يعتبر ابن كثير نسيج وحده في التنبيه على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير فتارة يذكرها ويعقب عليها بأنها دخيلة على الرواية الإسلامية، ويبين أنها من الإسرائيليات الباطلة المكذوبة، وتارة لا يذكرها بل يشير إليها ويبين رأيه فيها [1].

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ [2] يعقب ويقول: وقد رويت قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع إلى الصادق المعصوم ﷺ وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد الله، والله أعلم بحقيقة الحال [3].

وابن كثير – رحمه الله – وإن ذكر في تفسيره كثيرا من الإسرائيليات الباطلة معقبا عليها بما يبين بطلانها ويظهر كذبها وافترائها، إلا أنه في بعض الأحيان، يُهمل تماما ذكر بعض الإسرائيليات التي رواها بعض المفسرين في تفاسيرهم، وهو حين يفعل ذلك إنما يرى أن الخير في الإمساك عن ذكر هذه الروايات، وأن إهمالها خير من ذكرها وتفنيدها لظهور بطلانها، ووضوح كذبه،ا ويعد الانشغال بها نوعا من العبث، فنجده عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [4] يقول : ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ها هنا آثارا عن بعض السلف، أحببنا أن نضرب عنها صفحا، لعدم صحتها، فلا نوردها.

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٨٢.

(2) البقرة : ١٠٢.

(3) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٤١.

(4) الأحزاب : ٣٧.

ونجده عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾[1] يقول قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ﷺ ويزيد وإن كان من الصالحين، ولكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله تعالى ، فإن القرآن حق وما تضمنه فهو حق .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [2] البقرة المخصوصة عند وجودهم لها، عند رجل من بني إسرائيل، من أبر الناس بأبيه... الخ، ويروي كل ما قيل في ذلك عن بعض علماء السلف وفي النهاية يعقب على كل ما قيل بقوله.

وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب، ولهذا لا نعتمد عليها، إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم [3].

ومثلا عند تفسيره لأول سورة ق نراه يقول :

وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا "ق" جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف وكان هذا والله أعلم، من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم، فيما لا يصدق ولا يكذب.

وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة – مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها–

---

(1) ص : ٢١.

(2) البقرة : ٦٧.

(3) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٥٤.

أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل، مع طول المـدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلـم عـن مواضـعه، وتبديل كتب الله، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله ﷺ "وحـدثوا عـن بـني إسرائيل ولا حرج" فيما قد يجوز العقل، فأما ما تحيله العقول ويحكم عليـه بـالبطلان ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل والله أعلم [١].

قال: وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلـف في الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهـم احتجـاج إلى أخبارهم ولله الحمد والمنة، حتى أن الإمام الرازي – رحمه الله – أوردها هنا أثرا غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس، ثم ساق السند والمتن الذي ذكرناه آنفا، ثم قال فإسـناد هذا الأثر فيه انقطاع أي راو سقط من رواته، والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله "ق" هو اسم من أسماء الله عز وجل، والذي ثبت عـن مجاهد وهو من تلاميذ ابن عباس الملازمين له الناشرين لعلمه، أنه حرف من حـروف الهجاء كقوله تعالى "ص، ن، حم، طس، ألم " تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضـى الله عنهما [٢].

إذا تفسير ابن كثير هذا، يمتاز عن غيره من المفسرين، لأنه غالبا ما ينبه على ما في التفسير بالمأثور من الدخيل، ومنكرات الإسرائيليات وغرائبها، ويحذر منها علـى وجه الإجمال تارة، وعلى وجه البيان لما فيها من كذب وافتراء تارة أخرى.

ولا يعني ذلك أن هذا التفسير العظيم قد سلم من ذكر الإسرائيليات، ولكـن مع كل هذا قد تورط – رحمه الله تعالى – في ذكرها دون تعقيب عليها ولـو بكلمـة واحدة وهنا يقول الشيخ الذهبي – رحمه الله – :

---

[١] تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٣٧٢.

[٢] المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

ولقد نجد ابن كثير يذكر في تفسيره بعض الروايات الإسرائيلية الغريبة، ولا يعقب عليها ولا بكلمة واحدة، رغم تحذيره الشديد في مواطن كثيرة من تفسيره، من روايات مثل هذه الإسرائيليات، وما كنا نرضى له وهو الإمام المحدث أن يتورط في رواية شئ من هذا القبيل، حتى ولو كان مما يحتمل الصدق والكذب، لأن الاشتغال بمثل هذا من قبيل تضييع الأوقات فيما لا فائدة فيه، كما قرر هو ذلك أكثر من مرة في تفسيره،

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ. . ﴾ [1] نجده بعد ما ذكر أن الذي حاج إبراهيم عليه السلام هو ملك بابل، نمروذ بن كنعان،

يقول ما نصه:

وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أن النمروذ كان عنده طعام وكان الناس يفدون إليه للميرة – الطعام ونحوه – فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة، فكان بينهما هذه المناظرة، ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطى الناس، بل خرج وليس معه شئ من الطعام، فلما قرب من أهله عمد إلى كثيب من التراب فملأ منه عدليه – العدل نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير – وقال اشغل أهلي عني إذا قدمت إليهم فلما قدم وضع رحاله، وجاء فاتكأ فنام فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاما طيبا، فعملت طعاما فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه، فقال أنى لكم هذا ؟ قالت: من الذي جئت به، فعلم أنه رزق رزقه الله عز وجل،

قال زيد بن أسلم وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار، ملكا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه، ثم دعاه الثانية فأبى ثم الثالثة فأبى، وقال اجمع جموعك وأجمع جموعي، فجمع النمروذ جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، وأرسل الله عليهم ذبابا من البعوض، بحيث لم

---

[1] البقرة : ٢٥٨.

يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركــت عظــامهم بادية، ودخلت واحدة منها في منخرى الملك، فمكثت أربعمائة سنة عذبــه الله بهــا، فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة حتى أهلكه الله. [1]

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [2] نراه يقول ما نصه: "

وقال وهب بن منبه في قوله ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾قال: فألقاها على وجــه الأرض، ثم حانت نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون، فَدَبّ يلتمس كأنه يبتغي شيئًا يريد أخْذَه، يمر بالصخرة مثل الخَلِفَة من الإبل فيلتقمها، ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها، عيناه توقدان نارا، وقد عاد المِحْجَن منها عُرفًا. قيل: شعر مثل النيازك، وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع، فيه أضراس وأنياب، لهــا صريف، فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرًا ولم يُعَقّب، فذهب حتى أمعن، ورأى أنه قد أعجَز الحية، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نودي: يا موسى أنْ: ارجــع حيــث كنت. فرجع موسى وهو شديد الخوف. فقال: ﴿ خُذْهَا ﴾ بيمينــك ﴿ وَلا تَخَــفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولَى ﴾ وعلى موسى حينئذ مِدْرَعة من صوف، فدخلها بخلال مــن عيدان، فلما أمره بأخذها أدلى طرف المدرعة على يده، فقال له ملــك أرأيــت يــا موسى، لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئًا ؟ قال: لا ولكني ضعيف، ومن ضَعْف خلقت. فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحيــة، حــتى سمــع حــسّ الأضراس والأنياب، ثم قَبض فإذا هي عصاه التي عهدها، وإذا يده في موضعها الــذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولَى﴾ أي: إلى حالها التي تعرف قبل ذلك [3].

---

[1] تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٤.

[2] طه : ٢٠.

[3] تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٥.

## تعقيب الشيخ الذهبي :

وهنا يعقب فضيلة الشيخ الذهبي فيقول يروي ابن كثير – وهو الناقد البصير – هاتين القصتين الإسرائيليتن ولا يعقب عليهما ولا بكلمة واحدة، ولكن مهما يكن من شئ، فابن كثير خير من رأينا من المفسرين موقفا من الإسرائيليات، فهو يتعقبها إلا ما ندر ويبين ما فيها من زيف وفساد، وليت لنا من ينقد ما في كتب التفسير من روايات إسرائيلية وغير إسرائيلية على طريقة ابن كثير ومنهجه، إذا لكان قد أسدى إلى المشتغلين بالتفسير فضلا وجميلا لا يجحد [1]

## ٣ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني للإمام الآلوسي:

### التعريف بمؤلف هذا التفسير :

هو شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، المولود سنة ألف ومائتين وسبع عشرة من الهجرة ببغداد، كان – رحمه الله – نابغة ، وعالم من أفذاذ العلماء الذين آثروا المكتبة الإسلامية بمصنفاته، التي أهمها ذلك الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به.

تلقى العلم على كبار العلماء وأساطينه، ومنهم والده والشيخ خالد النقشبندي، وكان حريصا على العلم شغوفا به مهتما بجمعه، يسهر الليل لتحصيله واستيعابه وتدوينه، وكثيرا ما كان ينشد قوله :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي    من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طربا لحل عويصة    أشهى وأحسن من مدام الساقي
وألذ من نقر الفتاة لدفها    نقري لدفع الرمل عن أوراقي

---

[1] الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٨٨

واشتغل بالتأليف والتدريس وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقد أخذ عنه وتتلمذ عليه كثيرون، لأنه درَّس في عدة مدارس زيادة على تدريسه في بيته.

وكان - رحمه الله - كريما سخيا، يواسي تلاميذه بالملبس والمأكل والمال والمسكن، فذاع صيته وعرف فضله، وانتهت إليه الرياسة، فقلد إفتاء الحنفية، وولى أوقاف المدرسة المرجانية، وكانت ولايتها مقصورة على أعلم أهل البلد.

وكان - رحمه الله - على علم بالمذاهب الفقهية، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب إلا أنه كان يقلد أبا حنيفة في كثير من المسائل، ولقد خلَّف للناس ثروة علمية قيمة، أهمها على الإطلاق كتابه في التفسير، روح المعاني وله شرح السلم في المنطق، والأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية، والأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية،[1] والنفحات القدسية في المباحث الإمامية، والفوائد السنية في علم آداب البحث، ولو لم يكن له إلا روح المعاني
لكفاه، توفى - رحمه الله - سنة ألف ومائتين وسبعين من الهجرة. [2]

وتفسير الآلوسي من أشهر الكتب التي جمعت بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود، وللآلوسي قدم راسخة في التفسير، ولم يكتب شرحه الرائع إلا بعد دراسة حاشدة لشروح سابقة ،حيث استطاع أن يجمع خلاصة وافية لأكثر ما سبقه من الشروح المتداولة مع وضوح العبارة وسلامة المنحى.

الآلوسي ورواية الإسرائيليات:

ويعتبر الآلوسي ثاني اثنين بعد ابن كثير - رحمه الله - ممن تصدوا للإسرائيليات وكانوا حربا عليها فضمنوا كتبهم إياها لا على سبيل التدليل بها والاعتراف بصحتها، ولكن على سبيل التحذير منها ومن تصديقها وقبولها.

---

(1) هدية العارفين ٢/ ١٦٨ ، إيضاح المكنون ١/ ٢٧ الفهرست ١/ ٢٧

(2) تفسري الآلوسي ج ١ ص ١ ــ ٣

وقد نقل الآلوسي كثيرا من الإسرائيليات ليعقب عليها بالتفنيد والتزييف، إذ كانت له بصيرته النافذة، ويقظته الشديدة، غير أن الآلوسي حين يذكر الإسـرائيليات في كتابه ينبه على بطلانها، ويذكرها خالية من الأسانيد، بخلاف ابن كثير فإنه يذكرها بأسانيدها.

ومع هذه اليقظة الشديدة ذات التنبيه المتكرر المتلاحق، كان المظنون بـه أن يتجافي عن هذا الضرب من الأساطير، بعد أن حذر من تداوله واستشهد في تفسـيره لسورة ص بقول الشاعر :

ونؤسر حكم العقل في كل شبهة إذا آثر الأخبار جلاس قصاص

وقد شذ عن قاعدته حينا.

كان لهذه الأساطير مغناطيسا يجذب المتشدد والمتساهل معا، فتجده عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾[1] يذكر ما روى في تفسير تلك الآية، من أن الملائكة تعجبت من بني آدم لما خالفوا أمر الله تعالى، وقالوا لله لـو كنا مكانهم ما عصيناك، فقال الله لهم اختاروا ملكـين مـنكم ليهبطـوا إلى الأرض، فاختاروهما فهبطا إلى الأرض، ومثلا بشرين، وألقى الله تعالى عليهما الشبق، وحكمـا بين الناس، وافتتنا بامرأة يقال لها زهرة، فطلباها وامتنعت إلا أن يعبدا صنما، أو يشربا خمرا، أو يقتلا إنسانا، ففعلا! ثم تعلمت منهما ما صعدت به إلى السـماء، فصـعدت ومسخت هذا النجم المسمى بالزهرة، وأرادا العروج فلم يمكنهما ذلك، فخيرا بـين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما الآن يعذبان [2].

ثم يذكر الآلوسي تلك القصة، ثم ينكر أن تكون حدثت على الظاهر المروي ثم يقول: ولعل ذلك من باب الرموز والإشارة، فيراد من الملكين العقل النظري والعقـل

---

[1] البقرة : ١٠٢ .

[2] تفسير الآلوسي ج ١ ص ٢٧٣.

العملي اللذان هما في عالم القدس، ويراد بالمرأة المسماة بالزهرة النفس الناطقة، ومن حملها لهما على المعاصي، تحريضهما بحكم الطبيعة المزاجية إلى الميل إلى السفليات المدنسة لجوهريهما، ومن صعودهما إلى السماء وعروجهما إلى الملأ الأعلى، ومخالطتها للقديسين، ومن بقائهما معذبين، بقاؤهما مشغولين بتدبير الجسد وحرمانهما من العروج إلى سماء الحضرة.

والذي دعا الآلوسي إلى تأويل هذه القصة، وجعلها من باب الرمز والإشارة، أنه وجد السيوطي قد صححها وذكر أنها رويت عن الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهما مرفوعة إلى رسول الله ﷺ ،وموقوفة على علي وابن عباس وابن عمر وابن مسعود بأسانيد عديدة، وإذا كان السيوطي قد صحح هذه القصة، فإنه قد كذبها غيره كثيرون كالقاضي عياض وابن حيان والفخر الرازي، وقد نص العراقي على أن من اعتقد أن هاروت وماروت ملكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر بالله، لأن الملائكة معصومون ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [1] ﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [2] والزهرة موجودة على حالها منذ خلق السماوات والأرض.

والناظر في تفسير الآلوسي يجد أنه بالرغم من شدته على المولعين برواية الإسرائيليات ،وشدة نكيره عليهم، يقع فيما وقعوا فيه، فيذكر بعض الإسرائيليات دون أن يعقب عليها بما يفيد التحذير منها وبيان بطلانها.

فنراه عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [3] يروي ما يظهر عليه مسحة الوضع فيقول: وفي بعض الآثار أنه عليه السلام لما لم يره – يعني الهدهد – دعا عريف الطير وهو النسر

---

[1] التحريم: ٦

[2] الأنبياء : ٢٠

[3] النمل : ٢٢.

فسأله، فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير – وهو العقاب – علا به فارتفعت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك أو ليذبحنك قال: وما استثنى، قالت: بلى قال أو ليأتيني بسلطان مبين قال نجوت إذا فلما قرب من سليمان أرخى ذيله وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان فعفا عنه، وعن عكرمة أنه عفا عنه لأنه كان بارا بوالديه يأتيهما بالطعام فيذقهما لكبرهما [١].

وإذا التمس العذر للآلوسي في روايته بعض الإسرائيليات دون أن يعقب عليها ظنا أنه ربما اعتقد صحتها، وأنه لا يمكن أن يلتمس العذر له في روايته تلك الإسرائيليات التي رواها معتقدا بطلانها، ثم لا يعلل ذلك بإظهاره للناس في التحذير منه، وعدم الوقوع في تصديقه، بل يعلله بأنه إشباع لشهوة من يحب سماع ذلك.

فنراه عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [٢] يذكر ما قيل في شأن هذه الدابة، ثم ينهى ذلك بقوله والأخبار في هذه الدابة كثيرة، وفي البحر أنهم اختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحل خروجها وعدد خروجها ومقدار ما يخرج منها ،وما تفعل بالناس وما الذي تخرج به اختلافا مضطربا متعارضا، فطرحت ذكره لأن ذكره تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان ناقله.

ثم يعقب الآلوسي على كلام أبي حيان بقوله: هو كلام حق وإنما نقلت بعض ذلك دفعا لشهوة من يحب الإطلاع على شئ من أخبارها صدقا كان أو كذبا.[٣]

---

(١) تفسر الآلوسي ، ج ١٩ ص ١٨٦.

(٢) النمل : ٨٢. تفسير البحر المحيط ٨/ ٤٩٥

(٣) تفسير الآلوسي ج٢ ص ٢١.

ونرى الآلوسي في بعض الأحيان يذكر بعض الإسرائيليات غير واثق بها، ثم يعلل ذلك بأنه نقل تلك الإسرائيليات تأسيا بالمفسرين قبله، فنراه عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ [1] يذكر ما ذكره المفسرون قبله في شأن لقمان، وينقل اختلافهم في أنه كان نبيا أو قاضيا في بني إسرائيل، وفي أنه كان حرا أو عبدا، غليظ الشفتين مفلطح القدمين، أو نوبيا مشقق القدمين، وعلى أنه كان راعيا أو خياطا أو غير ذلك من أوصافه.

ثم يعقب على ذلك فيقول ولا وثوق بشيء من هذه الأخبار وإنما نقلتها تأسيا بمن نقلها من المفسرين الأخيار، غير أنني أختار أنه كان رجلا صالحا حكيما ولم يكن نبيا.[2]

وبالرغم من ذلك فتفسير الآلوسي يعد من أعظم التفاسير التي تصدت للإسرائيليات وأبانت بطلانها.

---

[1] لقمان : ١٢.

[2] تفسير الآلوسي ج٢١ ص ٧٤.

## ٤ـ الكشف عن بيان تفسير القرآن للثعلبي:

التعريف بالمؤلف؛

هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري أبو إسحاق الثعلبي المفسرتوفي في ٢١ محرم سنة ٤٣٧ سبع وثلاثين وأربعمائة وله ثمانون سنة، من تصانيفه ربيع لمذكرين. عرائس المجالس في قصص الأنبياء. الكشف والبيان في تفسير القرآن "[١]

وهو تفسير ينهج صاحبه فيه منهج التفسير بالمأثور، دون أن يذكر الأسانيد ولقد جاء تفسيره هذا مشحونا بالإسرائيليات مليئا بالأباطيل والخرافات، دون تعقيب أو نقد حتى ولو كان في هذه الإسرائيليات ما يتضح كذبه، وقد ذكر كثيرا من الأباطيل في تساهل بين، ووصل به الأمر إلى نسبة هذه الإسرائيليات إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان الثعلبي من رجال الوعظ الديني، الذين شغلوا بتفسير القرآن وقد دفعه انشغاله بالوعظ للعامة إلى تتبع المشوقات من أخبار الأقدمين، وتردادها في مجالس الإرشاد، وقد اشتغل الثعلبي أيضا بقصص الأنبياء وأفرد لها مؤلفا خاصا شاع بين العامة سماه عرائس المجالس، وقد حشاه بما لا يعقل: وطبيعي أن يكون تفسيره لقصص الأنبياء في القرآن الكريم سائر في هذا الاتجاه .

والناظر في هذا التفسير لا يكاد يجد موضعا من مواضع القصص القرآني، إلا وقد حشاه بالخرافات والترهات التي لا تقرها العقول السليمة والفطر المستقيمة، والمجال يضيق عن الاستشهاد بالكثير من نقول الثعلبي.

ونكتفي بذكر المثالين الآتيين:ـ

١ـ ما ذكره بصدد قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[٢] ذكر أن

---

[١] هدية العارفين ١/ ٣٩ ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١/٥٢، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٠

[٢] يوسف : ١٧.

إخوة يوسف قد اصطادوا ذئبا ولطخوه بالدم، وأوثقوه بالحبال وقالوا لأبيهم هذا هو الذئب الذي فجعنا في أخينا، وهذا دمه عليه، فقال لهم يعقوب: أطلقوه فاندفع الذئب إليه فقال له أيها الذئب لم فجعتني في ولدي وأورثتني حزنا طويلا؟ فأنطقه الله وقـال: والذي اصطفاك نبيا ما أكلت لحمه وما مزقت جلده! وإنما أنا ذئب غريب، أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقدته ولا أدري أهو حي أم ميت! فاصـطادني أبنـاؤك ولحوم الأنبياء محرمة علينا.

فقال يعقوب لبنيه: لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم، هذا ذئب بهيمة خرج يتبع زمـام أخيه وأنتم ضيعتم أخاكم بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

٢ـ ما رواه الثعلبي في تفسير قوله تعالى:﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَـالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [1] رواية عن وهب بـن منبـه والسدي وغيرهما جاء فيها:" وأسماؤهم يريد فتية أهل الكهف: مكسلميثا وهو كبيرهم وسيدهم، وأمليخا وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم، ومكشـيثا ومرطـوش ونـواش ولونواش وكيد سططنوس وكلبهم قطمير.

قال الثعلبي مروا بكلب ينبح فطردوه مرارا فقام الكلب على رجليـه رافعـا يديه إلى السماء كهيئة الداعي، فنطق فقال: لا تخافوا أنا أحب أحباء الله فناموا حـتى أحرسكم.

ثم مضى الثعلبي في ذكر قصتهم وقد قال فيما قال في هذا المقام، وقد قيـل إن النبي ﷺ سأل الله أن يريه إياهم، فقال: إنك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك، فقال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام كيف أبعثهم

---

[1] الكهف : ١٠.

فقال ابسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبي بكر وعلى الآخر عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي بن أبي طالب، ثم ادعو الريح الرخاء المسخرة لسليمان فإن الله تعالى يأمرها أن تطيعك ففعل فحملتهم الريح إلى باب الكهف، فقلعوا منها حجرا فحمل الكلب عليهم فلما رآهم حرك رأسه وأومأ برأسه أن ادخلوا، فدخلوا الكهف فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقالوا يا معشر الفتية إن محمد ن عبد الله يقرأ السلام عليكم فقالوا: وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض، وقبلوا دينه وأسلموا، قالوا: أبلغوا محمدا رسول الله، ثم أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدهم [1].

(1) تفسير الثعلبي ج ٤ ص ٢١.

## ٥- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن

التعريف بالمؤلف :

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي[(١)]. البغدادي الشافعي الصوفي، المعروف بالخازن لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق.

ولد ونشأ في بداية حياته ببغداد سنة ستمائة وسبعين وثمان من الهجرة، ثم رحل إلى دمشق من أجل طلب العلم ولقد كان من أهل العلم والفضل وكان- رحمه الله - صوفيا عابدا لله حسن المعاملة للناس والتودد لهم.

توفى - رحمه الله - سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من الهجرة، بعد أن ترك للناس ثروة علمية، فمن مؤلفاته إلى جانب كتابه في التفسير، شرح عمدة الأحكام، ومقبول النقول، جمع فيه سندي الشافعي وأحمد والكتب الستة والموطأ وسنن الدارقطني فخرج الكتاب في عشرة مجلدات مرتب الأبواب [(٢)].

الخازن ورواية الإسرائيليات :

اختصر الخازن تفسيره من تفسير البغوي، وتفسير البغوي هذا مختصر من تفسير الثعلبي، وتفسير الثعلبي مملوء بالإسرائيليات، فلا عجب أن جاء تفسير الخازن مليئا بالإسرائيليات.

والخازن حين يذكر الإسرائيليات في تفسيره لا يذكر أسانيدها، وهو في بعض الأحيان يعقب على ما يذكره بالبطلان وعدم الصحة، وفي بعضها يعقب عليه بالضعف، وفي أحيان كثيرة يترك ما يذكره دون تعقيب عليه ونقد له رغم ظهور ووضوح فساده.

---

(١) تفسير الشيحي بالحاء المهملة نسبة إلى بلد اسمها شيحة من أعمال حلب.

(٢) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٣١.

والخازن حين كتب تفسيره لم يقصر على استمداد أصوله من تفسير البغوي، بل إنه رجع أيضا إلى تفسير الثعلبي وأخذ منه، ومن هنا ضمن كتابه كثيرا من الإسرائيليات الموجودة في هذا التفسير ، ولقد ساعد على ذلك كونه واعظا ومتصوفا، ومن كان هذا شأنه فلابد أن يكون ولعا بالقصص شغوفا بالأخبار، وكل ذلك أدى إلى امتلاء هذا التفسير بالإسرائيليات وقد طغى ذلك على المواد الكثيرة في تفسيره، وفيه الجيد الدقيق في مضمار اللغة والفقه، ولكن الصبغة الأسطورية ضاءلت من مكانته إذ غرقت في محيطه فعزف الكثيرون عن مطالعته.

فنراه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾[1] يروي رواية عن وهب بن منبه، قال وهب فيها بعد أن ذكر ما له من الأموال والأرض والعبيد، وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السماوات وكان يقف فيهن حيث أراد، حتى رفع الله عيسى عليه السلام عن أربع فلما بعث محمدا ﷺ حجب عن السماوات كلها، إلا من استراق السمع فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدرك إبليس الحسد والبغض، فصعد سريعا حتى وقف حيث كان يقف، وقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا قد أنعمت عليه فشكر، وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته، لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك، ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله، فانقض عدو الله حتى وقع على الأرض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين، وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهو المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال، فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينج منه شيء صعد سريعا حتى وقف الموقف الذي يقف فيه، وسأل الله أن

---

[1] الأنبياء : ٨٣ ــ ٨٤.

يسلطه على ولده، فقال الله له انطلق فقد سلطتك على ولده.

ثم يذكر أقوالا فيما وقع بولد أيوب من عذاب وهلاك، وأن إبليس جاء بعد ذلك إلى أيوب وقال له لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلبوا منكسرين على رؤوسهم تسيل دماؤهم، ولو رأيت كيف شققت رؤوسهم، فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم، فبكى أيوب وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال: ليت أمي لم تلدني، ثم لم يلبث أن تاب إلى الله فوقف إبليس خاسئا ذليلا وسأل الله أن يسلطه على جسد أيوب، فقال له الله انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله، فانقض إبليس سريعا فوجد أيوب ساجدا، فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده، فخرج من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل إليات الغنم ووقعت فيه حكة فحكها بأظافره حتى سقطت، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعت ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة حتى قرح لحمه، وتقطع وتغيره فأخرجه أهل القرية حتى جعلوه على كناسة لهم، وجعلوا له عريشة ورفضه كل خلق الله إلا امرأته.

ثم ذكر الخازن أن أيوب لما صبر صبرا أعيا عدو الله إبليس جاءه من قبل زوجته وذكرها بأيام شبابه وجماله، وقال لها إذا ذبح أيوب هذه السخلة [1] لي فإنه يبرأ فذهبت زوجة أيوب إليه وطلبت منه ذلك فقال لها أأذبح لغير الله. [2]

يروي الخازن هذا دون أن يعقب عليه بكلمة تشير إلى بطلانه وبيان أنه مدسوس على التفسير لكتاب الله تعالى.

وكان يجب عليه أن يدفع عن الأنبياء ما يخل بنبوتهم ويتنافى مع حفظهم مما ينفر عنهم من صفات خلقية وخلقية .

---

[1] السخلة : ولد الشاة ضأنا كان أو معزا ـــ لسان العرب ج ٢ ص ١٩٦٤.

[2] تفسير الخازن ج ٤ ص ١٦٠.

والحق أن الخازن لا يهمل التعقيب عما يخل بعصمة الأنبياء دائما وإنما يتعقب بعض ما يخل بعصمتهم ويكر عليه ببيان بطلانه أحيانا فنراه عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [1]..... الآيات

يذكر في هذا المقام كثيرا من الإسرائيليات التي لا تتفق ومقام النبوة، وتتعارض تماما مع عصمة الأنبياء، فيذكر قصة الشيطان الذي تمثل لداوود حمامة من ذهب، فوقعت بين يديه وألهته عن صلاته، ويذكر أيضا قصة زوجة أوريا، والتي قيل فيها إن داود أعجب بها فزج بزوجها في صفوف الجيش الأولى إلى أن قتل، فسلمت له وتزوجها وغير ذلك، مما لا يليق بإنسان مؤمن صالح فضلا عن أن يكون نبيا .

وبعد أن يذكر ذلك يعقب عليه ببيان بطلانه ويكر عليه بتفنيده فيقول : فصل في تنزيه داود ﷺ عما لا يليق به وينسب إليه ثم يأخذ في الحديث بما يبين بطلان الروايات التي أوردها وزيفها .

وبينما يفعل الخازن ذلك فإنا نراه يهمل التعقيب على بعض القصص الإسرائيلية ويقف منها موقفا سلبيا ففي سورة الكهف يذكر بعض ما ورد من الإسرائيليات في قصة أهل الكهف، وهو غاية في الغرابة والنكارة ، ومع ذلك يمر عليه دون أن يبين بطلانه وزيفه وكذلك يفعل في كثير من المواضع .

وقد ينهج هذا المنهج أيضا في مقام يتطلب دفع ما يخل بالنبوة ويتنافى مع عصمة الأنبياء كما سبق بيانه.

وخلاصة القول أن تفسير الخازن مملوء بالإسرائيليات وفي حاجة إلى تحقيق.

---

(1) ص : ٢١.

## ٦ـ تفسير مقاتل بن سليمان

**التعريف بالمؤلف؛**

هو كبير المفسرين، أبو الحسن، مقاتل بن سليمان البلخي أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة وبها مات بعد خروج الهاشمية كنيته أبو الحسن، كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم، وكان شبهيا يشبه الرب بالمخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث، كان متروك الحديث.

روى عن عمته عمرة وسعيد بن المسيب وأبي بردة بن أبي موسى، وعكرمة وسالم مولى ابن عمر وشهر بن حوشب وقتادة ومسلم بن هيصم والضحاك بن مزاحم وعمر ابن عبد العزيز وجماعة.

وعنه أخوه مصعب بن حيان وعلقمة بن مرثد وشبيب ابن عبدالملك التميمي وعبد الله بن المبارك وبكر بن معروف وإبراهيم بن أدهم وخالد ابن زياد الترمذي وحجاج بن حسان القيسي وأبو عصمة نوح بن أبي مريم وهارون أبو عمر، وقال البخاري روى عنه المحاربي

من كتبه التفسير الكبير و نوادر التفسير والرد على القدرية ومتشابه القرآن والناسخ والمنسوخ والقرآت والوجوه والنظائر.

قال ابن المبارك – وأحسن –: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة !

توفي سنة خمسين ومائة بالبصرة، رحمه الله تعالى[1]

تفسير يذكر فيه صاحبه كل ما يقابله من إسرائيليات وما يصادفه من أباطيل ويذكر كل ذلك دون إسناد فإن ذكر إسنادا لما يرويه وذلك قليل جدا، فإنه يكون إلى رجال متهمين بالكذب كالكلبي عن أبي صالح.

---

[1] سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠١ ، وفيات الأعيان ٢٥٧/٥ ، لسان الميزان ٢٥١/٣، المجروحين ١٤/٣ ، تهذيب التهذيب ١٠ /٢٤٨ ، الأعلام للزركلي ٧/ ٢٨١،

ومن الإسرائيليات التي يوردها مقاتل في تفسيره ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ [1] حيث قال بأن المراد بـ "ق" جبل من زمردة خضراء يحيط بالعالم وهو من وراء الجبال، تنبت الجبال منه وعروقها منه فإذا أراد الله زلزلة أرض أوحى إلى الملك الذي عند جبل ق أن يحرك عرقا من الجبل فتتحرك الأرض التي يريدها الله، وهذا الجبل المزعوم أول جبل خلق، وخلق بعده جبل أبي قبيس في زعم مقاتل.

ويزعم أيضا أن هناك جبل دون جبل ق لمسيرة سنة يقال له الحجاب كذلك جبل تغرب الشمس منه وهذا هو المراد بقوله ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ ويزعم أيضا أن الحجاب هذا، له وجه كوجه الإنسان وقلب كقلوب الملائكة في خشية الله[2].

ومن الإسرائيليات التي يذكرها مقاتل في تفسيره ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ...... ﴾ [3] من قوله : ودخل بها- أي دخل زيد بزينب – فلم يلبث إلا يسيرا حتى شكى إلى النبي ﷺ فوعظها فلما كلمها أعجبه حسنها وظرفها، وكان أمرا قضاه الله عز وجل، ثم رجع النبي ﷺ وفي نفسه منها ما شاء الله عز وجل، فكان النبي ﷺ يسأل زيدا بعد ذلك كيف هي معك، فيشكوها إليه فقال له النبي ﷺ اتق الله وأمسك عليك زوجك، وفي قلبه غير ذلك، ثم إن النبي ﷺ أتى زيدا فأبصر زينب قائمة وكانت حسنة بيضاء من أتم نساء قريش فهويها النبي ﷺ فقال سبحان مقلب القلوب، ففطن زيد فقال يا رسول الله إئذن لي في طلاقها، فإن فيها كبرا تعظم علي وتؤذيني بلسانها، فقال النبي ﷺ أمسك عليك زوجك واتق الله،

---

[1] ق : ١.

[2] تفسير مقاتل ج ٢ ص ١٤٤٤.

[3] الأحزاب : ٣٧.

ثم إن زيدا طلقها بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ﴿ وَإِذْ تَقُولُ ﴾ يا محمد ﴿ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالإسلام ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ بالعتق وكان زيد أعرابيا في الجاهلية مولى في الإسلام سبى فأصابه النبي ﷺ فأعتقه ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ﴾ يعني وتسر في قلبك يا محمد ليت أنه طلقها ﴿ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ يعني مظهره عليك حين ينزل به قرآن ﴿ وَتَخْشَى ﴾ مقالة الناس في أمر زينب ﴿ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ وقرأ النبي ﷺ هذه الآية على الناس بما أظهره الله من أمر زينب إذ هويها.

ويمضي مقاتل في تفسيره إلى أن يصل إلى قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ فيقول: هكذا كانت سنة الله في الذين خلو من قبل محمد يعني داوود النبي عليه السلام حيث المرأة التي فتن بها وهي امرأة أوريا، فجمع الله بين داوود وبين المرأة التي هويها وكذلك جمع الله عز وجل بين محمد ﷺ وبين زينب إذ هويها كما فعل بداوود عليه السلام فذلك قوله عز وجل ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ فقدر الله عز وجل لمحمد وداوود تزويجهما [1].

وهكذا يبرز مقاتل فريته على رسول الله ﷺ بفرية مماثلة على نبي من الأنبياء وينسب إليهما ما لم يحدث مما يخل بالعصمة والنبوة لو حدث.

وبينما يوجز مقاتل القول في هذه القصة الإسرائيلية في هذا الموضع نراه يذكرها مبسوطة عند شرحه لقوله عز وجل ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [2]

ومن الإسرائيليات التي ذكرها مقاتل في تفسيره ما ذكره عند قوله تعالى:
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ

---

[1] تفسير مقاتل ج ٢ ص ١١٧٩.

[2] ص : ٢١.

فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] فتراه يفسر التمني بالتحدث ويقول: إن معنى إلقاء الشيطان في أمنيته إلقاؤه في حديثه، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ ﴾ [2] ثم يشرح مقاتل القصة فيقول وذلك أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام فنعس فقال: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلا وعندها الشفاعة ترتجى، فلما سمع المشركون أن بآلهتهم شفاعة ترتجى فرحوا بذلك ثم رجع النبي ﷺ فقال:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) ﴾ [3] فذلك قوله عز وجل

﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾.

وعندما يأتي في تفسيره قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى ﴾ في سورة النجم يكرر ما قاله في سورة الحج ويصرح بأن الشيطان هو الذي ألقى هذه الزيادة على لسان النبي ﷺ في قراءاته [4].

---

(١) الحج : ٥٢

(٢) البقرة : ٧٨

(٣) النجم : ١٩

(٤) تفسير مقاتل : ج ١ ص ٢٣.

## ٧ـ تفسير الكشاف للزمخشري

**التعريف بالمؤلف؛**

العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، لقب بجار الله لأنه كان يمشي في جارين خشب، بسبب أن رجله سقطت من الثلج ، وقيل لأنه حج وجاورمكة المكرمة، وتخرج به أئمة، وله العديد من المصنفات ،توفي سنة ٥٥٧ هـ [١]

هذا الكتاب من الكتب التي تقل من ذكر الإسرائيليات، وإذا ذكر شيئا منها نراه يصدره بقوله روى، إشعارا بضعف هذه الرواية وبعدها عن الصحة ونراه في بعض الأحيان يذكر الرواية، ثم يفوض علمها إلى الله تعالى، وهذا مسلكه في المواطن التي لا يترتب على التصديق بما فيها إخلال بعصمة الأنبياء أو مساس بنبوته أو قدح فيها.

فنراه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [٢] يذكر رواية إسرائيلية يبدؤها بقوله: "روى أنها بعثت إليهم خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري. . . إلى آخرالقصة التي ذكرها وفي بدئه لهذه القصة يقول "روى" إشعارا بضعف هذه الرواية .

ونراه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ يذكر ما ورد في ذلك بقوله "روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء.... إلى آخر الرواية وبعد ما ذكرها بتمامها.

---

[١] سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١، اللباب ٢ / ٧٤، الكامل ١١ / ٩٧، إنباه الرواة ٣ / ٢٦٥ – ٢٧٢، وفيات الاعيان ٥ / ١٦٨ – ١٧٤، ٥٣٨، ميزان الاعتدال ٤ / ٧٨، العبر ٤ / ١٠٦، ، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٨٣،

[٢] النمل : ٣٥.

قال بعدها" والله أعلم بصحتها، فقوله في أولها "روى" وفي نهايتها "والله أعلم بصحتها" دليل على عدم جزمه بها.

ونرى الزمخشري عند تفسيره لقوله عز وجل ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ يقول: كان أهل زمان داوود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له على امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داوود وقعت على امرأة رجل فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام فقيل له إنك من عظيم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك، والصبر على ما امتحنت به، وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داوود عليه السلام فآثره أهلها فكان ذنبه أنه خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه.

وأمّا ما يذكر أنّ داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال : يا رب إنّ آبائي قد ذهبوا بالخير كله ، فأوحى إليه : إنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها : قد ابتلي إبراهيم بنمروذ وذبح ولده ، وإسحاق بذبحه وذهاب بصره ، ويعقوب بالحزن على يوسف . فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه : إنك لمبتلى في يوم كذا وكذا ، فاحترس ، فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور ، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب ، فمدّ يده ليأخذها لابن له صغير ، فطارت ، فامتدّ إليها ، فطارت فوقعت في كوّة ، فتبعها ، فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها ، وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء ، فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء . أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت ، وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ، ففتح الله على يده

وسلم ، فأمر بردّه مرة أخرى ، وثالثة ، حتى قتل ، فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء ، وتزوج امرأته .

فهذا ونحوه مما لا يصح أن يحدث به عن المتسمين بالصلاح من أعلام المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء .

وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علي بن أبي طالب ﷺ قال من حدثكم بحديث داوود ﷺ على ما يرويه القصاص جلدته مائة جلدة، وهو حد الفرية على الأنبياء، وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنه رجل من أهل الحق فكذب المحدث به، وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك .. وإن كان كما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه ﷺ فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس.

والذي يدل على المثل الذي ضربه الله لقصة داوود ﷺ طلبه إلى زوج المرأة أن يترل له عنها فحسب [1].

وترى الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ يقول : قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين، وملك بعد الفتنة عشرين سنة، وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لن ننفك من السخرة، فسبيلنا أن نقتله أو نخبله، فعلم فكان يغيبه في السحاب فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتا، فتنبه على خطئه في أنه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه.

وروى عن النبي ﷺ قال " قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا

---

[1] الكشاف : ج ٢ ص ٢٧٩.

امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفسي بيده لو قال إن شـــاء الله لجاهـــدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون "[1] فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾

وهذا ونحوه مما لا بأس به.

وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فالله أعلم .

حكوا أن سليمان عليه السلام بلغه خبر صيدون، وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكـــا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه في البحر، فخرج إليه تحمله الرياح حـــتى أنـــاخ بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها وأصاب بنتا له تسمى جرادة، من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها، وكان لا يرقأ دمعها علـــى أبيهـــا، فـــأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته، وكانت تغدوا إليها وتروح مـــع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكســـر الصـــورة وعاقب المرأة، ثم خرج وحده إلى فلاة، وفرش له الرماد فجلس عليـــه تائبـــا إلى الله متفرغا، وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها، وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهـــو الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر علـــى صـــورة سليمان عليه السلام فقال لها يا أمينة خاتمي، وتختم به وجلس على كرسي سليمان، وعكـــف عليه الطير والجن والإنس وغير سليمان من هيئته فأتى أمينة لطلب الخـــاتم فأنكرتـــه وطردته فعرف الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف، فإذا قـــال أنـــا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك، فيعطونـــه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا، عدد ما عبد الوثن في بيته، فـــأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان .

---

[1] سبق تخريجه عند الحديث عن الطبري في هذا المبحث ص ١٢١

وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها، ولا يغتسل من جنابة، وقيل بل نفذ حكمه في كل شئ إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فختم به ووقع ساجدا ورجع إليه ملكه، وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر، وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها، فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك، والخاتم لا يقر في يدك فتب إلى الله عز وجل [1].

وبعد أن انتهى الزمخشري من ذكر هذه الإسرائيلية عقب عليها بقوله "ولقد أبى العلماء والمنصفون قبولها وقالوا هذا من أباطيل اليهود، والشياطين لا يتمكنون من فعل هذه الأفاعيل، وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن، قبيح.

ومن هنا يستبين لنا حرص الزمخشري على عدم قبول الإسرائيليات ورفضها إذا كانت تطعن في عصمة الأنبياء، والاحتياط وعدم الجزم بها، إن كانت موضع الشك وبذلك يكون الزمخشري في عداد من لم يتورط في رواية الإسرائيليات، وتضمين كتابه إياها، وتلك محمدة له بصرف النظر عما في كتابه من آراء اعتزالية .

---

(1) الكشاف ج١ ص ٢٨٤.

## ٨ ــ تفسير القرآن الحكيم " المنار" لمحمد رشيد رضا

التعريف بالمؤلف؛

هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الاصل،الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الاصلاح الاسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والادب والتاريخ والتفسير. ولد سنة ١٢٨٢ هـ – ١٨٦٥م ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له.

فأقام في وطنه الثاني (مصر) مدة، ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا،وعاد فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في (سيارة) حين كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ١٣٥٤هـ ١٩٣٥ م ودفن بالقاهرة.[١]

تفسير المنار؛ من التفاسير التي كان أصحابها يقفون بالمرصاد للإسرائيليات ورواتها ويعيبون على من يضمن كتبه تلك الأباطيل والخرافات، ولقد وصل به الحد إلى النيل ممن نسبت إليهم هذه الإسرائيليات من الصحابة والتابعين فتطاول عليهم بما لا يليق بهم، ومع ذلك فقد وقع فيما يحذر منه ويعيبه على أصحابه فروى الإسرائيليات، ولم يخل كتابه منها.

وفي بعض الأحيان يكتفي صاحب المنار بالإشارة إلى الإسرائيليات، والتنبيه إليها والتحذير منها دون أن يذكرها كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٢]فنجده يفسر البسطة بأنها بسطة وسعة في الملك والحضارة، أو في الأبدان

---

[١] الأعلام للزركلي٦/ ١٢٦

[٢] الأعراف : ٦٩

إذ كانوا طوال الأبدان أقوياء الأجسام، ويقول في هذا المقام وفي التفسير المأثور روايات إسرائيلية الأصل في المبالغة في طولهم وقوتهم لا يعتمد عليها، ولا يحتج بشيء منها.

وفي تفسيره لقصة نوح عليه السلام في سورة هود نراه يقول: " أما ما حشا المفسرون تفاسيرهم من الروايات في هذه القصة وغيرها من الصحابة والتابعين وغيرهم فلا يعتقد بشيء منها ولم يرفع شيء منه إلى النبي ﷺ بسند صحيح ولا حسن .

ثم أنكر ما رواه ابن جرير عن ابن عباس من إحياء عيسى لحام بن نوح وتحديثه إياهم عن السفينة وطولها وارتفاعها وطبقاتها وما في كل طبقة منها، ومن ولادة خنزير وخنزيرة من ذنب الفيل وسنور وسنورة من منخر الأسد وغير ذلك من الأباطيل الواردة في هذه القصة.

وفي بعض الأحيان يذكر صاحب المنار بعض الإسرائيليات ثم يقارن بينها وبين ما في التوراة على كذب هذه الإسرائيليات.

ولا ندري كيف ساغ له ذلك وقد شاع أمر تحريفها وذيوعها، والإنجيل نراه يسلك هذا المسلك عندما يفسر قول الله عز وجل﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾،[1] فيذكر ما ورد من الروايات في وصف هؤلاء الجبارين وأجسامهم وقوتهم وطولهم وعرضهم وفاكهتهم، كالرواية التي ذكر فيها أن أحد هؤلاء العماليق كان يجنى الفاكهة، وكلما صادف أحدا منهم وضعه في كمه حتى وضعهم جميعا في كمه وذهب إلى زوجته ونثرهم أمامها وقال لها ألا أطئهم برجلي.

وبعد أن ذكر تلك الروايات قال: "وأمثل ما روى في ذلك وأصدقه قول قتادة عند عبد الرازق وعبد بن حميد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ قال هم

---

[1] المائدة : ٢٢

أطول منا أجساما وأشد قوة، ويذكر أيضا أنهم أفرطوا في وصفهم فروى ابن جرير عن مجاهد في قوله ﴿ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ الذي أرسله موسى إلى الجبارين فوجدهم يدخل في كم أحدهم اثنان منكم، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أنفس بينهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة .

ثم يقول صاحب المنار "وهذه القصة مبسوطة في الفصل الثالث عشر من سفر العدد الذي هو السفر الرابع من أسفار التوراة، ثم ذكر شيئا من هذه القصة، ومنها أن اثنين من الذين أرسلهم عنقود العنب بينهم خشبة وأن هؤلاء الجبارين كانوا أطول أجساما من بني إسرائيل فكان بنوا إسرائيل بالنسبة إليهم كالجراد ثم عقب صاحب المنار على ذلك بقوله فأنت ترى أنه ليس في الرواية المعتمدة عند بني إسرائيل تلك الخرافات التي بثوها بين المسلمين في العصر الأول وإنما فيها من المبالغة أنهم لخوفهم ورعبهم من الجبارين احتقروا أنفسهم حتى رأوها كالجراد واعتقدوا أن الجبارين رأوهم كذلك [1].

ويسلك صاحب المنار نفس المسلك فيقارن ما ورد من الإسرائيليات في قصة آدم بما ورد في تلك القصة في التوراة ويستدل على كذب تلك الإسرائيليات بمخالفته لما ورد في التوراة فيقول: " ومن أراد الإسرائيليات فليرجع إلى المتفق عليه عند أهل الكتاب، ليعلم الفرق بين ما عندنا وما عندهم، بأن يراجع هنا سائر ما ورد في القصة بعد الذي نشرناه منها، في سفر التكوين عن هذه القصة،

ويعقب عليه بقوله: "إذا علمت هذا فلا يغرنك شئ مما يروى في التفسير المأثور في تفصيل هذه القصة فأكثره لا يصح، وهو أيضا مأخوذ من تلك الإسرائيليات المأخوذة عن زنادقة اليهود، الذين دخلوا في الإسلام كيدا له وكذلك الذين لم يدخلوا فيه .

---

(1) المنار : ج٦ ص ٢٧٤. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ومن العجب أن يستدل صاحب المنار بما في التوراة عامة وبما في سفر التكوين خاصة، على كذب بعض الإسرائيليات الواردة في بعض النصوص القرآنية، ثم نراه في مواضع أخرى من تفسيره لا يعترف بسفر التكوين ولا بحجيته.

فيقول: "وسفر التكوين هذا، ليس حجة قطعية فيما ذكر منه، فضلا عما سكت عنه، فإن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام وضعها بجانب تابوت العهد كما ذكر في سفر التثنية فقد فقدت هي والتابوت بحريق الهيكل، وهذه الأسفار المعتمدة عند اليهود قد كتبت لها بعد الرجوع من سبي بابل في سنة ٥٣٦ قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، ويقولون إن عزيرا هو الذي كتبها وجمعها وليس لها سند متصل.

ثم يقول: وجملة القول؛ أنه ليس له سند إلى من كتبه ولا يقوم دليل على أنه وصى من الله ولكنه على كل حال أثر تاريخي له قيمته [١].

---

[١] المنار : ج ١٢ ص ١٠٤.

## تعقيب

من دراستنا السابقة لبعض كتب التفسير وموقفها من رواية الإسرائيليات تتضح لنا الأمور الآتية :ـــ

الأول: أن بعض المفسرين أدخلوا الإسرائيليات الباطلة كتبهم وهم ممن عرفوا بغزارة العلم والفضل والعدالة والضبط والزود عن حياض الإسلام، وكانوا من أئمة عصرهم أمثال الإمام ابن جرير الطبري والخازن والثعلبي والحافظ بن كثير والإمام الآلوسي وهذا الأخير وإن كان تفسيره يعد من التفسير بالرأي الجائز إلا أنه كثير النقل والتعقيب على الإسرائيليات، ومتداول كثيرا،
فأمثال هؤلاء الأئمة يعتذر عنهم بالكشف عن الأسباب التي دفعتهم إلى ذكر الإسرائيليات الباطلة في كتبهم، أما من عرف عنهم التساهل بالكذب وملئوا تفاسيرهم منه كمقاتل بن سليمان والسائب الكلبي ومحمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير وأمثالهم فإنه لا يعتذر عنهم بل يستمر التنبيه على خطر تفاسيرهم.

الثاني: أن من الضروري الاعتذار عن بعض المفسرين الذين اتصفوا بالعدالة والضبط لإدخالهم الإسرائيليات الباطلة في كتبهم ووجه الضرورة ما يلي :

أ ـــ إننا لو تركنا الأمر على ما هو عليه فسوف يبقى الأمر مدعاة للشك والتساؤل نحو أولئك العلماء العاملين الذين أفنوا أعمارهم في الذب عن حياض الإسلام بألسنتهم وأقلامهم، وكانوا القدوة المثالية والسلف الصالح لا كمن أتى بعدهم إلى عصرنا الحاضر.

لهذا لابد من الاعتذار عنهم ليدفع ذلك الشك والتساؤل ، وتثبت الثقة ويطلعنا على ضرورات وظروف علمية لم يسبق لكثير منا معرفتها، إذ ذكرهم لها مع قصدهم يدل على أنهم ما ذكروها إقرارا بالكذب وإنما لمسوغ علمي.

ب ـ إن أخلاق البحث والنقد العلمي تقتضي البحث عن السبب الذي دعى الكاتب والباحث إلى تسجيل ما عرضه للنقد، التماس العذر له بدلا من الإسراع إلى اتهامه

بالخطأ والحط من قدره .

إذ لا يعقل أن يكون إدخال بعضهم للإسرائيليات الباطلة ضربا من الاتساع في الرواية فحسب، أو ضربا من العبث أو من الإقرار بالكذب وهم قد ضربوا المثل في الورع والحفاظ على قدسية كتاب الله عز وجل والدفاع عنه.

ومن هنا كان علينا أن نبحث عن السبب الذي دعاهم إلى ذلك فإن لم نجد مسوغا علميا لذلك قلنا لعل ذلك كان سهوا أو خطأ وهم غير معصومين منه.

# اعتذار العلماء عن المفسرين وما يمكن أن يعتذر به

سبق أن تحدثنا عن عدالة المفسرين ومترلتهم في الدين والعلم، ومن هنا يبرز لنا سؤال لابد من الإجابة عليه.

وهو لماذا أدخلوا تلك الإسرائيليات الباطلة كتبهم ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

١ــ اعتذر بعض العلماء عن المفسرين الذين أدخلوا كتبهم روايات إسرائيلية لا تصح، بأن عذرهم في ذلك هو ذكر السند في زمن توافر الناس فيه على معرفة حال السند من غير توقف على تنبيه .

يقول الشيخ الذهبي: "..... لأنهم كانوا يرون – كما هو مقـــرر في أصـــول الحديث – أن من أسند لك فقد حملك البحث عن السند، ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح فهم بعلمهم هذا قد خرجوا من العُتبة" [1].

وقد كان منهج علماء الرواية والدراية العناية بالروايـــات المكذوبـــة حفظـــا وكتابة في أجزاء خاصة، ورواية لها في سياق معين يميزها عن غيرها، كي يعرفوا الناس بها ولا يغتر به أحد، ولا نستبعد ذلك منهم فقد كان غير واحد من كبار أئمة المحدثين يحفظون أحاديث الكاذبين.

لهذا الغرض ، قال الإمام سفيان الثوري ﷺ : إني لأروي الحـــديث على ثلاثة أوجه: أسمع الحديث من الرجل أتخذه دينا وأسمع الحديث من الرجل أوقـــف حديثه وأسمع الحديث من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته [2].

---

[1] التفسري والمفسرون ج١ ص ٢١٢.

[2] شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي ج١ ص ٧٨.

وقيل لأبي حاتم الرازي: أهل الحديث ربما رووا حديثا لا أصل له، ولا يصح فقال علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم ،فروايتهم للحديث الواهي للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا وحفظوها [1]

ويرى الأستاذ محب الدين الخطيب أن مثل العلماء الثقات المتثبت في إيرادهم الأخبار الضعيفة، كمثل رجال النيابة الآن إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه اعتمادا منهم على أن كل شئ سيقدر بقدره.

وهكذا كان العلماء وكبار حملة الأخبار من سلفنا لا يفرطون في خبر مهما علموا من ضعف قائله خشية أن يفوتهم بإهماله شئ من العلم، ولو في بعض النواحي إلا أنهم يروون كل خبر معزوا إلى راويه، ليعرف القارئ قوة الخبر من كون رواته ثقاتا أو ضعفه، ومن كون رواته لا يوثق بهم، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ووضعوا بين أيدي القراء كل ما وصلت إليه أيديهم [2].

٢ـ ومما يعتذر به أيضا أن المفسر ربما يرى من وجهة نظر بحثية وتصنيفية أن التكرار في التعقيب فيه ملل وإطالة ما دام قد سبق أن تعقبها في البداية، ثم يذكر بعدها أخرى فسكت بعدا عن الإطالة واكتفاء ببيان موقفه منها أولا .

٣ـ قد يتوهم من لا علم له بأساليب العلماء في الجرح والتعديل أن المفسرين أوردوا هذه الأباطيل دون تعقيب عليها.

والحق أن أسلوب التنبيه والإعلام ببطلان الرواية ليس مسلكا واحدا، بل هناك مسالك متعددة في ذلك فربما صدر المفسر الرواية الباطلة بقوله: " قيل ، روى ،

---

(١) شرح فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ج١ ص ٣١٥.

(٢) وقال في مجلة الأزهر ص ٢٤ ج ٢ غرة صفر سنة ١٣٧٢هـ .

زعم" فهذه ألفاظ مشعرة بالضعف عند أهل العلم، وربما يقول المفسر بعد انتهائه من سرد الرواية الباطلة " هكذا قيل ، هكذا روى ، والله أعلم بالصواب، وما أشبه ذلك.

فذلك مشعر أيضا بالتضعيف، وربما عمد المفسر إلى ذكر روايات باطلة وصحيحة، فقد ذكر الصحيحة ليشعر القارئ العارف الفاهم كاهل عصره أن المعتمد عنده هو الرواية الأخيرة، وعلى هذا فليس التصريح بضعف الرواية عقب سردها هو الذي يعتبر تعقيبا فحسب.

٤ـ إن الإسرائيليات الباطلة قد تكون ظاهرة البطلان وقد تحتمله فإذا كانت من الثاني فإن الاجتهاد فيها بين الناظرين، لذلك لا يلام المفسر بعدم التعقيب دائما، لأنها قد تكون من هذا القبيل علما بأن الناظر فيها والحاكم على بطلانها يجب في الدرجة الأولى أن يكون على دراية واسعة بالسنة المطهرة، لأنه قد يرد في أخبار السنة ما يؤيد وقوعها وحدوثها، كما يجب أن يكون على معرفة دقيقة بمسالك الكلام ودلالات الألفاظ، لأنه قد ترد الإسرائيلية موافقة لسياق القصة القرآنية، أو أن ألفاظ القصة القرآنية تحتملها في نظر المفسر.

## تنبيه:

اشتهر أن الإمام الطبري – رحمه الله – هو أكثر المفسرين الذين يتداول تفسيرهم في هذا العصر ذكرا للإسرائيليات وإسهابا فيها ولكنه لم يكن من الساكتين عنها على الدوام ، وإنما كان يعقب عليها أحيانا غير أنه فيما يبدو، أقل المفسرين المعنيين في هذا تعقيبا عليها .فلماذا ذكرها إذن وسكت عنها ؟

ونترك الجواب للشيخ محمود شاكر الذي حقق قسطا كبيرا من تفسير الطبري ليجيب عن هذا التساؤل يقول: تحت عنوان تذكرة :

تبين لي مما راجعته من كلام الطبري أن استدلال الطبري بهذه الآثار التي يرويها بأسانيدها، لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظ أو بيان سياق عبارة ،فهو قد ساق هذه الآثار التي رواها بأسانيدها، ليدل على معنى "الخليفة" و "الخلافة" وكيف اختلف المفسرون من الأولين في معنى الخليفة وجعل استدلاله بهذه الآثار كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ في كتاب الله، وهذا بين في الفقرة التالية للأثر ٦٠٥ إذ ذكر ما روى عن ابن مسعود وابن عباس وما روى عن الحسن في بيان معنى الخليفة واستظهر ما يدل عليه كلام كل منهم، ومن أجل هذا الاستدلال لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه.

ودليل ذلك أن الطبري نفسه قال في إسناد الأثر ٤٦٥ عن ابن مسعود وابن عباس فيما مضى ص ٣٥٣ " فإذا كان ذلك صحيحا ولست أعلمه صحيحا إذ كنت بإسناده مرتابا" فهو مع ارتيابه في هذا الإسناد قد ساق الأثر للدلالة على معنى اللفظ وحده فهمه ابن مسعود وابن عباس إن صح عنهما، أو فهمه الرواة الأقدمون من معناه وهذا مذهب لا بأس به في الاستدلال .

ومثله أيضا ما يسوقه من الأخبار والآثار التي لا يشك في ضعفها أو في كونها من الإسرائيليات، فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على تفسير آي التنزيل الكريم بل يسوق الإسناد الطويل ليبين معنى لفظ أو سياق حادثة، وإن كان الأثر نفسه مما لا تقوم به الحجة ولا في التفسير التام لآي كتاب الله واستدلال الطبري بما ينكره المنكرون لم يكن إلا استظهارا للمعاني التي عليها ألفاظ هذا الكتاب الكريم، كما يستظهر بالشعر على معانيها فهو إذن إستدلال يكاد يكون لغويا، ولما لم يكن مستنكرا أن يستدل بالشعر الذي كذب قائله ما صحت لغته فليس بمستنكر أن تساق الآثار التي لا يرتضيها أهل الحديث، والتي لا تقوم بها الحجة في الدين للدلالة على المعنى

المفهوم من صريح لفظ القرآن وكيف فهمه الأوائل سواء كانوا من الصحابة أو من دونهم[1].

### فتبين لنا مما تقدم أمران : ـ

الأول : أن الإمام الطبري – رحمه الله – لم يكن يذكر إسرائيلية لترويجها وإنما لمسوغ علمي.

الثاني: أنه يجب على من أراد أن يطلق حكما على مفسر معين أن يكون لديه استقراء تام لتفسيره مع سعة في العلم ودقة في التمييز ولو تم ذلك فإن حكمه عندئذ سوف يكون في صالح سلفنا الصالح لأنهم هم أهل العلم والقدوة الحسنة لجميع المسلمين من بعدهم، فلا يتصور منهم العبث وترويج الباطل.

## رأينا في هذا الموضوع :

هذه خلاصة ما قاله العلماء الأجلاء في الاعتذار عن المفسرين الذين أوردوا الإسرائيليات في كتبهم، ومع تقديرنا لهذه الآراء في توجيه صنيع المفسرين والمحدثين الذين رووا ودونوا في كتبهم كل ما وصلت إليه أيديهم من روايات اعتمادا على ذكر السند إلا أن ذلك في رأينا لا يعفيهم من المسئولية، لا سيما وأن كثيرا من تلك الروايات الإسرائيلية والموضوعة تحمل في طياتها ما يصادم عقيدتنا، ويباين شريعتنا ولا تحتاج إلى كثير نظر وإمعان فكر للتبين والتثبت من ذلك.

فكان الأحرى بهم أن يضربوا عنها الذكر صفحا، ولا يعتمدوا على ذكر السند، فمثل هذه الروايات لا يكتفي فيها بمجرد السند بل كان عليهم – وقد رووها

---

[1] جامع البيان للطبري ج ١ ص ٤٥٤.

– أن يفندوها ويبينوا ما فيها من كذب وبهتان وإفك وضلال، لا سيما وأن منهم العلماء بالضعفاء والمتروكين من الرجال.

فنحن لا نشك مطلقا في حسن قصد المفسرين الأجلاء الذين أوردوا تلك الإسرائيليات والموضوعات ولكن كنا نأمل تتميما للفائدة – وقد ذكروا الأسانيد – لو أنهم تعقبوها بالنقد كما فعل الحافظ بن كثير في تفسيره حيث تعرض لكثير مما في تلك التفاسير بالنقد والبيان فجزاه الله خيرا [1].

وبعد معايشتنا لقضايا الدخيل كما جاءت تترى في المباحث السبعة عشر، يلوح في الأفق سؤال مؤداه.

ماذا نصنع بهذا الدخيل؟ الذي تسلل إلى تراثنا الفكري بصفة عامة؟ وإلى تفسير كتاب الله عز وجل بصفة خاصة؟ كما أورد ذلك بعض المفسرين في كتبهم؟

وإن أردت جوابا على هذا السؤال أيها القارئ فإني أنقلك إلى المبحث الثامن عشر ففيه الجواب على هذا السؤال كما أفاده الشيخ أبو شهبة في كتابه .

* * *

[1] راجع في هذا المقام : أ ـ الإسرائيليات للذهبي ص ٩٦ ـ ب ـ دراسات منهجية في الدخيل وأثره في التفسير د/ رشاد حسن علي ص ٦١ .

## المبحث الثامن عشر

## الداء والدواء

ماذا يمكن في هذا الموضوع

وآراء الناس وأفكارهم متباينة في معالجة هذا الموضوع الخطير !

وأعني بهذا الموضوع تسلل الدخيل إلي كثير من كتب التفسير كما عايشت ذلك أيها القارئ ذلك فيما مضى،

١ــ فمنهم من يرى الاستغناء عن كتب التفسير التي اشتملت على الموضوعات والإسرائيليات التي جنت على الإسلام والمسلمين وجرت عليهم كل هذه الطعون والهجمات من أعداء الإسلام، وذلك بإبادها أو حرقها، حتى يحال بين الناس، وبين قراءها، والاكتفاء بالكتب الخالية أو المقلة منها، وتأليف تفاسير أخرى خالية من هذه الشوائب والمناكير.

وهو رأى فيه إسراف وغلو، إذ ليس من شك في أن هذه الكتب فيها بجانب الإسرائيليات علم كثير، وثقافة إسلامية أصيلة، وإن ما فيها من خير وحق أكثر مما فيها من شر وباطل، فهل لأجل القضاء على الشر نقضي على الخير؟، ولأجل الإجهاز على الباطل تجهز على الحق أيضا؟ ! أعتقد أن هذا لا يجوز عقلا، ولا شرعا.

ثم إن هذا الرأي غير ممكن تنفيذه عمليا، فنحن إذا أعلمنا ما يوجد من هذه التفاسير في المكاتب العامة، فكيف يمكن ذلك في المكاتب الخاصة؟ !، ومن أصحابها من يضن بها ضنه بنفسه، وليس من حق أحد أن يغتصب مال غيره، ويعدمه تعللا بهذه التعلة.

الحق: أن هذا رأى فيه إسراف وغلو، وغير ممكن تنفيذه عمليا وفي الحق: أن هذه الكتب التي اشتملت على الموضوعات والإسرائيليات، لو وجد في عصر طبعها من تنبه لما فيها، وكان من أهل التمييز بين الصحيح والضعيف، وما هو من قبل

الإسرائيليات، وما ليس منها، وعلق على هذه الكتب عند طبعها، لوقانا شـــر هـــذه الإسرائيليات والأكاذيب، ولما تسممت بها العقول والأفكار، ولكفانا ما نقوم به اليوم. ولكن "لو" لا تجدي الآن .

٢ ــ وهناك فريق آخر يرى أن نجمع ما طبع من هذه الكتب ونخفيهـــا عـــن أعين الناس، ثم نعيد طبعها بعد تنقيتها من الإسرائيليات والموضوعات، ولكن أية قـــوة في العالم الإسلامي يمكنها أن تفعل هذا ؟ ! ثم هو إن أمكن في المكاتب العامة، فكيـــف يمكن في المكاتب الخاصة المخفية في بيوت أصحابها؟!.

الحق أن هذا الرأي وإن كان أقل إسرافا وغلوا من الرأي الأول، فهو غير ممكن أيضـــا من الناحية العملية.

وأيضا ، فهذه الإسرائيليات والموضوعات، وإن لم تكن لها قيمتـــها الدينيـــة والتشريعية في نسبتها إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة – رضوان الله عليهم – لأنها مختلقة عليهم، منتحلة، لكن لها في نظر بعض الباحثين والمؤلفين في الحياة العقلية في الإســـلام قيمتها العلمية، فهي تدل على ثقافة العصر، وأفكار أهله، وتلاقح الثقافـــات وتـــأثير بعضها في بعض ، لأن الذي وضعها ونسبها لهؤلاء لم يكن خارجا عن البيئة، ولا منعزلا عن روح العصر، وإنما كان مؤثرا، ومتأثرا، وهذا الرأي قد ردده بعـــض البـــاحثين في كتبه [1]،

ولكني لست منه على ثلج، ولا على مع قائله، لأنها سممت الأفكار، وتجنـــت على التفسير والحديث، وكان لها آثارها السيئة في كتب العلوم الإســـلامية فضـــررها أعظم بكثير من نفعها المزعوم.

---

[1] هو الأستاذ / أحمد أمين ــ رحمه الله ــ في كتابه " فجر الإسلام " ص ٢٥١ ، "وضحى الإسلام" ج٢ ص ١٤٣.

٣ـ فلم يبق إلا الطريق الثالث: وهو رأى القائلين بالتنصيص على هذه الإسرائيليات والموضوعات وردها من جهة العقل والنقل، وبيان أنها دخيلة على الإسلام، ومدسوسة على الرواية الإسلامية وبيان من أين دخلت عليه، وذلك بتأليف كتاب. أو كتب في هذا، ونشرها نشرا موسعا موثقا، بحيث يستفيد منها كل مثقف، وكل متعلم، بل وكل من يحسن القراءة، وبذلك نقضي على ما في بعض كتب التفسير من شرور الإسرائيليات وسمومها التي أفسدت عقول كثير من الناس، ولا سيما العامة، وصاروا يتناقلونها على أن لها أصلا في الرواية الإسلامية، وما هي منها في شئ [1].

وهكذا وبحمد الله قد انتهينا من المباحث الثمانية عشر والتي انتظمت الحديث عن الإسرائيليات وقضاياها. وقد مثلت فيما ذكرنا سلفا الخط الأول في إعداد هذه الدراسة، وحول مادة الدخيل، ويكون الأوان قد آن بمشيئة الله تعالى لنعيش مع الخط الثاني من خطوط هذا الكتاب.

وسوف تكون معايشتنا لهذا الخط إبراز نماذج من الدخيل في كتب التفسير، وسوف يتجلى ذلك واضحا تحت هذا العنوان :

* * *

(1) كذا في كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د/ محمد أبو شهبة ص ١٧.

# نماذج تطبيقية لما جاء من الدخيل في بعض كتب التفسير

# المبحث التاسع عشر

# ما جاء من الدخيل في تفسير البغوي

النموذج الأول: الدخيل في اسم إبليس وهل هو من الملائكة أم ليس منهم ؟

من الدخيل ما ذكره الشيخ البغوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [1].

فقد ذكر أن لإبليس اسمين : اسم بالسريانية، واسم بالعربية، وبين ماذا كان عمله بالجنة، ورجح أنه كان من الملائكة لا من الجن! فخالف بذلك نصوص الآيات الصريحة في أن إبليس من الجن لا من الملائكة والحديث النبوي الصحيح.

وهذه زلة ما كان يصح أن يقع فيها عالم مثله.

قال الإمام البغوي : وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث، فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل إبليس.

واختلفوا فيه، فقال ابن عباس ﷺ وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة.

وقال الحسن: كان من الجن، ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى: ﴿ إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [2] فهو أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من النار، والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية، ولا ذرية للملائكة.

والأول أصح: لأن خطاب الأمر بالسجود كان مع الملائكة وقوله ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة !

وقال سعيد بن جبير: من الذين يعملون في الجنة.

وقال قوم: من الملائكة الذين كانوا يصوغون حلي أهل الجنة.

---

(1) البقرة : ٣٤.

(2) الكهف : ٥٠

وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار: سموا جنا لاستتارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [1]وهو قولهم الملائكة بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية [2] هذا ما ذكره البغوي.

إننا نستبعد عن ابن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمة أن يقول: إن إبليس من الملائكة ومعلوم أن ابن عباس نسبت إليه أقوال كثيرة هو منها براء، ولا أدري كيف ينتصر الإمام البغوي لهذا الرأي الضعيف ويرجحه على ما هو أصح منه وأقوى، ويقول والأول أصح.

وقد رد بعض المفسرين والمحققين من العلماء هذا الرأي وضعفوه، وعدوا الآثار الواردة فيه من الإسرائيليات،

فقال الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [3] وبعد أن ذكر أقوال بعض الصحابة والتابعين في عمله – وهو في الجنة – ، وأنه قبل أن يركب المعصية كان من الملائكة واسمه عزازيل:

( وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف وأغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بين أيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد، الذين دونوا

---

(1) الصافات : ١٥٨

(2) انظر البغوي ـــ تفسير الخازن بالبغوي ـــ ج ١ ص ٤٨.

(3) الكهف : ٥٠.

الحديث وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه، وضعيفه ومنكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك، من أصناف الرجال.

كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه، فرضي الله عنهم وأرضاهم. ) [1].

وقال الزمخشري :

( إن الفاء في كلمة ( ففسق ) سببية لتقرير كون إبليس إنما فسق لأنه من الجن وليس من الملائكة [2]

وقال الشيخ عزة دروزة عند تفسير الآية السابقة:

( فالآية صريحة أن إبليس شئ ، والملائكة شئ آخر، والذين قالوا : إن الجن جيل من الملائكة، وإن كلمة الجن يصح أن تطلق على الملائكة، وإن إبليس من الملائكة قد غفلوا فيما يتبادر لنا عن تقريرات القرآن الصريحة الأخرى، بأن الجان قد خلقوا من نار، وعن حكاية قول إبليس أنه خلق من نار مما فيه حسم في قصد تقرير كون إبليس من الجن الناري، وكذلك غفلوا عن جمع الجن والملائكة في سياق واحد، وهو آيات سورة سبأ :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ [3] ، مما فيه حسم بأن كلا منهما غير الآخر، ولقد روى مسلم عن عائشة –رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال :" خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق

---

[1] ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج ٣ ص ٨٩.

[2] انظر الزمخشري ــ تفسير الكشاف ــ ج ٣ ص ٤٨٨ ، وقال ابن عاشور : واستثناء إبليس من خبر الملائكة في "سجدوا" استثناء منقطع ، لأن إبليس لم يكن من جنس الملائكة ــ تفسير التحرير والتنوير ــ ج١ ص ٤٢٣.

[3] سبأ : ٤٠ ــ ٤١.

آدم مما وصف لكم "[1]

والنبي وحده هو المعتمد فيه توضيح ما أجمله القرآن أو أطلقه أو سكت عنه، وهذا الحديث من الأحاديث الصحيحة وقد انطوى عليه حسم آخر .

ثم قال: وقد أورد المفسرون بيانات كثيرة عن إبليس وذريته وتزاوجه وتناسله، وأسماء أبنائه وحفدته وطرائق تصرفاتهم وتقسيمات وظائفهم .... الخ دون ما سند، وليس فيها ما هو وارد عن النبي ﷺ الذي وحده المعتمد في مثل هذه البيانات ، وليس في إيرادها طائل ولا ضرورة، وأكثرها أدخل في نطاق الخيال والخرافة.

والواجب في هذا الأمر الوقوف عند ما وقف عنده القرآن، دون تزيد ولا تخمين، لأنه من الحقائق الإيمانية المغيبة مع ملاحظة الهدف القرآني ) [2].

وقال الشيخ محمد علي الصابوني في " كتابه النبوة والأنبياء" تحت عنوان "هل إبليس من الملائكة".

( .... وذهب المحققون من العلماء إلى أن (إبليس ) لم يكن من الملائكة ، واستدلوا ببضعة أدلة نوجزها فيما يلي :

**أولا** : لو كان إبليس من الملائكة لما عصى أمر الله ، لأن الملائكة لا يعصون أمر الله كما ورد في القرآن : ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [3]

**ثانيا** : الملائكة من نور ، وإبليس من نار، وهو يقول عن نفسه بصريح عبارة القرآن : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [4] فلو كان من الملائكة لقال خلقتني من نور وخلقته من طين، ثم ذكر الحديث السابق.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بَاب فِي أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَة ج ٤ ص ٢٢٩٤.

[2] الشيخ عزة دروزة ــ التفسير الحديث ــ ج ٦ ص ٢٩.

[3] التحريم : ٦ .

[4] ص : ٧٦.

**ثالثا** : ورد نص صريح في سورة الكهف يدل على أن إبليس كان من الجن وأنه امتنع عن السجود لآدم لفسقه وضلاله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [(1)] وتأويل بعض المفسرين أن لفظ الجن هنا يراد به طائفة من الملائكة يسمون الجن تأويل بعيد )[(2)]

والصحيح أنه يوجد فروق كثيرة بين الملائكة والجن نوجزها فيما يلي :

– الملائكة أجسام نورانية لطيفة قادرة على التمثل والتشكل بأية صورة أرادوا، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، وأنهم مجبولون على العبادة والطاعة فليس فيهم نزوع إلى الشر، وليس عندهم استعداد للمعصية كما قال تعالى :﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ [(3)]وكما قال تعالى: ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[(4)]،

– ولا يأكلون ولا يشربون ، وأنهم لا يتناسلون ولا يتناكحون ،

– ولهم قدرة خارقة [(5)]

– ولا تحكم عليهم الصورة [(6)]

– ولهم أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أو أكثر [(7)].

---

(1) الكهف : ٥٠.

(2) انظر الشيخ الصابوني ـــ النبوة والأنبياء ـــ ص ١٢٠.

(3) الأنبياء : ٢٠.

(4) التحريم : ٦.

(5) فهم يستطيعون أن يقلعوا الجبال كما فعلوا في قوم لوط ، وكما اقتلع جبريل ـــ عليه السلام ـــ جبل الطور ورفعه فوق بني إسرائيل .

(6) أي بمعنى لو أن ملكا تصور بصورة ما ورمى بسهم فلا يقتل ولا تحكم الصورة عليه بخلاف الجن ، فإنه لو تصور وتشكل بصورة إنسان أو طير أو حيوان ، ورمى بسهم أو غيره ، فإنه يموت ويجري عليه حكم الصورة .

(7) ففي الحديث الصحيح : " أن الرسول ﷺ ـــ رأى جبريل في صورته الحقيقية ، له ستمائة جناح " رواه البخاري ج٦ ص ١٧٦.

أما الجن فهم أجسام نارية سفلية مخلوقون من مارج من نار.

– وأنهم قادرون على التشكيل بأية صورة أرادوا ،

– وأنهم يتناسلون ولهم ذرية وفيهم الذكر والأنثى، وهم مكلفون كالبشر، وفيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر، كما قال تعالى مخبرا عنهم في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [١] ومما تقدم يتبين لنا أن ما ذكره الإمام البغوي، من أن اسم إبليس عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث، فلما عصى غير اسمه فسمي إبليس ، وغير صورته لم نكن في حاجة إليه ، فالله سماه إبليس ، ولم يذكر له اسم غير هذا ، وما جاء من اسم غير هذا، فهو من الروايات الإسرائيلية التي أشرنا إلى ضعفها ونكارها ، ونكتفي بما ذكره القرآن في تعيين اسمه بأنه إبليس، وأنه ليس من الملائكة وأنه من الجن.[٢]

[١] الجن : ١٤ ، ١٥ . انظر المرجع السابق ص ١٢٦ ــ ١٢٩ باختصار شديد .

[٢] وهذا الذى ذكرنا يجنح بنا إلى القول بأن إبليس من الجن لا من الملائكة ، خلافا لما ذكرناه في كتابنا جلال الفكر مبحث عالم الجن.

## النموذج الثاني : الدخيل في قصة الشجرة التي أكل منها آدم وحواء

من الدخيل ما ذكره الشيخ البغوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [1]

فقد ذكر أقوالا كثيرة في تحديد هذه الشجرة التي نهى الله تعالى آدم وحواء عن الأكل منها.

فقال: واختلفوا في تلك الشجرة ، قال ابن عباس- رضى الله عنهما - ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة .

وقال ابن مسعود: هي شجرة العنب.

وقال ابن جريج : شجرة التين ،

وقال قتادة : شجرة العلم وفيها من كل شئ.

وقال علي : هي شجرة الكافور

انتهى كلام الإمام البغوي. [2]

### دفع الدخيل؛

أقول: ما دام أن الله سبحانه وتعالي لم يبين لنا اسم هذه الشجرة، ولا رسوله ﷺ في حديث صحيح، إذ لا يتوقف على معرفتها أية فائدة ، ولو علم الله ذلك لأطلعنا عليه فعلينا أن لا نكلف أنفسنا ولا نشغلها في البحث عن تعيينها، فلا نستطيع تعيينها من تلقاء أنفسنا ، ولكن أكثر المفسرين أبوا إلا أن يبحثوا عنها ويحاولوا تحديدها.

---

[1] البقرة : ٣٥.

[2] انظر البغوي ـــ تفسير الخازن بالبغوي ـــ ج١ ص ٤٩.

وبعضهم التزم الصواب في تفسيره وهو عدم التعيين، وكان هذا هـو الأولى والأسلم ،

**ونذكر من هؤلاء ابن جرير الطبري فقد قال:**

والصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عـن أكـل شجرة بعينها من أشجار الجنة، دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة، فأنى يأتي ذلـك من أتى ؟

وقد قيل كانت شجرة العنب، وقيل كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منهما ، وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به [1].

وقال الآلوسي: ( والأولى عدم القطع والتعيين ،كما أن الله تعـالى لم يعينهـا باسمها في الآية ، ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشجرة ) [2]

وقال صاحب تفسير المنار: ( ولم يعين الله لنا هذه الشجرة فلا نقول في تعيينها شيئا ، وإنما نعلم أن ذلك لحكمة اقتضته ) [3]

وقال صاحب تفسير فتح البيان بعد أن ذكر أقوال أهل العلم في تعيين هـذه الشجرة: ( وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين إذ لا حاجة إليه لأنه لـيس المقصود معرفة تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه ) [4]

---

(1) الطبري ـــ جامع البيان في تفسير القرآن ـــ ج١ ص ١٨٥.

(2) الآلوسي ، روح المعاني ج ١ ص ٢١٥.

(3) رشيد رضا ـــ تفسير المنار ـــ ج ١ ص ٢٧٨.

(4) صديق خان ـــ تفسير فتح البيان ـــ ج١ ص ١١٢.

وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغي: ( لم يبين لنا ربنا هذه الشجرة ، فلا نستطيع تعيينها من تلقاء أنفسنا بلا دليل قاطع ، ولأن المقصود يحصل بدون التعيين) [1]

ويا ليت الإمام البغوي قال كما قال هؤلاء العلماء، فكان أقـــرب إلى الحـــق وأهدى إلى الصواب.

ومما يثلم هذه الروايات ويشكك في صحتها أن الإمام البغوي قد صرح فيهـــا بالرواية عن مقاتل، وقد ضعفه العلماء ورموه بالكذب [2].

---

[1] مصطفى المراغي ـــ تفسير المراغي ـــ ج١ ص ٩١ .

[2] لم يعين البغوي من هو مقاتل الذي روى عنه ، أهو مقاتل بن حيان ؟ أم مقاتل بن سليمان ، علما بأنه يروي عن الاثنين ، وقد ضعف العلماء مقاتل بن سليمان بن بشير الأسدي الخراساني أبا الحسن البلخي صاحب التفسير ، نزيل = = مروة ، ويقال له ابن دوالدوز . قال عنه سفيان بن عبد الملك عن ابن المبارك : ارم به ، وما أحسن تفسيره لو كان ثقة ، وقال أيضا : لما نظر إلى شئ من تفسيره : يا له من علم لو كان له إسناد ، ورمي بالتجسيم وكذبوه وهجروه ، وقال الدوري وغيره عن ابن معين : ليس بشئ ، وقال عبد الله بن أبي القاضي عن الحنظلي : أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم نظير في البدع والكذب وذكر منهم مقاتل . انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٢٧٢/٢ ، وتهذيب التهذيب ٢٧٩/١٠ــ٢٨٥.

## النموذج الثالث : الدخيل فيما روى في قصة آدم عليه السلام

ومن الدخيل الغريب ما ذكره الإمام البغوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [1]

فقد ذكر أقاصيص خرافية قد راجت عند العامة من الناس الذين لا يميزون بين الصحيح والسقيم، وبيَّن كيف دخل إبليس إلى الجنة ليوسوس إلى آدم، وأنه كان للحية أربع قوائم كقوائم البعير، وأن حواء هي السبب في إغواء آدم وخروجهما من الجنة -كما هو شائع عند كثير من الناس اليوم - وحدد الأماكن التي أهبط الله فيها آدم وحواء

وإبليس والحية، وإلى غير ذلك من الأقوال الدخيلة التي لم يصح منها شئ، وفسر بذلك تلك الآية الكريمة .

قال الإمام البغوي: إن إبليس أراد أن يدخل ليوسوس إلى آدم وحواء فمنعته الخزنة، فأتى الحية وكانت صديقة له، وكانت من أحسن الدواب، لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة فسألها إبليس أن تدخله في فمها فأدخلته، ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة .

وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى سكر وقادته إليها فأكل.

ويروى عن ابن عباس : أن آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله عز وجل: يا آدم ما حملك على ما صنعت ؟ قال يا رب زينته لي حواء، قال فإني عاقبتها أن لا تحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرها، ودميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند

---

[1] البقرة : ٣٦.

ذلك، فقيل عليك الرنة[1] وعلى بناتك، وقد أنزلوا إلى الأرض - يعـني آدم وحـواء وإبليس والحية - فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، وحواء بجدة ، وإبليس بالأبلة ، والحية بأصبهان [2] هذا ما ذكره الإمام البغوي .

لم يبين لنا الإمام البغوي - في بداية قوله - مصدر تلك المرويات التي سـاقها في تفسير هذه الآية وقد تتبعت أسانيدها في تفسير ابن جرير الطـبري فوجـدت أن السدي في سند بعض هذه المرويات ، ومعلوم أن السدي لا يوثق في مروياته، وقـد ضعفه العلماء [3].

## قال الإمام ابن جرير:

حدثني موسى بن هارون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح .... عن أناس من أصحاب النبي ﷺ لما قـال الله لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فمنعته الخزنة، فأتى الحية وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير . . . . الخ [4]

وأما بالنسبة إلى متن هذه الآثار، وما قاله أهل العلم فيها فأقول :

إن هذه الأقوال والروايات التي جاء بها الإمام البغوي لا سند لها من كتاب الله تعالى ، ولا من سنة صحيحة عن المصطفى ﷺ وأغلبها منقول عن الإسرائيليات، وقد عـرض لها العلماء وفندوا تلك الحكايات نذكر منهم صاحب الميزان في تفسير القرآن فقـال معلقا على مجيء إبليس ودخوله في جوف الحية:

---

[1] الرنة : أي الصوت .

[2] انظر البغوي ــ تفسير الخازن بالبغوي ــ ج ١ ص ٤٩ ، ٥٠.

[3] انظر البغوي ــ تفسير الخازن بالبغوي ــ ج ١ص ٧٥.

[4] انظر ابن جرير الطبري ــ جامع البيان في تفسير القرآن ــ م ١/١٨٧.

(وأما كيفية مجئ إبليس اليهما ، وما اتخذه من الوسـيلة ، فالصـحاح المعتـبرة مـن الروايات خالية عن بيانها، وفي بعض الأخبار ذكر الحية والطاووس عونين لإبلـيس في إغوائه إياهما ، والقصة مأخوذة من التوراة )[1]

وقال فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة ــ رحمه الله ــ : ( ووسوسة إبلـيس لآدم عليه السلام لا تتوقف على دخوله في بطن الحية ، إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب ولا مشـافهة ، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه ، والحية خلقها الله يوم خلقها على هـذا ، ولم تكن لها قوائم كالبختي ، ولا شئ من هذا )[2].

ومما يزيدنا يقينا أن هذه الأقوال من خرافات بـني إسـرائيل فقـد جـاء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين : " هل أكلت من الشجرة الـتي أوصـيتك أن لا تأكل منها فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة، فقـال الـرب الإله: للمرأة ما هذا الذي فعلت، فقالت المرأة : الحية أغرتني فأكلت، فقـال الـرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت، من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ، على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك .... وقال للمرأة تصيرين أكثر إتعابا، حبلك بالوجع تلدين أولادا "[3].

وعلق ابن كثير على تلك الأماكن التي أهبطوا إليها فقـال: ( وقـد ذكـر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ، ويرجـع حاصـل تلـك الأخبـار إلى الإسرائيليات والله أعلم بصحتها ، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعـود علـى المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ )[4].

---

[1] محمد حسين الطبطبائي ــ الميزان في تفسير القرآن ــ ج١ ص ١٤٠.

[2] الدكتور / محمد أبو شهبة ــ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ــ ص ١٨٠.

[3] انظر التوراة ــ سفر التكوين ــ الإصحاح الثالث رقم ١٢ ــ ١٧.

[4] ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج٢ ص ٢٠٦، ٢٠٧.

وقال الشيخ المراغي في هبوط آدم من الجنة : ( وها هنا مسائل ثلاث أطال المفسرون الكلام فيها ونحن نوجز القول فيها :

١ـ ( ما أوردوه في هبوط آدم وحواء من الجنة ووصف ذلك وقد نقلوا أكثره من الإسرائيليات التي لا يصح شئ منها عند النقد من أهل العلم ) [1].

وقال صاحب التفسير الكاشف : (وقد تعرض كثير من المفسرين إلى الجنة التي أخرج منها ، ما هي حقيقتها ؟ وأين كانت ؟ وعن المكان الذي هبط عليه آدم هل هو في الهند أو الحجاز ؟ إلى غير ذلك مما جاء في الإسرائيليات ، ولم يشر القرآن الكريم ولا السنة النبوية بالطريق الصحيح ولا يملك العقل معرفة شئ منها ، ولا تتصل بالحياة من قريب أو بعيد ) [2]

ونحن مع هؤلاء العلماء في أن هذه الأخبار ليست يقينية وغير ثابتة ، ولا أساس لها في ديننا بل هي دخيلة على التفسير من أخبار بني إسرائيل المقطوعة الأسانيد.

وقد صرح القرآن بأن أتباع موسى عليه السلام نسوا حظا مما ذكروا به، وحفظوا نصيبا، وهذا الذي حفظوه حرفوه، وأن اتباع عيسى عليه السلام فعلوا مثل ما فعل أصحاب موسى ، فلا ثقة بما جاء في قصص العهدين = القديم والجديد = مما يسمى الكتاب المقدس ، ونثق كل الثقة بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي تكفل سبحانه بحفظه وصيانته.

فالآية الكريمة التي بين أيدينا واضحة وصريحة في أن آدم وحواء ، قد وقعا في الزلل والمعصية، بسبب إغواء الشيطان لهما ، بل إن هناك آية تنسب العصيان إلى آدم وحده كما قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [3]، وليس الأمر كما يزعم أهل الكتاب ودسوا ذلك القول في كتب التفسير .

---

[1] الشيخ المراغي ــ تفسير المراغي ــ ج١ ص ٩٣.

[2] محمد جواد مغنية ــ التفسير الكاشف ــ ج ١ ص ٨٤.

[3] طه : ١٢١ .

## النموذج الرابع : الدخيل في بناء البيت

يذكر الشيخ البغوي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1] أقوالا وروايات غريبة ليس فيها خبر صحيح عن النبي ﷺ عن قدم البيت، وعن حج آدم عليه السلام إليه أربعين حجة، من الهند ماشيا، وارتفاعه إلى السماء الرابعة وقت الطوفان، وأن الله بعث ريح الخجوج لها رأسان شبه الحية لتدل إبراهيم على موضع البيت، وأن البيت قد بنى على خمسة أجبل وغير ذلك من الخرافات الإسرائيلية التي بثها الزنادقة بين المسلمين لتشويه صورة الإسلام وتنفير الناس منه، فقد قال الشيخ البغوي: قال الرواة:

( إن الله خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء على الماء قد حيت الأرض من تحتها، فلما أهبط الله آدم إلى الأرض استوحش، فشكا إلى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر، باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت، وقال: يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي، تصلي عنده كما يصلي عند عرشي، وأنزل الحجر وكان أبيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية، فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيا، وقيض الله له ملكا يدله على البيت فحج البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا : بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

قال ابن عباس: حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه، فكان على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس، صيانة له من الغرق، فكان موضع البيت خاليا إلى زمن

---

[1] البقرة : ١٢٧

إبراهيم، وبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت، وهي ريح خجوج لهـا رأسـان ،شبه الحية فأمر الله إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فتبعها حتى تطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الجحفة، وقيل إن سحابة دلته عليه، وقيل جبريل عليه السلام ، وقال ابن عباس: إنما بنى البيت على خمسة أجبل: طور سيناء، وطور زيتا، ولبنان، وهو جبل بالشام، والجودي، وهو جبل بالجزيرة، وقواعده من حراء وهو بمكة [1] هذا مـا أورده الإمام البغوي.

## بيان الدخيل في هذه القصة :

إن الذي يبدو دخيلا في هذه القصة يتمثل في الأشياء المتدرجة التالية:

١ـ ما قيل في تحديد موضع البيت: كقوله: إن الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق الأرض بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض من تحتها وكقوله: فأنزل الله البيت ا لمعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان . . . الخ وعـد ذلك من الدخيل لأن القرآن الكريم لم يتعرض لهذا، ولم يبينه النبي ﷺ .

٢ـ كون الحجر الأسود كان أبيضا فاسود من لمس الحيض في الجاهلية، وأن جبريل عليه السلام قد خبأه في جبل أبي قبيس حين رفع البيت زمن الطوفان.

٣ـ حج آدم عليه السلام أربعين حجة على رجليه.

٤ـ رفع البيت إلى السماء الرابعة أيام الطوفان، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.

٥ـ ما جاء في وصف السكينة التي دلت إبراهيم عليه السلام على موضع البيـت ووصفها بأنها: ريح خجوج [2] لها رأسان تشبه الحية وتطويقها البيت كتطويق الجحفة.

---

[1] انظر البغوي ـ تفسير الخازن بالبغوي ـ ج١ ص ١٠٩ ـ ١١٠.

[2] وهي الريح الشديدة السريعة الهبوب ، وقيل : هي الملتوية في هبوبها .

وكل هذه الأخبار عن بني إسرائيل وخرافاتهم التي بثها زنادقة اليهـــود في المســـلمين ليشوشوا عليهم دينهم، وينفروا أهل الكتاب منه.

٦- بناء البيت الحرام على خمسة أجبل: طور سيناء، وطـــور زيتـــا . . . الخ وهذا القول غير صحيح ومرجعه أخبار بني إسرائيل – كما سنبينه قريبا –

لم يبين لنا الإمام البغوي – في بداية كلامه – عمن أخذ عنهم هذه الأقـــوال التي أوردها واكتفى بأن قال : قال الرواة ، مما يجعلنا لا نثق بما قاله، ولا نطمئن إلى ما رواه ، بل نرد ما ذكره في بناء الكعبة قبل آدم عليه السلام بألفي عام [1]، وهذا القول لم يجئ في خبر صحيح عن المعصوم يبين لنا أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ، ويؤيدنا في ذلك ما ثبت في صحيح البخاري: عن أبي ذر قال: ( قلت يا رسول الله أي مســـجد وضع أول ؟ قال: المسجد الحرام . قلت : ثم أي ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت :كـــم بينهما؟ قال أربعون سنة) [2].

والنص القرآني لم يذكر لنا تاريخ إنشاء البيت لأول مرة، وهذا ما سكت عنه النص، ونحن نسكت عنه، ونثبت ما أثبته النص أن إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع قواعده بعد أن دله الله على مكـــانه،

بل إن ظـــاهر القرآن في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّـــذِي بِبَكَّـــةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَـــانَ آمِنًـــا ﴾ [3] يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئا، وأول من أسسه.

---

[1] وروي عن عبد الله بن عمرو هذا القول . فعلق عليه ابن كثير قائلا : . . . وهذا غريب جدا ، وكأنه من الزاملتين التين أصابهما يوم اليرموك . وكان فيها إسرائيليات ، يحدث منها وفيها منكرات وغرائب ، انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٦٣/١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه م ٦ / ٣١٥.

[3] آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ .

ونستبعد عن حبر الأمة وترجمان القرآن أن يقول ما لا يفيد من القـــول، ولا سيما أن كثيرا من الأقوال نسبت إليه، وقيلت عنه ولم تثبت .

## دفع الدخيل:

ونأتي الآن إلى مناقشة أقوال الإمام البغوي وحكم العلماء عليها فنقول:

إن هذه الأقوال التي ذكرها الإمام البغوي فيها بعد وغرابـــة، وهـــي كمـــا نشاهدها مجردة من أي دليل من الكتاب أو السنة، فضلا عن أنها متعارضـــة مخالفـــة لظاهر القرآن الكريم، لذا وجهت إليها سهام النقد والتجريح مـــن بعـــض العلمـــاء الحريصين على رد الروايات الإسرائيلية التي تسمم العقول وتفسد الأفكار.

يقول صاحب تفسير المنار عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِـــنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ... ﴾ [1] : ( هذا ظاهر في أنهما هما اللذان بنيا هذا البيت لعبادة الله تعالى في تلك البلاد الوثنية، ولكن القصاصين ومن تبعهم من المفسرين جاءوا من ذلك بغير ما قصه الله تعالى علينا، وتفننوا في رواياتهم عن قدم البيت، وعن حج آدم ومـــن بعده من الأنبياء إليه، وعن ارتفاعه إلى السماء وقت الطوفان، ثم نزوله مرة أخـــرى، وهذه الروايات يناقض بعضها بعضا، فهي فاسدة في تناقضها وتعارضها، وفاســـدة في عدم صحة أسانيدها، وفاسدة في مخالفتها لظاهر القرآن، ولم يستح بعض النـــاس مـــن إدخالها في تفسير القرآن والصاقها به وهو برئ منها.

ومن ذلك زعمهم أن الكعبة نزلت من السماء في زمن آدم ووصفهم حج آدم إليهـــا وتعارفه بحواء في عرفة بعد أن كانت قد ضلت عنه بعد هبوطهما من الجنة، وحـــاولوا تأكيد ذلك بتزوير قبر لها في جدة، وزعمهم أنها هبطت مرة أخـــرى إلى الأرض بعـــد ارتفاعها بسبب الطوفان وحليت بالحجر الأسود، وأن هذا الحجر كان ياقوتة بيضاء –

---

[1] البقرة : ١٢٧.

وقيل زمردة – من يواقيت الجنة أو زمردها، وأنها كانت مودعة في بـاطن جبـل أبي قبيس فتمخض الجبل فولدها، وأن الحجر إنما اسود لملامسة النساء الحيض له، وقيـل لاستلام المذنبين إياه،

وكل هذه الروايات خرافات إسرائيلية بثها زنادقة اليهود في المسلمين ليشوهوا عليهم دينهم وينفروا أهل الكتاب منه ) [1].

وانتقد أبو حيان الأندلسي القصص التي ذكرها المفسرون حول البيت الحرام وما قيل في طول آدم وصلعه وكم مرة حج فقال: ( ذكر المفسرون في ماهيـة هـذا البيت وقدمه وحدوثه، ومن أي شئ كان باباه، وكم مرة حج آدم ومن أي شئ بنـاد إبراهيم عليه السلام ومن ساعده في البناء قصصا كثيرة واستطردوا من ذلك للكلام في البيت المعمور وفي طول آدم والصلع الذي اعتراه، وطولوا في ذلك بأشياء لم يتضمنها القرآن ولا الحديث الصحيح، وبعضها يناقض بعضا وذلك على جري عاداتهم في نقل ما دأب وما درج، ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما صح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ) [2].

ويتهم ابن كثير رواية عطاء بن أبي رباح بالنكارة وهي التي تقول: "إن آدم قال إني لا أسمع أصوات الملائكة، قال: بخطيئتك، ولكن اهبط إلى الأرض فابن لي بيتاثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بيتي الذي في السماء، فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبـل من حراء، وطور زيتا، وطور سيناء، والجودي، وكان ربضه من حراء، فكان هذا بناء آدم حتى بناه إبراهيم عليه السلام بعد ،

---

[1] تفسير المنار ج١ ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ والذي نرجحه هو أن الحجر الأسود كان أشد بياضا من الثلج فسودته خطايا أهل الشرك لقوله ﷺ : ( الحجر الأسود من الجنة وكان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك ) صححه الترمذي وابن خزيمة . والشيخ الألباني في ك : "مناسك الحج والعمرة"ص ٢١.

[2] أبو حيان الأندلسي ـــ تفسير البحر المحيط ـــ ج١ ص ٣٨٧ .

يقول معقبا عليها: ( وهذا صحيح إلى عطاء، ولكن في بعضه نكارة والله أعلم) [1]
ويقول في "البداية والنهاية".

ولم يجئ في خبر صحيح عن المعصوم: أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله: مكان البيت، فليس بناهض ولا ظاهر، لأن مراده: مكانه المقدر في علم الله – تعالى – المقرر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم) [2]. وقد أعجبني ما قاله صاحب – التفسير الكاشف – عن هذا الموضوع فقال: ( ومهما يكن فنحن غير مسؤولين أمام الله سبحانه، ولا مكلفين بمعرفة تاريخ الكعبة، وزمن إنشائها وولادتها وأنها: هل هي جزء من الجنة أو من الأرض؟ وأن آدم والأنبياء من بعده حجوا إليها أو لا؟ وأنها عند الطوفان: هل ارتفعت إلى السماء ثم نزلت بعده إلى الأرض ؟ وأن الحجر الأسود : هل جاء به جبريل من سماء أو صحبه آدم من الجنة، أو تمخض عنه جبل أبي قبيس . إلى غيرذلك مما لا سند له إلا خبرٌ واحد قصاص مخرف.

نحن غير مسؤولين عن شئ من هذه الأشياء ، ولا مكلفين في معرفتها وجوبا ولا استحبابا ولا عقلا ولا شرعا، ولا فائدة في بحثها دينية ولا دنيوية، وقد عاشت هذه الأبحاث وما إليها حينا من الدهر ثم ذهبت مع الريح .. ومن أراد إحياءها فإنه تماما كمن يحاول ارجاع عقارب الساعة إلى الوراء) [3]

ونختم هذا الموضوع بما قاله فضيلة الشيخ محمد أبو شهبة تحت عنوان (الإسرائيليات في بناء الكعبة) [4] فقال ناقدا صاحب تفسير الدر المنثور الذي أكثر من النقل عن

---

(1) ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ ج ١ ص ١٧٩.

(2) ابن كثير ــ البداية والنهاية ــ، ج ١ ص ١٦٣ .

(3) محمد جواد مغنية ــ التفسير الكاشف ــ ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(4) انظر الدكتور محمد أبو شهبة ــ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ــ مرجع سابق ــ ص ١٦٨.

الأزرقي وأمثاله من المؤرخين والمفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1]

( إنهم كحاطبي ليل لا يميزون بين الغث والسمين، والمقبول والمردود في بناء البيت ومن بناه قبل إبراهيم: أهم الملائكة أم آدم ؟ والحجر الأسود: ومن أين جاء؟ وما ورد في فضله وقد استغرق في هذا النقل الذي معظمه من الإسرائيليات التي أخذت عن أهل الكتاب، بضع عشر صحيفة لا يزيد ما صح منها أو ثبت عن عشر هذا المقدار)[2]

وانتقد كذلك تحت العنوان السابق رواية ابن جرير المروية بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص الدخيلة التي تقول : لما أهبط الله آدم من الجنة قال: إني مهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي فلما كان زمن الطوفان رفع فكان الأنبياء يحجونه، ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله إبراهيم عليه السلام فبناه من خمسة أجبل[3] .......

فقال معقبا عليها إلى غير ذلك مما مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل وخرافاتهم ولم يصح في ذلك خبر عن المعصوم ﷺ. [4]

* * *

---

(1) البقرة : ١٢٧.

(2) انظر السيوطي ـ الدر المنثور ـ ج١ ص ١٢٥ ـ ١٣٧.

(3) انظر ابن جرير الطبري ـ جامع البيان في تفسير القرآن ـ ج١ ص ٤٢٨.

(4) راجع في هذا المقام ( الدخيل في تفسير البغوي ) رسالة دكتوراه فايز الخطيب .

## المبحث العشرون

## ما جاء من الدخيل في تفسير كل من الدر المنثور للسيوطي وابن جرير الطبري حول قصة هاروت وماروت فماذا قالا وما الرد عليهما ؟

### الإسرائيليات في قصة هاروت وماروت

روى السيوطي في الدر المنثور ، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [1] روايات كثيرة ، وقصصا عجيبة رويت عن ابن عمر، وابن مسعود، وعلي ، وابن عباس، ومجاهد، وكعب، والربيع، والسدي، ورواها ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن مردويه، والحاكم ، وابن المنذر، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، والخطيب في تفاسيرهم وكتبهم [2].

وخلاصتها: أنه لما وقع الناس من بني آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: أي رب ، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك، وطاعتك، وقد ركبوا الكفر، وقتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم، ولا يعذرونهم فقيل لهم: إنهم في غيب، فلم يعذروهم، وفي بعض الروايات: أن الله قال لهم: لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم، قالوا سبحانك، ما كان ينبغي لنا، وفي رواية أخرى: قالوا: لا، فقيل لهم: اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمري، وأنهاهما عن معصيتي، فاختاروا هاروت، وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وركبت فيهما الشهوة، وأمرا أن يعبدا الله، ولا يشركا به شيئا، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر، فلبثا على ذلك في الأرض زمانا، يحكمان بين الناس بالحق، وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس

---

(1) البقرة :١٠٢

(2) الدر المنثور ج١ من ص ٩٧ ـــ ١٠٣ ، تفسير ابن جرير ج١ ص ٣٦٢ ـــ ٣٦٧ ط بولاق .

كحسن الزهرة في سائر الكواكب، وأنهما أرداها[1] على نفسها، فأبت إلا أن يكون على أمرها ودينها. وأنهما سألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنما، فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا ، فذهبا فصبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليها، فخضعا لها بالقول، وأراداها على نفسها، فأبت إلا أن يكونا على دينها، وأن يعبدا الصنم الذي تعبده، فأبيا، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذا الخمر، فقالا: هذا لا ينبغي، وأهون الثلاثة شرب الخمر، وسقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها [2]. فمر بهما إنسان، وهما في ذلك ، فخشيا أن يفشي عليهما، فقتلاه، فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا من الخطيئة ، وأرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، وكشف الغطاء فيما بينهما، وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما قد وقعا فيه من الذنوب، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة : قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فقالا : أما عذاب الدنيا فينقطع، ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل، فهما بها يعذبان معلقان بأرجلهما، وفي بعض الروايات، أنهما علماها الكلمة التي يصعدان بها إلى السماء، فصعدت، فمسخها الله، فهي هذا الكوكب المعروف بالزهرة [3].

ويذكر السيوطي أيضا في كتابه: ما رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه [4] ، والبيهقي في سننه: عن عائشة، أنها قدمت عليها امرأة من دومة

---

(1) راوداها عن نفسها .

(2) أي فعلا بها الفاحشة .

(3) الزهرة كرطبة ــ يعني بضم الزاي وفتح الهاء ــ نجم في السماء كما في القاموس وغيره .

(4) تصحيح الحاكم غير معتد به لأنه معروف أنه متساهل في الحكم بالتصحيح كما قال ابن الصلاح وغيره وقد صحح أحاديث تعقبها الإمام الذهبي وحكم عليها بالوضع .

الجندل، وأنها أخبرتها أنها جئ لها بكلبين أسودين فركبت كلبا، وركبت امرأة أخـرى الكلب الآخر، ولم يمض غير قليل، حتى وقفتا ببابل، فإذا هما برجلين معلقين بأرجلهما، وهما هاروت وماروت، واسترسلت المرأة التي قدمت على عائشة في ذكر قصة عجيبة غريبة.

ويذكر أيضا: أن ابن المنذر أخرج من طريق الأوزاعي، عن هارون بن رباب، قال: دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده رجل قد ثنيت له وسادة. وهو متكـئ عليها، فقالوا: هذا قد لقي هاروت، وماروت فقالوا له: حـدثنا رحمـك الله: فأنشـأ الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة [1].

وكل هذا من خرافات بني إسرائيل ، وأكاذيبهم التي لا يشهد لها عقـل، ولا نقل، ولا شرع، ولم يقف بعض رواة هذا القصص الخرافي الباطل عند روايته عن بعض الصحابة والتابعين، ولكنهم أوغلوا باب الإثم، والتجني الفاضح، فألصقوا هذا الـزور إلى النبي ﷺ ورفعوه إليه.

فقد قال السيوطي: أخرج سعيد، وابن جرير، والخطيب في تاريخه، عن نافع، قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل: قال: يا نافع: انظر: هل طلعـت الحمراء؟ قلت: لا، مرتين أو ثلاثا، ثم قلت: قد طلعت، قال: لا مرحبا بها، ولا أهـلا: قلت: سبحان الله !! نجم مسخر، سامع، مطيع!! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت مـن رسول الله ﷺ ، قال : وإن الملائكة قالت: يا رب كيف صـبرك علـى بـني آدم في الخطايا، والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم، قالوا: لو كنا مكانهم مـا عصـيناك، قال: فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهدا أن يختاروا، فاختاروا هاروت ومـاروت، فنزلا، فألقى الله عليهم الشبق، قلت: وما الشبق؟ قال: الشهوة، فجاءت امرأة يقال لها الزهرة، فوقعت في قلبيهما، فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسـه، ثم

---

(1) الدر المنثور ج١ ص ١٠١ ، تفسير الطبري ج١ ص ٣٦٦.

قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟، قال: نعم فطلباها لأنفسهما، فقالت: لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء، وتهبطان، فأبيا، ثم سألاها أيضا، فأبت، ففعلا، فلما استطيرت طمسها الله كوكبا، وقطع أجنحتهما، ثم سألا التوبة من ربهما، فخيرهما بين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، فاختاروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فأوحى الله إليهما: أن ائتيا "بابل[1]"فانطلقا إلى بابل، فخسف بهما، فهما منكوسان بين السماء والأرض، معذبان إلى يوم القيامة، ثم ذكر أيضا رواية أخرى، مرفوعة إلى النبي ﷺ لا تخرج في معناها عما ذكرنا [2]

ولا ينبغي أن يشك مسلم عاقل، فضلا عن طالب حديث، في أن هذا موضوع على النبي ﷺ مهما بلغت أسانيده من الثبوت، فما بالك إذا كانت أسانيدها واهية ساطقة، ولا تخلو من وضاع، أو ضعيف، أو مجهول؟ !! ونص على وضعه أئمة الحديث!!

وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام: أبو الفرج بن الجوزي [3]، ونص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت، وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتها: فهو كافر بالله العظيم [4]، وقال الإمام القاضي عياض في "الشفا": وما ذكره أهل الأخبار، ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت: لم يرد فيه شئ لا سقيم [5] ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئا يؤخذ بالقياس".

وكذلك: حكم بوضع المرفوع من هذه القصة: الحافظ : عماد الدين ابن كثير، وأما ما ليس مرفوعا: فبين أن منشأه روايات إسرائيلية ـــ أخذت عن كعب

---

(1) بابل : بلد من بلاد العراق .

(2) الدر المنثور ج١ ص ٩٧ تفسير الطبري ج١ ص ٣٦٤.

(3) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج١ ص ٨٢.

(4) روح المعاني ج١ ص ٣٤١.

(5) لعله أراد به الضعيف ، واعتبر ما روى مرفوعا ساقطا عن الاعتبار .

وغيره، ألصقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام، قال ــ رحمه الله ــ في تفسيره [1]، بعد أن تكلم على الأحاديث الواردة في هاروت وماروت، وأن روايات الرفع غريبة جدا: "وأقرب ما يكون في ذلك: أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، كما قال عبد ا لرزاق في تفسيره، عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر، عن كعب، ورفع مثل هذه الإسرائيليات إلى النبي كذب واختلاق ألصقه زنادقة أهل الكتاب، زورا وبهتانا، وذكر مثل ذلك في البداية والنهاية [2].

أقول: وهذا الذي قاله العلامة ابن كثير هو: الحق الذي لا ينبغي أن يقال غيره.

وليس أدل على هذا: من أن ابن جرير رواها بالسند الذي ذكره ابن كثير، وبغيره عن ابن عمر، عن كعب الأحبار، [3] ولكن بعض الرواة غلطا، أو سوء نية: رفعها، ونسبها إلى النبيﷺ وكذا ردها المحققون من المفسرين الذين مهروا في معرفة أصول الدين ، وأبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات: كالإمام الرازي، وأبي حيان، وأبي السعود، والآلوسي.

ثم هذه من ناحية العقل غير مسلمة، فالملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر، التي لا تصدر من عربيد، وقد أخبر الله عنهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فما ورد في بعض ــ الروايات التي أشرت إليها آنفا رد لكلام الله ، وفي رواية أخرى: أن الله قال لهما: لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني، فقالا: لو فعلت به يا رب ما عصيناك !! ، ورد كلام الله كفر، ينزه عنه من له علم بالله وصفاته، فضلا عن الملائكة.

---

(1) تفسير ابن كثير والبغوي ج١ ص ٢٥٤.

(2) البداية والنهاية ج١ ص ٣٧.

(3) تفسير الطبري ج١ ص ٣٦٣.

ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء، وتصير كوكبا مضيئا، وما النجم الذي يزعمون أنه: "الزهرة"، وزعموا أنه كان امرأة، فمسخت فهي في مكانه، من يوم أن خلق الله السموات والأرض .

وهذه الخرافات التي لا يشهد لها نقل صحيح، ولا عقل سليم هي كذلك مخالفة لما صار عند العلماء المحدثين أمرا يقينيا ، ولا أدري! ماذا يكون موقفنا أمام علماء الفلك، والكونيات، إذا نحن لم نزيف هذه الخرافات ، وسكتنا عنها، أو انتصرنا لها؟!!

وإذا كان بعض العلماء المحدثين [1] مال إلى ثبوت مثل هذه الروايات التي لا نشك في كذبها، فهذا منه تشدد في التمسك بالقواعد، من غير نظر إلى ما يلزم من الحكم بثبوت ذلك من المحظورات، وأنا لا أنكر أن بعض أسانيدها صحيحة أو حسنة، إلى بعض الصحابة أو التابعين، ولكن مرجعها ومخرجها من إسرائيليات بني إسرائيل، وخرافاتهم، والراوي قد يغلط، وبخاصة في رفع الموقوف، وأن كونها صحيحة في نسبتها لا ينافي كونها باطلة في ذاتها، ولو أن الانتصار لمثل هذه الأباطيل يترتب عليه فائدة ما لغضضنا الطرف عن مثل ذلك، ولما بذلنا غاية الجهد في التنبيه إلى بطلانها، ولكنها فتحت على المسلمين باب شر كبير، يجب أن يغلق.

ويرحم الله الإمام الحافظ الناقد البصير: ابن كثير فقد نبه على أصل الداء، ووصف له الدواء، وبين الحق والصواب في موقف المسلم من هذه الخرافات.

ما التفسير الصحيح للآية ؟

وليس من شأني في هذا الكتاب مجرد الهدم والإبطال لهذه الإسرائيليات والخرافات فحسب. ولكني إلى ذلك سأعني بتفسير الآيات التي حرفت عن مواضعها، تفسيرا علميا صحيحا، يشهد له النقل الصحيح، والعقل السليم، والسابق واللاحق

---

[1] هو الحافظ ابن حجر ، وتابعه السيوطي.

من الآيات. حتى يزداد القارئ يقينا: أنها دخيلة على القرآن الكريم، وإليك التفسير الصحيح:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [١].

وليس في الآية ما يدل – ولو من بعد – على هذه القصة المنكرة، وليس السبب في نزول الآية ذلك، وإنما السبب : أن الشياطين في ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء، ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها، ويلقونها إلى كهنة اليهود وأحبارهم، وقد دونها هؤلاء في كتب يقرءونها، ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا: هذا علم سليمان، وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه يسخر الإنس، والجن. . والريح التي تجري بأمره، وهذا من افتراءات اليهود على الأنبياء. فأكذبهم الله بقوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ[٢] ﴾.

ثم عطف عليه: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ. . . ﴾ فالمراد بما أنزل هو: علم السحر الذي نزلا ليعلماه الناس، حتى يحذروا منه، فالسبب في نزولهما هو: تعليم الناس أبوابا من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر والنبوة، وأن سليمان لم يكن ساحرا، وإنما كان نبيا مرسلا من ربه، وقد احتاط الملكان – عليهما السلام – غاية الاحتياط ، فما كانا يعلمان أحدا شيئا من السحر حتى يحذراه، ويقولا له: إنما نحن

---

[١] البقرة : ١٠٢.

[٢] لأن تعلم السحر للعمل به كفر.

فتنة أي بلاء واختبار، فلا تكفر بتعلمه والعمل به–وأما من تعلمه للحذر منه، ولـيعلم الفرق بينه وبين النبوة والمعجزة: فهذا لا شئ فيه– بل هو أمر مطلوب، مرغوب فيه، إذا دعت الضرورة إليه، ولكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة، بل كانوا يفرقـون به بين المرء وزوجه، وذلك بإذن الله ومشيئته. وقد دلت الآية على أن تعلم السـحر لتحذير الناس من الوقوع فيه والعمل به مباح، ولا إثم فيه، وأيضـا: تعلمـه لإزالـة الاشتباه بينه، وبين المعجزة، والنبوة مباح، ولا إثم فيه.

وإنما الحرام والإثم في تعلمه أو تعليمه للعمل به، فهو مثل ما قيل:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه    ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

واليهود ــ عليهم لعائن الله ــ لما جاءهم رسول الله ﷺ وكانوا يعلمون أنـه النبي الذي بشرت به التوراة، حتى كانوا يستفتحون به على المشركين قبـل مـيلاده وبعثته، فلما جاءهم ما عرفوا ، كفروا به ونبذوا كتابهم التوراة، وكتاب الله : القرآن وراء ظهورهم، وبدل أن يتبعوا الحق المبين: اتبعوا السحر الذي توارثوه عن آبـائهم، والذي علمتهم إياه الشياطين، وكان الواجب عليهم أن ينبذوا السحر، ويحذروا الناس من شره، وذلك : كما فعل الملكان: هاروت وماروت من تحذير الناس من شـروره. والعمل به، وهذا : هو التفسير الصحيح للآية، لا ما زعمـه المبطلـون المخرفـون، وبذلك: يحصل التناسق بين الآيات وتكون الآية متآخية متعانقة، ولا أدري ما الصـلة بين ما رووه من إسرائيليات، وبين قوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْـنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر. . .﴾ الآية .

والعجب : أن الإمام ابن جرير : حوم حول ما ذكرناه في تفسير الآيـة ثم لم يلبث أن ذكر ما ذكر،

**والخلاصة**: على القارئ أن يحذر من هذه الإسرائيليات، سواء وجـــدها في كتاب تفسير، أو حديث أو تاريخ أو مواعظ، أو أدب أو أو . . . . [1].

* * *

(۱) تفسير ابن جرير ج۱ ص ۳٥۹ ، ۳٦۰.

راجع في هذا المقام : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ــ أبو شهبة .

## المبحث الحادي والعشرون

## الدخيل في تفسير التبيان للطوسي

**النموذج الأول:" الدخيل في تفسير قوله تعالى : وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ. . . الآية":**

يقول الطوسي مبينا بعض الأحكام المتعلقة بالحيض" وعندنا لا يحرم منها غير موضع الدم فقط ومن وطئ الحائض في أول الحيض كان عليه دينار وإن كان في وسطه فنصف دينار وفي آخره ربع دينار.

وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفصل . وقال الحسن يلزمه رقبة أو بدنة أو عشرون صاعا. ثم يقول الطوسي مبينا أن معنى الطهارة في الآية الوضوء" وقال مجاهد وطاووس معنى تطهرن توضأن وهو مذهبنا" ثم يبين حكم وطئ الحائض فيقول:"وعندنا يجوز وطء الحائض إذا انقطع دمها وطهرت وإن لم تغتسل إذا غسلت فرجها[1]

**دفع الدخيل :**

وأقول " أما قوله وعندنا أن الحائض لا يحرم منها إلا موضع الدم فقط فذلك متفق عليه عند العلماء جميعا فقد كان النبي ﷺ يتمتع بزوجاته وهن حيض فيما عدا الفرج كما ثبت في كتب الصحاح ومنها على سبيل المثال البخاري الذي روى بسنده عن أم سلمة قالت حضت وأنا مع النبي ﷺ في الخميلة(أي القطيفة وكل ثوب له خمل من أي شئ ) فانسللت فخرجت منها فأخذت ثياب حيضي فلبستها فقال لي رسول الله ﷺ أنفست قلت نعم فدعاني فأدخلني معه في الخميلة"[2].

---

(١) التبيان الجامع لعلوم القرآن للطوسي ج٢ ص٢٢٠

(٢) صحيح البخاري بشرح السعدي ج١ ص ٦٧.

وقال الشيخ محمد صديق" ولا خلاف بين أهل العلم في تحريم وطء الحائض وهو معلوم من ضرورة الدين" [1].

أما قول الطوسي" ومن وطئ الحائض في أول الحيض . . . فهو مخالفة صريحة لما عليه أهل السنة والشيعة من حرمة وطء الحائض. أما بالنسبة للأدب الموضوع لمن يأتي زوجته وهي حائض فالنصوص فيه تختلف قوة وضعفا ويغلب عليها الضعف كما ذكر ابن كثير قال "ثم من فعل ذلك ( أي اتيان الحائض) فقد أثم فيستغفر الله ويتوب إليه وهل يلزمه كفارة أم لا ؟ فيه قولان :

أحدهما: ـــ نعم لم روى أحمد وأهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الذي يأتي امرأته وهي حائض يتصدق بدينار أو نصف دينار وفي لفظ للترمذي إذا كان دما أحمر فدينار وإن كان دما أصفر فنصف دينار" .

وللإمام أحمد أيضا عنه أن رسول الله ﷺ جعل في الحائض تصاب دينارا فإن أصابها وقد أدبر الدم ولم تغتسل فنصف دينار.

والقول الثاني: ـــ وهو الصحيح الجديد من مذهب الإمام الشافعي وقول الجمهور أنه لا شئ في ذلك بل يستغفر الله عز وجل لأنه لم يصح عندهم رفع الحديث فإنه قد روى مرفوعا كما تقدم وموقوفا وهو الصحيح عند كثير من أئمة الحديث [2].

فالقول بأن عليه دينارا أو نصف دينار قول ضعيف لاستناده على حديث ضعيف قال فيه النووي: " وهو حديث ضعيف باتفاق الحفاظ" [3].

أما تفسير تطهرن بمعنى توضأن فتفسير خطأ لأن الوضوء لا يصلح طهارة للحدث الأكبر الذي منه الحيض. والحيض من موجبات الغسل وأقوال أهل السنة في

---

(1) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام ص ٨٥.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص ٢٥٩.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٢٠٥.

التفسير والحديث والفقه تخالف ذلك ومنها ما ذكره القرطبي في تفسيره ( فإذا تطهرن يعني بالماء، وإليه ذهب مالك وجمهور العلماء وإن الطهر الذي يحل به الجماع للحائض التي يذهب عنها الدم هو تطهرها كطهور الجنب" [1].

وعليه فمعنى تطهرن أي اغتسلن لا توضأن كما ذكره الطوسي، والأعجب من ذلك أنه قال بجواز اتيان الحائض بمجرد انقطاع الدم عنها، وإن لم تغتسل، إذا غسلت فرجها فقد انتقل من القول بالوضوء إلى الاكتفاء بغسل الفرج. وانتقاله من هنا إلى ذاك دليل ضعف قوله، وهذا خطأ فظيع وشنيع، لأنه إذا كان الوضوء لا يبيح جماع الحائض فكيف يبيحه غسل الفرج فقط، قال الآلوسي: " والطهارة الكاملة للنساء عن الحيض هي الاغتسال" [2].

وقال النووي: "واعلم أن تحريم الوطء والمباشرة على قول من يحرمهما يكون مدة الحيض، وبعد انقطاعه إلى أن تغتسل أو تتيمم إن عدمت الماء، هذا مذهبنا (مذهب الشافعية) ومذهب مالك وأحمد وجماهير السلف والخلف.

وقال أبو حنيفة: إذا انقطع الدم لأكثر الحيض حل وطؤها في الحال" [3]

لذلك فالرأي الراجح هو رأي الجمهور سلفا وخلفا ومذهب مالك وأحمد والشافعي وهو ما تطمئن إليه النفس . والله أعلم .

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١ ص ٨٩٦.

[2] روح المعاني للآلوسي ج٢ ص ١٢٢.

[3] صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦.

النموذج الثاني:الدخيل في تفسير قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ.الآية﴾ (١)

يقول الطوسي مبينا أقوال العلماء في مقدار القنطار" واختلفوا في مقدار القنطار فقال معاذ بن جبل وابن عمر، وأبي بن كعب، وأبو هريرة هو ألف ومئتا أوقية، وقال ابن عباس، والحسن، والضحاك هو ألف ومئتا مثقال. وقال قتادة ثمانون ألفا من الدراهم أو مائة رطل.

وقال مجاهد وعطاء سبعون ألف دينار وقال أبو نصر هو ملء مسك ثور ذهبا وبه قال الفراء وهو المروي عن أبي جعفر وقال الربيع بن أنس هو المال الكثير، ومعنى المقنطرة المضاعفة على قول قتادة وقال الفراء هي تسعة قناطير ، وقيل هي كقولك دراهم مدرهمة أي مجعولة كذلك، وقال السدي مضروبة دراهم أو دنانير" .

دفع الدخيل؛

أقول ردا عليه إن هذه الأقوال التي ذكرها لم يصح منها إلا قول الحسن البصري وابن عباس وهو أن القنطار ألف ومئتا دينار قال ابن كثير فيه ( والموقوف أصح) (٢).

وهو بهذا يشير إلى عدم صحة الأقوال الأخرى وقد نقد الأقوال الأخرى في تفسيره ورجح عليها رأي الحسن وابن عباس.

ولا ريب فهو الحافظ المدقق العارف بالأسانيد والمتون. لذا فقوله مقدم على غيرة.

---

(١) آل عمران ١٤

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص ٣٥٢.

لكن الذي تطمئن إليه النفس ويرتاح إليه القلب والعقل هو أن القنطار المراد به المال الكثير الذي يعتبره الناس كثيرا في كل عصر بحسبه ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [1].

وقد شرح الآية الدكتور محمد البهي فقال: " وهذا طريق ثالث من الطرق التي كان يمارسها الأزواج في العهد الجاهلي ـــ مضى أو آت ـــ في زوجاهم على التنازل عن بعض أموالهن ـــ مهور أو غير مهور ـــ تفاديا للضرر، الذي يلحق بهن من قبل الأزواج ، وهو طريق الإساءة إلى الزوجة في معاشرهما ليحصل منها على جزء من مهرها ليتزوج به أخرى معها أو بعد أن يطلقها مهما عظمت قيمة المهر الذي أعطى للزوجة القائمة والموجودة فعلا" [2].

والشاهد من هذا النقل تفسيره للقنطار بالمال الكثير. وقد ارتضى السيوطي هذا الرأي ففسر به فقال (والقناطير) الأموال الكثيرة المقنطرة المجمعة من الذهب والفضة[3].

وعليه فأكبر كمية من المال يتعارف عليها الناس هي التي أرادها القرآن في الآية [4].

والله أعلم

* * *

---

[1] النساء : ٢٠.

[2] تفسير سورة النساء د/ محمد البهي ص ٤٢ ، ٤٣.

[3] تفسير الجلالين ج١ ص ٤٧.

[4] راجع في هذا المقام ( الدخيل في تفسير التبيان للطوسي ) رسالة دكتوراة " أحمد محمد علي عثمان .

# المبحث الثاني والعشرون

## حول الإسرائيليات في " المائدة التي طلبها الحواريون" كما ذكرها ابن أبي حاتم نقلا عن ابن كثير وتعليق أبو شهبة عليها

ومن الإسرائيليات التي ذكرها المفسرون عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (1).

قال وقد اختلف العلماء في المائدة: أنزلت أم لا ؟ وجمهور العلماء سلفا وخلفا على نزولها، وهذا هو ظاهر القرآن. فقد وعد الله، ووعده محقق لا محالة، وذهب الحسن ومجاهد إلى أنها لم تنزل. وذلك: لأن الله ـــ سبحانه ـــ لما توعدهم على كفرهم بعد نزولها بالعذاب البالغ غاية الحد، خافوا أن يكفر بعضهم، فاستعفوا، وقالوا: لا نريدها فلم تنزل، ولا أدري ما الحامل لهم على هذا؟!.

وقد أحيطت المائدة بأخبار كثيرة، أغلب الظن: أنها من الإسرائيليات رويت عن وهب بن منبه، وكعب، وسلمان، وابن عباس، ومقاتل، والكلبي، وعطاء، وغيرهم، بل رووا في ذلك حديثا عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما نزلت خبزا ولحما، وأمروا أن لا يخونوا، ولا يدخروا لغد ـــ وفي رواية ـــ : بزيادة ولا يخبئوا

---

(1) المائدة : ١١٢ ـــ ١١٥.

فخانوا وادخروا، ورفعوا لغد، فمسخوا قردة وخنازير"

ورفع مثل هذا إلى النبي غلط،ووهم من أحد الرواة على ما أرجح، فقد روى هذا ابن جرير في تفسيره مرفوعا، وموقوفا أصح،

وقد نص على أن المرفوع لا أصل له الإمام أبو عيسى الترمذي فقال: بعد أن روى الروايات المرفوعة: "هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن خلاس عن عمار بن ياسر موقوفا، ولا نعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسن بن قزعة"، وبعد أن ذكر رواية موقوفة عن أبي هريرة. قال: "وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة، ولا نعرف للحديث المرفوع أصلا" [1].

وقد اختلفت المرويات في هذا، فروى العوفي عن ابن عباس: أنها خوان عليه خبز، وسمك يأكلون منه أينما نزلوا، إذا شاؤا، وقال عكرمة عن ابن عباس: كانت المائدة سمكة، وأريغفة [2]، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم.

وقال كعب الأحبار: نزلت المائدة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض، عليها كل الطعام إلا اللحم .

وقال وهب بن منبه: أنزلها من السماء على بني إسرائيل، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة، فأكلوا ما شاؤا من ضروب شتى، فكان يقعد عليها أربعة آلاف، وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم، فلبثوا على ذلك ما شاء الله عز وجل.

وقال وهب أيضا: نزل عليهم أقرصة من شعير، وأحوات [3]، وحشا الله بين

---

(١) سنن الترمذي ـــ كتاب التفسير ـــ باب سورة المائدة .

(٢) التصغير للتقليل هنا .

(٣) أحوات : جمع حوت ففي القاموس " الحوت السمك جمعه أحوات " وحوته، وحيتان"

أضعافهن البركة، فكان قوم يأكلون، ثم يخرجون، ثم يجئ آخرون فيأكلون، ثم يخرجون. حتى أكل جميعهم، وأفضلوا وهكذا لم يتفق الرواة على شئ، مما يدل على أنها إسرائيليات مبتدعة، وليس مرجعها إلى المعصوم ﷺ، والحق أبلج، والباطل لجلج لا يتفق عليه غالبا.

وسأكتفي بذكر الرواية الطويلة التي ذكرها ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده، عن وهب بن منبه، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وخلاصتها.

أن الحواريين لما سألوا عيسى بن مريم عليه السلام المائدة كره ذلك، خشية أن تترل عليهم، فلا يؤمنوا بها، فيكون فيها هلاكهم، فلما أبوا إلا أن يدعو لهم الله لكي تترل، دعا الله. فاستجاب له، فأنزل الله ـــ تعالى ـــ سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة فوقها، وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من السماء، تهوى إليهم، وعيسى ﷺ يبكي خوفا من الشرط الذي اتخذ عليهم فيها فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يديه، والحواريون حوله يجدون رائحة طيبة، لم يجدوا رائحة مثلها قط، وخر عيسى ﷺ ، والحواريون سجدا، شكرا لله ـــ تعالى ـــ ، وأقبل اليهود ينظرون إليهم، فرأوا ما يغمهم، ثم انصرفوا، فأقبل عيسى عليه السلام ومن معه ينظرونها، فإذا هي مغطاة بمنديل، فقال عليه السلام : من أجرؤنا على كشفه، وأوثقنا بنفسه، وأحسننا بلاء عند ربه، حتى نراها، ونحمد ربنا ـــ سبحانه وتعالى ـــ ، ونأكل من رزقه الذي رزقنا، فقالوا: يا روح الله وكلمته، أنت أولى بذلك، فقام واستأنف وضوءا جديدا، ثم دخل مصلاه، فصلى ركعات، ثم بكى طويلا، ودعا الله ـــ تعالى ـــ أن يأذن له في الكشف عنها، ويجعل له، ولقومه فيها بركة، ورزقا، ثم انصرف، وجلس حول السفرة وتناول المنديل، وقال: بسم الله خير الرازقين، وكشف عنها، فإذا عليها سمكة ضخمة مشوية، ليس عليها

بواسير [١]، وليس في جوفها شوك، يسيل السمن [٢] منها، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث، وعند رأسها خل، وعند ذنبها ملح، وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الآخر تمرات، وعلى الآخر خمس رمانات. وفي رواية: على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد [٣] فقال شمعون. رأس الحواريين — لعيسى : يا روح الله وكلمته: أمن طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ ، فقال عيسى: أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات ، وتنتهوا عن تنقير المسائل؟ ! ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية، فقال له شمعون: لا وإله إسرائيل ما أردت بهذا سؤالا [٤] يا ابن الصديقة، فقال عيسى — عليه السلام — ليس شئ مما ترون من طعام الدنيا ، ولا من طعام الجنة، إنما هو شئ ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة . . . . . .

فقالوا: يا روح الله وكلمته: إنا نحب أن يرينا الله آية في هذه الآية، فقال — عليه السلام — : سبحان الله — تعالى — ، أما أكتفيتم ؟ ! ثم قال : يا سمكة عودي بإذن الله — تعالى — حية كما كنت، فأحياها الله ، وعادت حية طرية . . . يا سمكة عودي بإذن الله — تعالى — كما كنت مشوية ، فعادت ، ثم دعاهم إلى الأكل فامتنعوا. حتى يكون هو البادئ. فأبى، ثم دعا لها الفقراء والزمنى، وقال: كلوا من رزق ربكم، ودعوة نبيكم، واحمدوا الله — تعالى — الذي أنزلها لكم، فيكون مهنؤها لكم وعقوبتها على غيركم، وافتتحوا أكلكم باسم الله — تعالى — ، واختتموه بحمد الله ، ففعلوا، فأكل منها ألف وثلاثمائة إنسان: بين رجل وامرأة، يصدرون عنها، كل واحد منها شبعان يتجشأ، ونظر عيسى والحواريون، فإذا ما عليها كهيئته إذ نزلت من ا لسماء، لم

(١) أي قشر ففي رواية البغوي: ليس عليها فلوسها .

(٢) أي الدهن لسمنها .

(٣) قديد : أي لحم مجفف.

(٤) لعل مراده سؤال تعنت وأنهم يريدون بالسؤال أن يطعمهم الله من رزقه وخيره .

ينقص منها شئ، ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون، فاستغنى كل فقير أكل منـــها، وبرئ كل زمن أكل منها، وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة، سالت منها أشفارهم، وبقيت حسرتها في قلوبهم، إلى يوم الممات [1].

وكانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك: أقبل إليها بنو إسرائيل يسعون مـــن كـــل مكان، يزاحم بعضهم بعضا، فلما رأى ذلك، جعلها نوبا، تنزل يوما ولا تنزل يومـــا، ومكثوا على ذلك أربعين يوما. تنزل عليهم غبا عند ارتفاع النهار، فلا تزال موضوعة يؤكل مـــنها، حتى إذا قالوا [2] ارتفعت عنهم إلى جو السماء، وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض، حتى تتوارى عنهم [3].

فأوحى الله ــ تعالى ــ إلى عيسى ــ عليه السلام ــ : أن اجعل رزقـــي لليتـــامى، والمساكين، والزمنى دون الأغنياء من الناس. فلما فعل ذلك ارتـــاب بهـــا الأغنيـــاء. وغمصوا ذلك، حتى شكوا فيها في أنفسهم، وشككوا فيها الناس، وأذاعوا في أمرهـــا القبيح، والمنكر، وأدرك الشيطان منهم حاجته، وقذف وساوسه في قلوب المرتـــابين، فلما علم عيسى ذلك منهم قال: هلكتم وإله المسيح، سألتم نبيكم أن يطلب المائـــدة لكم إلى ربكم، فلما فعل . وأنزلها عليكم رحمة، ورزقا، وأراكم فيها الآيات، والعـــبر كذبتم بها، وشككتم فيها، فأبشروا بالعذاب، فإنه نازل بكـــم إلا أن يـــرحمكم الله ــ تعالى ــ ، وأوحى الله ــ تعالى ــ إلى عيسى ــ عليه السلام ــ : إني آخذ المكذبين بشـــرطي فإني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعذبه أحدا من العـــالمين. فلمـــا

---

[1] هذا مما يضعف القصة ويدل على الاختلاق ، وإلا فكيف يطلبونها ، ثم يمتنعون عن الأكل ، لأن عيسى لم يبدأ به؟

[2] من القيلولة : الراحة وسط النهار.

[3] القرآن الكريم يدل دلالة واضحة على أن المائدة لم تنزل إلا مرة واحدة وهذا يدل على تكرار نزولها، وهذا أيضا يدل على اختلاق تفاصيل القصة وأنها من تزايدات بني إسرائيل.

أمسى المرتابون بها. وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين، فلما كان في آخر الليل مسخهم الله خنازير، فأصبحوا يتبعون الأقذار في الكناسات" [1].

قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره: "هذا أثر غريب [2] جدا قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة، وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم وأكمل.
والله سبحانه وتعالى أعلم" .

## دفع الدخيل:

أقول: ومن هذه الروايات الغريبة دخل البلاء على الإسلام والمسلمين. لأن غالبها لا يصح، ولذا قال الإمام الجليل: أحمد بن حنبل: "لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء".

وقال الإمام مالك: "شر العلم الغريب. وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس". وقال ابن المبارك: " العلم الذي يجيئك من ههنا وههنا" يعني المشهور الذي رواه الكثيرون. رواها البيهقي في المدخل، وروى عن الزهري أنه قال: " ليس من العلم ما لا يعرف، إنما العلم ما عرف وتواطأت عليه الألسن" [3].

وأحب أن أنبه إلى أن أصل القصة ثابت بالقرآن الذي لا شك فيه وإنما موضع الشك في كل هذه التزيدات التي هي من الإسرائيليات .

---

[1] هذا الأثر الطويل المنقول عن ابن أبي حاتم ذكره بن كثير في تفسيره ج٢ ص ١١٧.

[2] الغريب : ما تفرد به رواته في كل السند أو بعضه ، ومنه الصحيح ، ومنه غير الصحيح وهو الغالب والكثير.

[3] تدريب الراوي ص ١٩٢.

وقد ذكر المفسرون جميعا كل ما يدور حول قصة المائدة، وإن اختلفوا في ذلـك قلـة وكثرة [1]، والعجب: أن أحدا لم ينبه على أصل هذه المرويات، والمنبع الـذي نبعـت منه، حتى الإمامين الجليلين : ابن كثير والآلوسي، وإن كان ابن كثير قد أشـار مـن طرف خفي إلى عدم صحة معظم ما روى، ولعلهم اعتبروا ذلك مما يبـاح روايتـه، ويحتمل الصدق والكذب، فذكروه من غير إنكار له،وكان عليهم أن ينزهوا التفسـير عن هذا وأمثاله.

وقد شكك في القصة الطويلة التي اختصرناها الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، فقال: قلت في هذا الحديث مقال، ولا يصح من قبل إسناده [2].

ثم عرض بعد لما روى مرفوعا، وموقوفا، وذكر ما قاله الإمام أبو عيسى الترمذي: من أن الموقوف أصح، وأن المرفوع لا أصل له [3].

التفسير الصحيح للآيات :

ولأجل أن تكون على بينة من أن تفسير الآيات، والانتفاع بهـا، والاهتـداء بهديها ليس متوقفا على ما رووا من أخبار، وقصص، نفسر لـك الآيـات تفسـيرا صحيحا، كما هو منهجنا فيما عرضنا له فنقول وبالله التوفيق.

---

(1) انظر تفسير ابن جرير عند هذه الآيات ، وتفسير الدر المنثور عندها أيضا ، وتفسير الزمخشري ، والفخر الرازي، وأبي السعود عند تفسير الآيات ، وتفسير ابن كثير والبغوي ج٣ ص ٢٧٤ ــ ٢٧٩ ، والآلوسي ج٧ من ص ٦٢ ــ ٦٥ ، والقرطبي ج٦ من ص ٣٦٩ ــ ٣٧٢ إلا أنه قال: في هذا الحديث مقال ، ولا يصح من قبل إسناده .

(2) تفسير القرطبي ج٦ ص ٣٧٢ ط الأولى .

(3) هذه العبارة تطلق عند بعض المحدثين على ما هو موضوع وليس من شك في أن رفع هذا إلى النبي ﷺ إن كان عمدا فهو كذب واختلاق عليه وإن كان غلطا وسهوا فهو ملحق بالوضع ، كما نبه إليه أئمة الحديث، ابن الصلاح وغيره.

قال الله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمان. وهو مفعول لفعل محذوف، والتقدير: أذكر يا محمد ما حدث في هذا الزمن البعيد ليكون دليلا على صدق نبوتك، فما كنت معهم، ولا صاحبت أهل الكتاب، ولم تكن قارئا، ولا كاتبا.

الحواريون: جمع حواري وهم: المخلصون الأصفياء من أتباع عيسى — عليه السلام —، ويطلق أيضا على الأصحاب المخلصين من أتباع الأنبياء، وفي الحديث الصحيح: " لكل نبي حواري، وحواري: الزبير: يعني ابن العوام.

المائدة: الخوان الذي عليه الطعام، فإن لم يكن عليها طعام فهو خوان،

السماء: إما المرفوعة أو المراد بها جهة العلو، فإنها قد تطلق ، ويراد بها كل ما علا.

وليس المراد بالاستفهام هو أصل الاستطاعة، وأنهم ما كانوا يعلمون هذا، لأن السائلين كانوا مؤمنين، عارفين ، عالمين بالله وصفاته، بل في أعلا درجات هذه الصفات وإنما المراد بالسؤال : الإنزال بالفعل، من قبيل إطلاق السبب وإرادة المسبب، والمعنى : هل يجيبنا ربك — يا نبينا عيسى — إلى ذلك أم لا ؟ .

وقال بعض العلماء: ليس ذلك بشك في الاستطاعة، وإنما هو تلطف في السؤال، وأدب مع الله — تعالى — ، بهذه الصيغة المهذبة كقول الرجل لآخر: هل تستطيع أن تعتبني على كذا ، وهو يعلم أنه يستطيع.

وأما قول من قال : إنه من قول من كان مع الحواريين فبعيد لخروجه عن ظاهر الآية، ولا سيما أن تفسير الآية مستقيم غاية الاستقامة على ما ذكرنا.

وهذا السؤال إما لفقرهم وحاجتهم، وإما لتعرف فضل نبيهم عيسى، وفضلهم وكرامتهم عند ربهم.

وأما ما روى : أن عيسى أمرهم بصيام ثلاثين يوما، ثم ليسألوا ربهم ما يشاؤون ، فصاموا وسألوا، فلست منه على ثلج.﴿ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾

ليس هذا شكا في إيمانهم، وإنما هو أسلوب معهود؛ حملا على التقوى، كما قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين، من هذه الأمة المحمدية: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [1]، والمعنى: اتقوا الله ولا تسألوه، فعسى أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق، أو اتقوا الله ودعوا كثرة السؤال، فإنكم لا تدرون ما يحل بكم عند اقتراح الآيات، لأن الله ـ سبحانه ـ إنما يفعل الأصلح لعباده، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ من أهل الإيمان ، ورسله، ولا سيما أنه ـ سبحانه ـ آتاكم من الآيات ما فيه غنية عن غيره، ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ بدأوا بالغذاء المادي، ثم ثنوا بالغذاء الروحي، فقالوا:﴿وتطمئن قلوبنا﴾ ، وهو مثل قول الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [2].

﴿ ونعلم أن قد صدقتنا﴾ أي : نزداد علما، ويقينا بصدقك، وحقية رسالتك ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ أي : المقربين المعترفين لله، بالوحدانية، ولك بالنبوة، والرسالة، أو : من الشاهدين عليها لمن لم يرها ويعاينها.

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾.

العيد: يوم الفرح والسرور، ﴿لأولنا﴾ : لأول أمتنا، ﴿ وآخرنا ﴾ لآخر أمتنا. أو لنا ، ولمن بعدنا، ﴿وآية منك﴾ أي: دليلا، وحجة على قدرتك، على كل شيء، وعلى إجابتك لدعوتي، فيصدقوني فيما أبلغه عنك، ﴿وارزقنا ﴾ أي من عندك رزقا هنيئا لا

---

(١) الأنفال : ١ .

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

كلفة فيه، ولا تعب، ﴿ وأنت خير الرازقين ﴾ أي خير من أعطى ورزق، لأنك الغني الحميد.

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾

أي فمن يكفر أي: يكذب بها من أمتك يا عيسى، وعاندها، فإني أعذبه عذابا، لا أعذبه أحدا من عالمي زمانكم، وهذا على سبيل الوعيد لهم، والتهديد، وليس في الآية ما يدل على أنهم كفروا، أو على أن غيرهم قد كفر بها، ولا على أنهم استعفوا من نزول المائدة، إنما الذي دعا بعض المفسرين إلى هذه الأقوال : ما سمعت من الروايات الإسرائيلية، وها نحن قد فسرنا الآيات تفسيرا علميا صحيحا من غير حاجة ما إلى ما روى. مما يدل دلالة قاطعة: على أن مفسر القرآن في غنية عن الإسرائيليات التي شوهت جمال القرآن وجلاله [1].

* * *

(١) كذا في كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ( أبو شهبة ) ص ٢٦٦.

# المبحث الثالث والعشرون

## الدخيل في تفسير فتح القدير للشوكاني

### حول ما جاء في تفسير هاتين الآيتين ٤٨ ، ٤٩ من سورة الأعراف وكذا الآية ٨٨ من سورة الإسراء

**النموذج الأول؛** قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (١).

الحديث الأول:

أخرج البيهقي في البعث عن حذيفة أراه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم قال لأصحاب الأعراف ما تنتظرون؟ قالوا : ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا بمغفرتي ورحمتي" (٢).

الحديث الثاني:

أخرج سعيد بن منصور وابن منيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في البعث عن عبد الرحمن المازني قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف؟ فقال:(هم قوم قتلوا في سبيل الله في معصية أبائهم. فمنعم من النار قتلهم في سبيل الله ومنعتهم من الجنة معصيتهم آباءهم) (٣)

---

(١) الأعراف : ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) تفسير الشوكاني " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرية في التفسير" ٢٠٩/٢.

(٣) تفسير الشوكاني ٢٠٩/٢.

**الحكم :**

**الحديث الأول :**

قال صاحب المجمع : رواه الطبراني وفيه أبو معشر نجيح وهو ضعيف [1].

قال صاحب الميزان :

نجيح أبو معشر صاحب المغازي. قال ابن معين ليس بقوي، كان أميا يتقي من حديثه السند وقال أحمد: كان بصيرا بالمغازي، وقال ابن مهدي: يعرف وينكر وقال ابن أبي شيبة: سألت ابن المديني عن أبي معشر، فقال: ذاك شيخ ضعيف ثم قال: كان يحدث عن المقبري، ونافع بأحاديث منكرة، وقال النسائي والدارقطني: ضعيف. وقال البخاري وغيره: منكر الحديث. وقال أبو نعيم: كان رجلا الكن . يقول : حدثنا محمد بن كعب (قعب) وقال علي: كان يحيى بن سعيد يستضعفه جدا ويضحك إذا ذكره [2].

**الحديث الثاني:**

أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري مرفوعا نحوه وأخرجه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة مرفوعا نحوه ورواه الطبري في كتابه جامع البيان قال: حدثني المثنى قال ثنا اسحاق قال ثنا يزيد ابن هارون عن أبي معشر عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف . . الحديث.

قال صاحب الكاشف في كتابه: (معرفة من له رواية في الكتب الستة للإمام الذهبي) يزيد بن هارون (ثقة) [3]

---

[1] المجمع ٢٧/٧.

[2] ميزان الاعتدال ٢٤٦/٤.

[3] الكاشف ٢٨٧/٣.

وقال صاحب التهذيب: يحي بن شبل البلخي روى عن عبادة بن كثير ومقاتل بن سليمان قال الدوري عن ابن معين ضعيف الحديث وليس بشئ وقال ابن أبي حاتم عن أبيه كان يسكن مكة ضعيف الحديث. وفي حديثه عن الثقات انكار [1].

وقال صاحب التهذيب أيضا :

يحي بن شبل البلخي. وعنه مكي بن إبراهيم البلخي.ولهم يحى بن شبل شيخ آخر مدني يروي عنه أبو معشر حديثا في أصحاب الأعراف [2] وقال صاحب التهذيب: محمد عبد الرحمن ابن أبي بكر روى عن أبيه وعن عمه قال عنه البخاري منكر الحديث. وقال النسائي ليس بثقة. وقال مرة متروك الحديث [3].

---

[1] التهذيب ٥/١٠٠.

[2] التهذيب ٢٢٩/١١.

[3] المصدر السابق ٢٣٠/١١.

## النموذج الثاني

## الدخيل في تفسير هذه الآية :

قال الله تعالى :﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [1].

أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال:"أتى رسول الله ﷺ محمود بن شيخان ونعيمان بن آصي وبجري بن عمرو وسلام بن مشكم، فقالوا أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئت به أحق من عند الله ، فإنا لا نراه متناسقا كما تتناسق التوراة؟ فقال لهم: والله إنكم لتعرفونه أنه من عند الله . قالوا : إنا نجيئك بمثل ما تأتي به فأنزل الله: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ.............. الآية [2].

الحكم على هذا الحديث؛

هذا الحديث أخرجه ابن جرير الطبري عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ..... الحديث[3].

قال صاحب الميزان :

يونس بن بكير بن واصل الشيباني مولاهم الكوفي الحمال –قال أبو داود: ليس بالقوي– وقال النسائي : ليس بالقوي وقال العجلي: كان يونس على المظالم لجعفر بن برمك، ضعيف الحديث وقال النسائي : مرة، ضعيف.

---

(1) الإسراء : ٨٨.

(2) تفسير الشوكاني ٢٥٩/٣.

(3) تفسير الطبري ١٥٨/١٥/٩ .

وقال العجلي: هو وابنه بكر بعض الناس يضعفوهما [1].

وقال صاحب التهذيب :

قال الساجي كان يونس بن بكير صدوقا إلا أنه كان يتبع السلطان وكان مرجئا [3]

وأخرج هذه الرواية الإمام ابن كثير في تفسيره ثم قال وفي هذا نظر لأن هذه السورة مكية وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة [4].

والله أعلم

* * *

---

(1) ميزان الاعتدال للذهبي ٤/٤٧٩.

(٣) تهذيب التهذيب ١١/٤٣٦.

(٤) تفسير ابن كثير ٦٣/٣.

راجع في هذا المقام : الدخيل في تفسير فتح القدير للشوكاني ، رسالة دكتوراه حنفي عطية .

# المبحث الرابع والعشرون

# حول ما جاء من الدخيل في تفسير جامع البيان للطبري

**الآثار في تفسير قوله سبحانه:**

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (١)

١ــ قال الطبري: حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ قال: قالت له يا يوسف ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينتثر من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن وجهك، هو للتراب يأكله، فلم تزل حتى أطمعته، فهمت به، وهم بها، فدخلا البيت، وغلقت الأبواب، وذهب ليحل سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على إصبعه يقول: يا يوسف لا تواقعها، فإنما مثلك ــ ما لم تواقعها ــ مثل الطير في جو السماء لا يطاق، ومثلك ــ إذا واقعتها ــ مثله إذا مات ووقع إلى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يحمل عليه، ومثلك إذا واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فربط سراويله، وذهب ليخرج يشتد، فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه، فخرقته، حتى أخرجته منه وسقط، وطرحه يوسف، واشتد نحو الباب (٢).

هذا الحوار الذي دار بين يوسف ــ عليه السلام ــ وامرأة العزيز وما حدث من يوسف كما صورت ذلك كله هذه الرواية العجيبة لا تليق إلا بأفسق خلق الله، من الإسرائيليات السيئة التي تسربت إلى كتب التفسير وتخدش عصمة الأنبياء وتنال من

---

(١) يوسف : ٢٤.

(٢) جامع البيان : ٣٣/١٦ ، ٣٤.

قدر يوسف الكريم الذي قال عنه رب العزة ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾.

٢ــ قال الطبري: حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: أكبت عليه، يعني المرأة تطمعه مرة ، وتخيفه أخرى، وتدعوه إلى لذة من حاجة الرجال في جمالها وحسنها وملكها، وهو شاب مستقبل يجد من شبق [1]الرجال ما يجد الرجل، حتى رق لها مما يرى من كلفها [2] به ، ولم يتخوف منها، حتى هم بها وهمت به حتى خلوا في بعض بيوته [3].

هذا الأثر فيه محمد بن حميد الذي مر أنه ضعيف، والمتن ــ كسابقه ــ مما لا يجوز أن ينسب إلى أنبياء الله، ورسله، فهو من الإسرائيليات السخيفة التي أساءت إلى كتب التفسير إساءة شديدة، ثم ذكر الطبري ــ عفا الله عنه ــ بعد ذلك آثار كثيرة في معنى هم يوسف ــ عليه السلام ــ منها :

٣ــ ما رواه بسنده عن ابن عباس: سئل عن هم يوسف ما بلغ؟ قال حل الهميان[4] وجلس منها مجلس الخاتن [5]، ثم ذكر آثارا أخرى في نفس المعنى [6].

وأما البرهان الذي رآه يوسف ، فترك من أجله موافقة الخطيئة فإن أهل العلم مختلفون فيه.

فقال أحدهم نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة، ثم ذكر آثارا في ذلك منها:

---

(١) شبق الحيوان شبقا : اشتدت شهوته ، المعجم الوجيز : ٣٣٤.

(٢) أي : عشقته وتعلقت به .

(٣) جامع البيان : ٣٤/١٦.

(٤) أي : السراويل .

(٥) جامع البيان : ٣٥/١٦.

(٦) المرجع السابق : ٣٥/١٦ ــ ٣٧.

٤ـــ ما رواه بسنده عن ابن عباس ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ قال نودي يا يوسف، أتزني فتكون كالطير وقع ريشه، فذهب يطير فلا ريش له [١]

وقال آخرون البرهان الذي رأى يوسف فكف عن موافقة الخطيئة من أجلــه: صورة يعقوب ـــ عليه السلام ـــ يتوعده.

وذكر آثارا في ذلك منها :

٥ـــ ما رواه بسنده عن ابن عباس قال رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضا علـــى إصبعه فخرجت شهوته من أنامله [٢].

وقال آخرون: بل البرهان الذي رأى يوسف ما أوعد الله عز وجل على الزنا أهله.

ثم ذكر آثارا في ذلك منها:

٦ـــ ما رواه بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال: رفع رأسه إلى سقف البيت فـــإذا كتاب في حائط البيت ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [٣]

وقال آخرون بل رأى تمثال الملك، وذكر آثارا في ذلك منها؛

٧ـــ ما رواه بسنده عن ابن عباس ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربـــه﴾ يقول : آيات ربه أرى تمثال الملك" [٤].

هذا .. . . . وقد أجاد الأثبات من أهل العلم من قدامى ومحـــدثين ـــ في رد هذه السخافات، ودرء هذه الأباطيل الإسرائيلية عن هذا النبي الكريم بن الكريم، بعد أن اتفقت كلمتهم على أن امرأة العزيز لما هامت بيوسف ـــ عليه السلام ـــ وشغفها حبـــا، أرادت أن تطفئ لهيب غرامها المضطرم في قلبها، فراودته عن نفسه واستغلت في ذلك

---

[١] المرجع السابق : ٣٩/١٦ ـــ ٤١.

[٢] المرجع السابق : ٤١ ـــ ٤٧.

[٣] الإسراء : ٣٢ ، وانظر المرجع السابق : ٤٧ ـــ ٤٨.

[٤] المرجع السابق : ٤٨ ، ٤٩.

كل ما في جمالها وطبيعة أنوثتها من سحر وفتنة، وكيد ومكر، فعرضت عليه فواتن جمالها عرضا في رفق واحتيال، لتثير في نفسه الطبيعة البشرية، وغريزة الميل الجنسي فتستعين بهما على إبائه، وترفعه عن الفحشاء ، وغلقت الأبواب لشدة هياجها، وجنونها بشهوتها جنونا جعلها تنزل عن مكانتها في المجتمع، وتعود كأنثى الحيوان في غليانها واهتياجها، وغلقت الأبواب كأنها توحي إليه أنه صار بمأمن عن أعين الرقباء فلا عليه إن يطاوعها، ويرضى شهوتها الثائرة، ثم تكشف له عن غرضها بصراحة زال معها كل ما في طبيعة المرأة من حياء وتصون، وأغرته على إرضاء رغبتها بما اضرب عن ذكره القرآن صفحا واكتفى بالإيحاء والرمز إليه بعبارة غاية في السمو والنزاهة، وهو قوله ﴿هيت لك﴾ وكانت تنتظر ــ بعد تلك المحاولات التي تستنزل أبطال الرجال من أفق العصمة إلى أرض الطبيعة البشرية أن تكون سهام إغرائها قد نفذت إلى مستقر عاطفته، ووجدانه وهمت به همًا، جاء نتيجة هذه المقدمات التي قامت بها في تصميم غريب، وتصاعد ظاهر، لكن يوسف ــ عليه السلام ــ أجابها بجواب قطع به حبال أطماعها، وسد عليها منافذ رغباتها، وهو قوله: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١)

أبعد هذا! يجوز ما ذكره الطبري: وغيره عن هم سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ ؟

الرازي يدفع هذا الهراء وذاك الدخيل :

لقد أعجبني ما كتبه الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ في تفسيره للرد على هذه المفتريات عن نبي الله يوسف عليه السلام وكان مما قاله رحمه الله.

١ــ أن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف ــ عليه السلام ــ لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول ﷺ المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة ؟

---

(١) يوسف : ٢٣.

٢ــ ثم إنه تعالى قال: ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾، وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه، ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع وأفحش أقسام الفحشاء ، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئا من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء؟!

٣ــ والآية تفيد ــ بلا شك ــ المدح العظيم، والثناء البالغ فلا يليق بحكم الله تعالى أن يحكي عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة، ثم إنه يمدحه، ويثني عليه بأعظم المدائح، والأثنية عقيب أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم.

٤ــ متى صدرت من الأنبياء ذلة أو هفوة استعظموا ذلك، وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف ــ عليه السلام ــ أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة، لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار، ولو أتى بالتوبة لحكى الله ــ تعالى ــ عنه إتيانه بها، كما في سائر المواضع، وحيث لم يوجد شئ من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية.

٥ــ إن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية.

والذين لهم تعلق بالواقعة: يوسف عليه السلام وتلك المرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود، ورب العالمين شهد ببراءته من الذنب، وإبليس أقر ببراءته ــ أيضا ــ من المعصية.

أ ــ أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب، فهو قوله عليه السلام :
﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ [١] ، وقوله عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [٢].

---

(١) يوسف: ٢٦.

(٢) يوسف : ٣٣.

ب ـــ وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك، فلأنها قالت للنسوة: ﴿ ولقد رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [1] ، وأيضا قالت : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [2]

ج ـــ وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك، فهو قوله﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ [3].

د ـــ وأما الشهود، فقوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [4].

هـ ـــ وأما شهادة الله ـــ تعالى ـــ بذلك ، فقوله : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [5]، فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات :

أولها: قوله : ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ والكلام للتأكيد والمبالغة.

الثاني: قوله: ﴿والفحشاء﴾ أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء

الثالث: قوله: ﴿إنه من عبادنا﴾ مع أنه تعالى، قال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [6].

---

(١) يوسف : ٣٢.

(٢) يوسف : ٥١.

(٣) يوسف : ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) يوسف : ٢٦.

(٥) يوسف : ٢٤.

(٦) الفرقان : ٦٣.

الرابع: قوله: ﴿ المخلصين﴾ وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل، وأخرى باسم المفعول، فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتا بالطاعات، والقربات مع صفة الإخلاص، ووروده باسم المفعول يدل على أن الله ــ تعالى ــ استخلصه لنفسه، واصطفاه لحضرته، وعلى كلا الوجهين، فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزها عما أضافوه اليه.

و ــ وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [1] فاقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين، لقوله تعالى : ﴿ إنه من عبادنا المخلصين﴾، فكان هذا إقرارا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى.

ثم قال ــ رحمه الله ــ : وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف ــ عليه السلام ــ هذه الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله ــ تعالى ــ ، فليقبلوا شهادة الله ــ تعالى ــ على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته [2].

وقد آثرت نقل هذا الكلام ــ رغم طوله ــ لإمام المفسرين ، لجودته ونفاسته.

وأيضا مما دل على فساد هذه الأقوال المنسوبة إلى سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ وبطلانها:

١ــ إن إتيان الفاحشة مع امرأة العزيز باطل حيث يتعارض مع ما تقرر عقلا ونقلا من عصمة الأنبياء عن الكبائر [3]

---

(١) ص : ٨٢ ، ٨٣.

(٢) مفاتيح الغيب : ١١٥/١٨ ــ ١١٧ ، بتصرف ، دار إحياء التراث العربي.

(٣) عصمة الأنبياء : د/ محمد أبو النور الحديدي ٣٠٧ ، مطبعة الأمانة .

٢ـ في بعض هذه الروايات العجيبة أن أباه ضربه على صدره، فخرجت شهوته من أنامله، وهذا يستلزم الضعف في الباءة، وعدم القدرة على الجماع، فكيف يستقيم هذا مع أن روايات أخرى أفادت أنه قام عنها لأسباب أخرى؟ أليس هذا هو التخبط بعينه؟ الذي يدل على الكذب والاختلاق!

٣ـ إذا كان الامتناع عن الفاحشة، والالتزام بالطهارة من الأرجاس الخلقية، قد حصل من بعض الصالحين من عباد الله ألا يتصف بذلك الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم صلاة الله وسلامه ـ وهو صاحب الإيمان القوي والامتثال لأوامر الله عز وجل.

٤ـ إن هذا النبي الكريم ، كيف يفعل الفاحشة مع امرأة العزيز الذي حدب عليه، وأكرم مثواه، ومكن له في بيته، ووثق به ثقة ليس لها حد، أيقابل هذه النعمة بالكفران المبين؟ وينأى غيره ـ لو كان في حالته هذه ـ أن يفعل ذلك، لو كان عنده أقل قدر من الدين والصلاح [١].

لهذه الأسباب القوية، والبراهين الساطعة وغيرها، تضافرت أقوال أساطين العلم على أن هذه المفتريات إما أن تكون:إسرائيليات وخرافات وضعها زنادقة أهل الكتاب القدامى والتي أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين، ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا ، وتلقاها عنهم بعض الصحابة والتابعين بحسن نية، أو اعتمادا على ظهور كذبها وزيفها.وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة ، دسها عليهم أعداء الأديان، كي تروج تحت هذا الستار، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، وتعكير صفوة الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة، وهذا ما أميل إليه [٢]

---

(١) ينظر أباطيل يجب أن تمحى من التفسير : د/ رشاد حسن علي ١٦٣ ـ ١٦٧ ، مطبعة زهران .

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لابي شهبة : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، مكتبة السنة ، ط رابعة ، ١٤٠٨هـ .

ويقول صاحب الكشاف:

ولو وجدت من يوسف ـــ عليه السلام ـــ أدنى زلة لنُعيت عليـــه وذكـــرت توبتـــه واستغفاره كما نعيت على آدم زلته.... ، كيف وقد أثنى عليه، وسماه مخلصا، فعلـــم القطع أنه ليس في ذلك المقام الدحض، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولى القـــوة والعـــزم ....[1] الخ؟

ويقول في روح المعاني:"متابعة النص القاطع وبراءة المعصوم عن تلك الرذيلـــة وإحالة التقصير على الرواة أولى بالمصير إليه، على أن أساطين النقل المتقنين لم يرووا في ذلك شيئا مرفوعا في كتبهم، وجل تلك الروايات ـــ بل كلها ـــ مأخوذ من مســـلمة أهل الكتاب، وأضاف ـــ رحمه الله ـــ :

نعم قد صحح الحاكم بعضا من الروايات التي استند إليها، من نســـب تلـــك الشنيعة إليه ـــ عليه السلام ـــ لكن تصحيح الحاكم محكوم عليه بعدم الاعتبـــار عنـــد ذوي الاعتبار[2] .

وقال العلامة أبو السعود في تفسيره :

إن كل ذلك خرافات، وأباطيل تمجها الآذان، وتردها العقول والأذهان، ويل لمن لاكها، ولفقها، أو سمعها وصدقها [3] وغير هؤلاء كثيرون.

ما هو المعنى الصحيح لهم سيدنا يوسف ـــ عليه السلام ـــ ؟

كما قلنا ـــ سابقا ـــ إن هم إمرأة العزيز يتفق وتصـــرفاتها، كمـــا وصـــفتها الآيات الكريمة وهي إرادتها إتيان الفاحشة.

---

(1) الكشاف : ٣١٢/٢ ، مطبعة الحلبي ، ط الأخيرة ، ١٣٩٢هـ ـــ ١٩٧٢م .

(2) روح المعاني : ٢١٥/١٢ ، ٢١٦.

(3) إرشاد العقل السليم : ٢٦٧/٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

وهم يوسف ــ أيضا ــ يتفق وما أخبرت الآيات عنه من إعراضه ــ عليه السلام ــ عنها، واستعانته بالله مما تريده منه، واستقباحه مقابلة الإحسان بالإساءة، وعلمه بسوء عاقبة الخيانة بالعصيان [1].

لهذا رأى أهل التحقيق أن همه إما أن يكون بمعنى : هم بها ليضربها دفاعا عن نفسه لما همت به لتنتقم منه، وتبطش به حين عصى أمرها، وهبط بالسيدة المالكة من عزة سيادتها وسلطانها. .. فرأت أن هذا الاحتقار لا يطاق، ولا علاج لهذا الفتى المتمرد إلا تذليله بالانتقام والبطش به في ساعة غضبها [2]

قال صاحب روح المعاني:

وقد جاء هممت بفلان: أي قصدته ودفعته . . . فإن قالوا: لا يبقى حينئذ لقوله سبحانه : ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ فائدة. قلنا: بل فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين:

الأول: أنه تعالى أعلم يوسف أنه لو هم بدفعها لفعلت معه ما يوجب هلاكه، فكان في الامتناع عن ذلك صون النفس عن الهلاك.

الثاني: أنه لو اشتغل بدفعها فلربما تعلقت به، فكان يتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالى؛ أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو كان متمزقا من قدام لكان هو الجاني، ولو كان متمزقا من الخلف لكانت هي الجانية، فأعلمه هذا المعنى، فلا جرم لم يشتغل بدفعها، وفر عنها حتى صارت الشهادة حجة له على براءته عن المعصية[3]

---

[1] ينظر : عصمة الأنبياء : ٣٠٩

[2] ينظر : تفسير المنار : ٢٢٩/١٢ ، ٢٣٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[3] روح المعاني : ٢١٦/١٢ .

ولكن . . في النفس من هذا الاتجاه شئ؛ إذ كيف يدفعها ويضربها وهو خادم عندها؟ غريب في بيتها؟ بل قوله لها كما أخبر القرآن العظيم ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1] يدل على أنه كان يخاطبها بأسلوب مؤدب مهذب، وهذا هو اللائق بمقامه والمناسب لموقفه منها [2].

وقيل: الكلام من قبيل التقديم والتأخير، والتقدير: ولولا أن رأى برهان ربه لهم، فقوله ﴿وهم بها﴾ جواب لولا مقدم عليها، ومعروف في العربية أن : لولا حرف امتناع لوجود، أي: امتناع الجواب لوجود الشرط، فيكون الهم ممتنعا به، لوجود البرهان الذي ركزه الله في فطرته ، والمقدم إما الجواب، أو دليله على الخلاف في هذا بين النحويين.

والمراد بالبرهان: هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنا، وهو شئ مركوز في فطر الأنبياء، ومعرفة ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين، وهو ما نعبر عنه بالعصمة [3].

ويختار د/ أبو شهبة هذا الرأي فيقول:

وهذا هو القول الجزل الذي يوافق ما دل عليه العقل من عصمة الأنبياء، ويدعو إليه السابق واللاحق، وأما كون جواب لولا لا يجوز أن يتقدم عليها؛ فهذا أمر ليس ذا خطر . . . إلى أن يقول: والقرآن هو أصل اللغة، فورود أي أسلوب في القرآن يكفي في كونه أسلوبا عربيا فصيحا [4].

ولكن يعكر على هذا أنه لو لم يقع منه هم ـــ أصلا ـــ لما كان ممدوحا عند الله ـــ تعالى ـــ ولا كان له ثواب، لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم

---

[1] يوسف : ٢٣.

[2] ينظر : بدع التفاسير : ٧٠ دار الطباعة المحمدية ، ط أولى ، ١٣٨٥هـ ـــ ١٩٦٥م . وأيضا : يعكر على هذا أن فيه تكلفا وإبعادا عن مدلول النص ، انظر الظلال : ١٩٨١/٤ .

[3] الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ـــ د/ أبو شهبة ، ٢٢٧ ، ٢٢٨.

[4] المرجع السابق .

الابتلاء، وكذلك الثواب على قدر المشقة، ولا مشقة في عدم الهم، ولو كان همه كهمها عن عزيمة، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين [1].

أو هم بها أي مال إلى مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية كميل الصائم في اليوم الحار إلى الماء البارد، ومثل ذلك لا يكاد يدخل تحت التكليف، لا أنه ـ عليه السلام ـ قصدها قصدا اختياريا ، لأن ذلك أمر مذموم تنادي الآيات على عدم اتصافه ـ عليه السلام ـ به، وإنما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر، بطريقة المشاكلة، لا لشبهة به ـ كما قيل [2].

يقول صاحب كتاب بدع التفاسير :

والمراد : أن نفسه مالت إليها بحكم الطبيعة البشرية ، كما يميل الصائم للماء البارد مثلا ـ لكنه لم يعزم ـ بل امتنع عن قربانها؛ خوفا من الله ـ تعالى ـ ورعاية لزوجها الذي تركه معها مؤتمنا عليها، فلم يكن ليخونه، فقد تبين أن هم يوسف على حقيقته، وأن البرهان الذي رآه خشية الله المطلع على سره ونجواه، وقبح خيانة سيدها الذي أكرم مثواه [3].

وهذا ما تميل إليه النفس، لأن فيه مجاهدة للنفس وصبرا على البلاء، استحق بهما يوسف كمال المدح وعظيم الثناء من الله ـ عز وجل ـ فيما أنزل من كتب الأولين، ثم في القرآن ، الذي هو حجة على سائر كتبه، ومصدق لها، وأنزل ربنا في قصته ـ عليه السلام ـ سورة كاملة في القرآن العظيم، سماها باسمه ، ليجعل له لسان صدق في الآخرين، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر، وليكون مثلا في العفة وطيب الإزار، والتثبت في مواقف العثار" [4].

---

[1] بدع التفاسير : ٧٠.

[2] روح المعاني : ٢١٣/١٢.

[3] بدع التفاسير : ٦٩.

[4] ينظر الكشاف : ٣١٢/٢.

يقول صاحب الظلال :الذي خطر لي أن قوله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ هو نهاية موقف طويل من الإغراء بعد ما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم، وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف، ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة، ولكن السياق القرآني لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغالية، لأن المنهج القرآني لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة . . . إلى أن قال: هذا ما خطر لنا، ونحن نواجه النصوص، ونتصور الظروف وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية، وإلى العصمة النبوية، وما كان يوسف سوى بشر، نعم إنه بشر مختار، ومن ثم لا يتجاوزهم الميل النفسي في لحظة من اللحظات [1].

٨ ـــ الأثر في تفسير قوله تعالى :

﴿ قال هي راودتني عن نفسي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [2]

قال الطبري: حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا العلاء ابن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام [3].

ثم ذكر الطبري آثارا أخرى بنفس المعنى، بعضها مرفوع، وبعضها موقوف [4] وهذه الآثار معارضة لما في الصحيحين ، عن أبي هريرة ـــ مرفوعا ـــ بلفظ : لم

---

[1] الظلال : ١٩٨١/٤ ، ١٩٨٢.

[2] يوسف : ٢٦.

[3] جامع البيان : ٥٤/١٦.

[4] المرجع السابق: ٥٤/١٦ ـــ ٥٦ .

يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جـريج وذكـر قصته. ثم قال: وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب . . . إلخ، وليس في هذا الحديث شاهد يوسف.[1]

وهذه الآثار ـــ التي ذكرها الطبري ـــ لا تخلو من ضعيف أو متروك.

قال الحافظ في الفتح :

واختلف في شاهد يوسف؛ فقيل كان صغيرا، وهذا أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس وسنده ضعيف، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وأخرج عن ابن عبـاس أيضا ومجاهد أنه كان ذا لحية [2].

وفي تفسير المنار:

وقد اختلفوا في هذا الشاهد ـــ كعادتهم في المبهمات،التي يكثر فيها التخيـل والاختراع ـــ هل كان صغيرا ، أو كبيرا أو حكيما، أو من خاصة الملك أو حيوانـا؟ حتى رووا عن مجاهد، أنه قال: ليس بإنس ولا جان، هو خلق من خلق الله، مع قـول الله أنه من أهلها [3].

بل قال بعضهم: إنما عنى به القميص المقدود [4]. وهو قول عجيب غريب [5]

## دفع الدخيل؛

أقول: أما كونه صبيا ـــ مع ترجيح الطبري له ـــ فيعكر عليه ما ذكرت مـن ضعف إسناده ، ومعارض بما في الصحيحين، " بالإضافة إلى أن شهادة الصـبي أمـر

---

[5] فتح الباري ك الأنبياء ب قول الله ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ ٣٧١/٦ـــ ٣٧٥ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر ، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها: ١٠٥/١٦ ـــ ١٠٨.

[1]

[2] فتح الباري : ٣٧٢/٦.

[3] تفسير المنار : ٢٣٧/١٢.

[4] ينظر جامع البيان : ٥٨/١٦ ـــ ٦٠.

[5] إذ كيف يقول القرآن على القميص أنه من أهلها ، ويوصف بالشهادة ؟

خارج عن العادة، فتكون حجة قطعية، فلم يبق للاستدلال بحال القميص، ولا لكونه من أهلها أدنى فائدة، ولفظ الشاهد ــ أيضا ــ لا يقع عرفا إلا على من تقدمت معرفته بالواقعة[1]

والاقتصار على الوقوف على ما ذكره القرآن أولى، ولا داعي للاشتغال بما لا يفيد في الهدف من ذكر القصة في القرآن الكريم.

**٩ــ الأثر في تفسير قوله سبحانه :**

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [2].

قال الطبري : حدثنا إسماعيل بن سيف، قال: حدثنا عبد الصمد بن علي الهاشمي، عن أبيه، عن جده، في قوله: ﴿ فلما رأينه أكبرنه﴾ "قال" حضن [3].

هذا الأثر فيه إسماعيل بن سيف، ضعفوه، كان يسرق الحديث، وكان يروي عن الثقات أحاديث غير محفوظة [4]

وفيه ــ أيضا ــ عبد الصمد بن علي الهاشمي، منكر، وليس بحجة [5]

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري : ١٨١٢/٢ ، ط الأولى ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م ، وينظر تفسير القرطبي: ٣٤٩٤/٤ ــ ٣٤٩٦ ، نشر دار الغد العربي ، ط أولى .

(٢) يوسف : ٣١ .

(٣) جامع البيان : ٧٦/١٦ .

(٤) ينظر المغني في الضعفاء : ٨٢/١ ، وميزان الاعتدال : ٢٢٣/١ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر ، بيروت.

(٥) ينظر المرجع السابق : ٦٢٠/٢.

قال الألوسي: وأنكر أبو عبيدة [١] مجيء أكبرن بمعنى: حضن، وقال: لا نعرف ذلك في اللغة، ونقل مثل ذلك عن الطبري وابن عطية وغير واحد من المحققين، ورواية ذلك عن ابن عباس إنما أخرجها ابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عبد الصمد، وهو — وإن روى ذلك عن أبيه علي عن ابن عباس — لا يعول عليه، فقد قالوا : أنه عليه الرحمة ليس من رواة العلم [٢].

ولا يخفى أن المعنى الصحيح :

أعظمنه، ودهشن برؤية جماله الفائق الرائع الرائق، فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب [٣]

* * *

---

[١] هو معمر بن المثنى البصري ، النحوي ، العلامة ، تصانيفه تقارب مائتي مصنف ، منها التاج ، والحدود ، وغريب القرآن ، وغريب الحديث ، توفى سنة ٢٠٩هـ ،وقيل غير ذلك ، وفيات الأعيان : ٤٤٨/٤ — ٤٥٤.

[٢] روح المعاني : ٢٣٠/١٢ بتصرف .

[٣] المرجع السابق : ٢٢٩/١٢.

انظر في هذا المقام : " الدخيل في تفسير سورة يوسف من خلال تفسير الطبري " د/ الرفاعي عبيد .

# المبحث الخامس والعشرون

## حول ما جاء من الدخيل في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

النموذج الأول: ما جاء في قصة الغرانيق :

يقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).

قال الإمام القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ :

".. روى الليث عن يونس عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ والنجم إذا هوى ....... ﴾ فلما بلغ :﴿ أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى ﴾ (٢) سها فقال: (إن شفاعتهم ترتجى)، فلقيه المشركون والذين في قلوبهم مرض فسلموا عليه وفرحوا، فقال: ( إن ذلك من الشيطان )، فأنزل الله تعالى :﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي... ﴾ الآية

وكذا حديث قتادة، وزاد فيه: ( وإنهن لهن الغرانيق العلا)"(٣)

---

(١) الحج : ٥٢ ــ ٥٤.

(٢) النجم : ١ ــ ٢٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٨٠ ، ٨١.

دفع الدخيل؛

ونعقب على هذا فنقول ــ والله تعالى نستعين ــ :

قصة الغرانيق دخيلة مردودة، ذلك لأنها موضوعة مكذوبة لما فيها من الطعن في عصمة الرسول ﷺ ، مما يترتب عليه الاخلال بالوثوق بنبوته ﷺ وهذا كانت قصة الغرانيق من أشد أنواع الدخيل ضررا وأعظمها خطرا.

وفي بيان هذا الأمر يحدثنا الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في تفسيره عند تعرضه لهذه الآيات، فيقول:

" قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة من أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح. والله أعلم" [1] أ.هـ.

ويقول العلامة المحقق الآلوسي ــ رحمه الله تعالى ــ في هذا الشأن أيضا :

" ... والمعنى : وما أرسلنا من قبلك رسولا ولا نبيا إلا وحاله أنه إذا قرأ شيئا من الآيات، ألقى الشيطان الشبه والتخيلات فيما يقرؤه على أوليائه ليجادلوه بالباطل ويردوا ما جاء به، كما قال تعالى ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [2].

وقال سبحانه :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [3].وهذا كقولهم عند سماع قراءة الرسول ﷺ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ [4].أنه يحل ذبيح نفسه ويحرم ذبيح الله تعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير : ج ٣ ص ٢٢٩.

(٢) الأنعام : ١٢١ .

(٣) الأنعام : ١١٢.

(٤) المائدة : ٣.

وقولهم على ما في بعض هذه الروايات عند سماع قراءته ﷺ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [1].أن (عيسى) عبد من دون الله تعالى ، والملائكة — عليهم السلام — عبدوا من دون الله .

﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ﴾.

أي : فيبطل ما يلقيه من تلك الشبه، ويذهب به، بتوفيق النبي ﷺ لرده، أو بإنزال ما يرده.﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾

أي : يأتي بها محكمة مثبتة لا تقبل الرد بوجه من الوجوه .. . " [2].

وبعد ذكره للروايات الواردة في هذا الشأن يقول معقبا عليها ومفندا إياها:

" وقد أنكر كثير من المحققين هذه القصة.

فقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل.

وقال القاضي عياض في الشفاء : يكفيك في توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون، والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم.

وفي البحر: أن هذه القصة سئل عنها ( محمد بن إسحاق) جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتابا.

وذكر الشيخ أبو منصور الماتريدي في كتاب(حصص الأتقياء)

( الصواب : أن قوله: " تلك الغرانيق العلا"، من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا في صحة الدين، وحضرة الرسالة بريئة من هذه الرواية ).

---

[1] الأنبياء : ٩٨.

[2] روح المعاني للآلوسي : ج ١٧ ص ١٧٣.

وذكر غير واحد أنه يلزم على القول بأن الناطق بذلك النبي ﷺ بسبب إلقاء الشيطان الملبس بالملك أمور:

منها: تسلط الشيطان عليه ﷺ وهو ﷺ بالإجماع معصوم من الشيطان لا سيما في مثل هذا من أمور الوحي، والتبليغ، والاعتقاد، وقد قال سبحانه:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (١).

وقال تعالى:﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢)

إلى غير ذلك من الآيات . . .

ومنها : زيادته ﷺ في القرآن ما ليس منه، وذلك مما يستحيل عليه ﷺ لمكان العصمة.

ومنها: اعتقاد النبي ﷺ ما ليس بقرآن أنه قرآن ، مع كونه بعيد الالتئام متناقضا ممتزج المدح بالذم، وهو خطأ شنيع لا ينبغي أن يتساهل في نسبته إليه ﷺ .

ومنها: أنه إما أن يكون ﷺ عند نطقه بذلك معتقدا ما اعتقده المشركون من مدح آلهتهم بتلك الكلمات، وهو كفر محال في حقه ﷺ .

وإما أن يكون معتقدا معنى آخر مخالفا لما اعتقدوه، ومباينا لظاهر العبارة ولم يبينه لهم مع فرحهم وادعائهم أنه مدح آلهتهم، فيكون مقرا لهم على الباطل، وحاشاه ﷺ أن يقر على ذلك.

ومنها: كونه ﷺ اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه عليه الملك، وهو يقتضي أنه ﷺ على غير بصيرة فيما يوحى إليه، ويقتضي أيضا: جواز تصور الشيطان بصورة الملك ملبسا على النبي ، ولا يصح ذلك، كما قال في (الشفاء)، لا في أول الرسالة ولا بعدها، والاعتماد في ذلك دليل المعجزة.

---

(١) الإسراء : ٦٥.

(٢) النحل : ٩٩.

وقال ابن العربي: تصور الشيطان في صورة الملك ملبسا على النبي كتصوره في صورة النبي ملبسا على الخلق، وتسليط الله تعالى له على ذلك كتسليطه في هذا، فكيف يسوغ في لب سليم استجازة ذلك.

ومنها: التقول على الله تعالى إما عمدا أو خطأ أو سهوا ، وكل ذلك محال في حقه ﷺ وقد اجتمعت الأمة على ما قال القاضي عياض على عصمته ﷺ فيما كان طريقه البلاغ من الأقوال عن الأخبار بخلاف الواقع لا قصدا ولا سهوا [1].

ومنها : الإخلال بالوثوق بالقرآن، فلا يؤمن فيه التغيير والتبديل" أ.هـ [2].

وفي هذا الشأن أيضا يقول العلامة الشيخ سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ :

"عبارة المواهب قال الإمام فخر الدين الرازي: مما لخصته من تفسيره "هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها"

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [3]

وقال تعالى :﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [4]

وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل . . . ، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون.

وأيضا : فقد روى البخاري في صحيحه:

أنه ﷺ قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن" [5]

---

(١) قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين . وإنه لتذكرة للمتقين . وإنا لنعلم أن منكم مكذبين . وإنه لحسرة على الكافرين . وإنه لحق اليقين .﴾ الحاقة: ٤٤ ـ ٥١.

(٢) روح المعاني ، للآلوسي ، ج١٧ ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٣) النجم : ٣ ـ ٤ .

(٤) الأعلى : ٦.

(٥) صحيح البخاري : باب تفسير سورة النجم .

وليس في حديث الغرانيق ، بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق.

ولا شك أن من جوز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان، ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك أي : مما ألقاه الشيطان على لسانه، ويبطل قوله." أ. هـ [1].

وللأستاذ الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة بحث نفيس في هذا الموضوع ننقله بتمامه من كتابه القيم: (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) لتتم به الفائدة ويعم به النفع، فقد كتب ــ جزاه الله تعالى ــ عنا خير الجزاء ــ يقول:

قصة الغرانيق موضوعة ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [2].

فقد ذكر بعض المفسرين في سبب ذلك: ما قاله السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق بسند صحيح: ( كما زعم) عن سعيد بن جبير قال: قرأ النبي ﷺ بمكة ﴿والنجم....﴾ فلما بلغ: ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى. وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجدوا وسجد، فنزلت.

---

[1] الفتوحات الإلهية للشيخ سليمان الجمل ، ج٣ ص ١٨٤ ، ١٨٥.

[2] الحج : ٥٢ ــ ٥٤.

وأخرجه البزار وابن مردويه بوجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ فيما أحسبه ـ وقال: لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد.

وبعد أن ذكر له طرقا كثيرة قال: وكلها إما ضعيفة، وإما منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأول، وهذا الطريق وطريقان آخران مرسلان عند ابن جرير، هم معتمد المصححين للقصة، كابن حجر والسيوطي [1].

وهذه القصة غير ثابتة: لا من جهة النقل، ولا من جهة العقل والنظر.

أما من جهة النقل: فقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين.

قال البيهقي: وهو من كبار رجال السنة: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل.

وقال القاضي عياض في (الشفاء) [2] ( إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون، والمؤرخون، والمولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحبي، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع منها: حديثا شعبة عن أبي البشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب – الشك في وصل الحديث – : ( أن النبي كان بمكة وذكر القصة )،

قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لا نعرفه يروى عن النبي بإسناد متصل إلا هذا، ولم يسنده لشعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فقد بين أبو بكر أنه لا يعرف عن طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه، الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه.

---

(١) أسباب النزول للسيوطي على هامش الجلالين : ج٢ ص ١٣ ـ ١٦.

(٢) الشفاء للقاضي عياض : ج٢ ص ١١٦ وما بعدها ، الطبعة العثمانية .

وأما حديث الكلبي: فمما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه) أ.هـ.

وكذا أنكر القصة القاضي (أبو بكر بن العربي) وطعن فيها من جهة النقل.

وسئل (محمد بن إسحاق بن خزيمة) عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك كتابا [1].

وذهب إلى وضعها الإمام: ( أبو منصور الماتريدي) في كتاب (حصص الأتقياء)، حيث قال: الصواب أن قوله: ( تلك الغرانيق العلى من جملة إيحاء الشياطين إلى أوليائهم من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا في صحة الدين، وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية .

فها نحن نرى: أن من أنكرها وقضى بوضعها أكثر ممن صححها اعتمادا على روايات مرسلة.

## اضطراب الرواية:

ومما يقلل الثقة بالحديث: اضطراب الروايات اضطرابا فاحشا :

فقائل يقول: انه كان في الصلاة، وقائل يقول : قالها في نادي قومه، وثالث يقول: قالها وقد أصابته سنة، ورابع يقول: بل حدث نفسه بها، ومن قائل: إن الشيطان قالها على لسانه، وإن النبي لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتك؟ وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان: أن النبي قرأها كما رويت: تلك الغرانيق العلى. على أنحاء مختلفة، وكل هذا اضطراب مما يوهن الرواية، ويقلل الثقة بها ، والحق أبلج والباطل لجلج.

والقصة لم يخرجها أحد ممن التزموا الصحيح وكذا الصحاح، ولا أحد من أصحاب الكتب المعتمدة.

---

(١) هكذا قال الرازي في تفسيره : إنه محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وفي الآلوسي نقلا عن تفسير البحر : إنه محمد بن إسحاق جامع السيرة . وقد بحثت فتبين لي أن ابن إسحاق جامع السيرة ممن ذكرها في سيرته فاستبعدت معه أن يكون هو الذي فندها ، ورجحت الأول ، وابن خزيمة من الحفاظ الكبار توفي سنة ٣١١هـ .

والذي روى في البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ:﴿ النجم...﴾ وهو بمكة، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ).

وفي رواية ابن مسعود: " أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ والنجم.......﴾ قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا [1].

أما سجود المسلمين: فاتباعا لأمر الله، وأما سجود المشركين ، فلما سمعوه من أسار البلاغة الفائقة، وعيون الكلم الجوامع، مع التهديد والانذار، وقد كان العربي يسمع القرآن فيخر له ساجدا. أضف إلى ذلك: ما فيه من موافقة الجماعة، والشخص إذا كان في جماعة يندفع إلى موافقتها من غير ما يشعر، ولو كان الأمر على خلاف ما يهوى ويحب، وهذا أمر مشاهد، وفي علم النفس ما يؤيده.

وقد ذكر البخاري في تفسير سورة (الحج) قال:

"وقال ابن عباس: ﴿ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان، ﴿ ويحكم الله آياته ﴾

ويقال: أمنيته قراءته، فقد حكى الثاني بصيغة التمريض التي تدل على الضعف وليس في هذا ولا ذاك ما يشير إلى ما يزعمون.

المعتمدون للقصة:

وما ذكرنا من قول المحققين في القصة: فقد حكمت الصنعة والقواعد الإصطلاحية على الحافظ ابن حجر فصحح القصة، قال في: "الفتح" [2] في تفسير سورة (الحج) بعد ما ساق الطرق الكثيرة: وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع ، لكن كثرة الطرق تدل على أن لها أصلا، مع أن لها طريقين

---

(١) فتح الباري : ج٨ ص ٤٩٨.

(٢) الفتح : ج٨ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥.

مرسلين آخرين، رجالهما على شرط الصحيح: أحدهما : ما أخرجه الطبري من طريـق (يونس بن يزيد) عن (ابن شهاب) حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحـارث بـن هشام، فذكره نحوه، والثاني: ما أخرجه أيضا من طريق ( المعتمد بن سليمان) و (حمـاد بن سلمة)فرقهما عن (داود بن أبي هند) عن ( ابي العالية) ،وبعد أن ذكر كلام القاضي أبي بكر بن العربي، وعياض قال: وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد، فإن الطـرق إذا كثرت وتبينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منـها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحـتج لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما فيها مما يستنكر، وهـو قولـه: ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى. فإنه لا يجوز حمله على ظـاهره، لأنـه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه، وكذا سهوا إن كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسـالك ـــ وبعـد أن ذكر الكثير منها ولم يرتضه ارتضى لتصحيح القصة هذا التأويل وهو: أن النبي ﷺ كان يرتل القرآن ترتيلا، فترصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلـك الكلمـة محاكيا نغمته بحيث سمعها من دنا، فظنه من قوله، وأشاعها بين الناس، قال: وهو الذي ارتضاه القاضي عياض وأبو بكر بن العربي [(١)] أ.هـ.

والقاضيان عياض وأبو بكر رأيهما البطان نقلا وعقلا، ولكنهما ارتضيا ذلك تنزلا على تسليم الصحة.والذي أجيب به على ما ذكر الحافظ .

---

(١) قول ابن حجر هذا عن القاضيين عياض وأبي بكر بن العربي غير صحيح ، والقول بأنهما ارتضياه قول باطل . إذ قد مر آنفا بأنهما قد أنكراه وأبطلاه ، فكيف ينسب إليهما ابن حجر القول بالارتضاء ، وهما من ذلك براء ، إنما لابن حجر هفوة والجواد سبقه كبوة .

١ـــ أن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل، وجعلوه من قسم الضــعيف لاحتمـــال أن يكون المحذوف غير صحابي، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة، وعلى الثاني فـــلا تؤمن. أن يكون كذابا [١].

والإمام (مسلم) قال في مقدمة كتابه: والمرسل في أصل قولنا، وقــول أهـــل العلـــم بالأخبار. ليس بحجة.

وقال ابن الصلاح في مقدمته: (وذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضــعفه هو الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث، وتداولوه في تصانيفهم)

والاحتجاج به مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي بشروط ذكرها في رســالته ونقلها العراقي في شرح ألفيته.

وقد قالوا في مراسيل أبي العالية: أنها كالريح، كما في (التدريب) ، وإني لأذكر الحافظ بما ذكره من البلاء في الاحتجاج بالمراسيل في مقدمة كتابه "لسان الميزان" [٢].

٢ـــ الاحتجاج بالمرسل إنما هو في الفرعيات التي يكفي فيها الظن، أما الاحتجـــاج به على اثبات شئ يصادم العقيدة، وينافي دليل العصمة فغير مسلم، وقد قال علمـــاء التوحيد: (إن خبر الواحد لو كان صحيحا لا يؤخذ به في العقائد، لأنه لا يكتفي فيها إلا باليقين)، فما بالك بالضعيف.

---

[١] نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ : ص ٢٧ ، طبعة الاستقامة .

[٢] قال الحافظ ابن حجر في مقدمة لسان الميزان : " روى عن شيخ من الخوارج أنه قال بعد ما تاب : ( أن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فأني كن إذا هوين أمرا صيرناه حديثا ) . " قال الحافظ : ( وهـــذه ـــ والله ـــ قاصمة الظهر للمحتجين بالمراسيل إذ بدعة الخوارج كانت في الصدر الأول ، والصحابة متوافرون ، ثم في عصر التابعين ومن بعدهم ، وهؤلاء كانوا إذا استحسنوا أمرا جعلوه حديثا ، وأشاعوه ، فربما سمعه الرجل السني فحدث به ، ولم يظهر من حدث به فيحمله عنه غيره ، ويجيء الذي يحتج بالمقاطيع ، فيحتج به ويكون أصـــله مـــا ذكرت ) . وهو كلام من الدقة والنفاسة بمكان وأنا لا آخذ الحافظ إلا بما قال .

٣ــ هذا التأويل الذي ارتضاه ما أضعفه عند النظر والتأمل، فهو يوقع متأوله فيما فر منه، وهو تسلط الشيطان على النبي ، فالتسلط عليه بالمحاكاة كالتسلط عليه بالإجراء على لسانه، وكلاهما لا يجوز، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات، وإذا سلمنا أن الشيطان هو الذي نطق في أثناء سكوت الرسول، فكيف لا يسمع ما حكاه الشيطان؟ وإذا سمعها، فكيف لا يبادر إلى انكارها؟ والبيان في مثل هذا واجب على الفور، وإذا لم يسمع النبي ألم يسمع أصحابه؟ وإذا سمعوه فكيف يسكتون؟ وإذا لم يسمعوا فهل بلغ من تسلط الشيطان أن يحول بينهم وبين السماع؟

ومثل هذا: ما ذكره (موسى بن عقبة) في مغازيه: "من أن المسلمين ما سمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين" .

فهل كان الشيطان يسر في أسماع المشركين دون المؤمنين ؟

ثم كيف هذا وما روى: من أن النبي حزن حزنا شديدا، وأن (جبريل) قال له: ما جئتك بهذا

الحق: أن نسيج القصة مهما تأول فيه المتأولون فهو مهلهل متداع لا يثبت أمام البحث.

## مصادمة القصة للقرآن المتواتر:

فقد أفادت القصة: تسلط الشيطان على النبي بالزيادة في القرآن ما ليس منه وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [(١)]

وأي شخص أحق بهذه العبودية من الأنبياء ــ بل رسول الله ــ ؟

وقال تعالى : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [(٢)].

(١) الحجر : ٤٢ .

(٢) النحل : ٩٩ .

وأي بشر أصدق إيمانا وأقوى توكلا من رسول الله؟ وقد صدق الشيطان ذلك، كما حكى الله تعالى عنه بقوله: ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [١] بفتح اللام وكسرها، ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء، أو من أشد اخلاصا منهم؟

## وأما بطلان القصة من جهة العقل والنظر

فقد قام الدليل وأجمعت الأمة على عصمته ـ ﷺ ـ من مثل ما روى، أما من تمنيه أن يترل عليه مثل هذا من مدح آلهة العرب وهو كفر، أو أن يتسور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه. ويعتقد النبي ذلك. حتى ينبهه جبريل، وذلك ممتنع في حقه أن يقوله من قبل نفسه عمدا وهو كفر، أو سهوا وهو معصوم، وقد ثبت بالبراهين والاجماع عصمته من جريان ذلك على لسانه، أو قلبه، لا عمدا ولا سهوا، أو يكون للشيطان سبيل عليه في التبليغ، ولو جوزنا ذلك لذهبت الثقة بالأنبياء، ولوجد المارقون سبيلا للتشكيك في الأديان [٢].

وجه آخر لفساد هذه القصة:

وهو أن الله تعالى ذم الأصنام في هذه السورة، وأنكر على عابديها، وجعلها أسماء لا مسمى لها، وما التمسك بأذيالها إلا أوهام وظنون، فلو أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بين ما قبلها وما بعدها، ولكان النظم مفككا، والكلام متخاذلا، وكيف يقع مدح بين ذمين ؟ بل كيف يجوز هذا ممن كمل عقله على كل العقول، واتسع في باب البيان ومعرفة الفصيح علمه ؟ وكيف يطمئن إلى مثل هذا التناقض السامعون، وهم أهل اللسن والفصاحة ومنهم أعداؤه الذين يتلمسون له الزلات والعثرات ؟

ولو أن ما روى كان واقعا لشغب المعادون، وارتد الضعفاء من المؤمنين، ولقامت قيامة

---

[١] ص : ٨٢ ، ٨٣.

[٢] الشفاء ، للقاضي عياض : ص ١١٩ جزء ثان ، ط عثمانية .

مكة، كما حدث في الإسراء ولكن شيئا من ذلك لم يكن.

ووجه ثالث : وهو : أن بعض الروايات ذكرت : أن فيهـا نزلـت:﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾[1].

وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه، لأن الله ذكر أهم كادوا يفتنونه ولولا أن ثبته لكاد يركن إليهم، ومفاده: أن الله عصمه من أن يفتري، وثبته حتى لم يكد يركن إليهم، فقد انتفى قرب الركون، لمكان العصمة والتثبت، وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون، بل افترى بمدح آلهتهم، وهذا ضد مفهوم الآيتين، وهو تضعيف للحديث لو صح، فكيف ولا صحة له ؟ ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها، ووعدوه الإيمان به إن فعل، فما فعل، وما كان ليفعل، فكيف يدعي المتخرصون أنه مدح أصنامهم ؟

ومما يدل على افتعال القصة : ما ذكره الأستاذ المرحوم الشيخ ( محمد عبده ) في رده على هذه الفرية، وهو : أن وصف العرب لآلهتهم بالغرانيق لم يرد لا في نظمهم ولا في خطبهم، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم إلا ما جاء في (معجم ياقوت) من غير سند، ولا معروف بطريق صحيح، والذي تعرفه اللغة، أن الغرنوق والغرانيق : اسم لطائر مائي أسود أو أبيض، ومن معانيه الشاب الأبيض الجميل، ويطلق على غير ذلك ( راجع القاموس) ، ولا شئ من معانيه اللغوية يلائم معنى الآلهة والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذي يعرض على أمراء الفصاحة والبيان، ولا يجوز أن يكون هذا من قبيل المجاز بتشبيه الأصنام والآلهة بالغرانيق ، لأن الذوق الأدبي العربي يأبى ذلك.

---

[1] الإسراء : ٧٣ ، ٧٤.

زعم مردود:

وقد حاول أحد أعداء الدين، وهو ( سير مورير) المستشرق الذي شنشن لهذه القصة، أن يدعمها بما يزعم أنه صحيح، وهو ما روى: أن النبي ﷺ لما قال ذلك تهادن المسلمون والمشركون، وترامى الخبر إلى مهاجري الحبشة، فرجعوا إلى وطنهم، وهـــو باطل، والسبب في رجوع مهاجري الحبشة هو: إسلام السيد الهمام: عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أعز الله به الإسلام وقوى شوكة المسلمين، فخفف المشركون من غلوائهم مما رغب مهاجري الحبشة في الرجوع إلى وطنهم، وانضم إلى ذلك: حدوث ثورة في بلاد النجاشي، كان اعترافه بأن ما جاء به القرآن في عيسى وأنه عبد الله ورســـوله حـــق مصدق لما جاء به الإنجيل وإيواؤه المسلمين بعض أسبابها، فآثر المسلمون العودة علـــى المقام في الحبشة خشية أن يتطاير إليهم بعض الشرر والضرر.

وإذا كانت القصة غير ثابتة من جهة النقل، وهي مخالفـــة للقـــرآن المتـــواتر، ومناقضة لما ثبت بالعقل، مع تعذر التأويل، فلا جرم : أن التحقيـــق يـــدعوني إلى أن أصدع بأن حديث الغرانيق مكذوب مختلق، وضعه الزنادقة، الذين يحـــاولون إفســـاد الدين والطعن في خاتم الأنبياء .

وإذ قد انتهينا إلى هذه النتيجة الموفقة : فما معنى الآية حينئذ ؟

وللإجابة على ذلك: أذكر خلاصة ما ذكره الأستاذ الإمام في تفسيرها:

وفي تفسيرها وجهان :

الأول : أن التمني بمعنى القراءة [1] ، إلا أن الإلقاء لا بالمعنى الذي ذكره المبطلون

(١) هذا التفسير ورد في صحيح البخاري تعليقا إلا أنه جعله مرجوحا لا راجحا ، وكذلك أشار إلى الوجه الثاني وهو تفسير التمني بالتشهي ، وجعله هو الراجح ، ( صحيح البخاري ـــ كتاب التفسير ـــ باب : تفسير سورة الحج ) .

بل بمعنى القاء الأباطيل والشبه مما يحتمله الكلام، ولا يكون مـرادا للمـتكلم، أو لا يحتمله ولكن يدعي أن ذلك يؤدي إليه، وذلك من عمل المعاجزين الذين دأبهم محاربـة الحق، يتبعون الشبهة، ويسعون وراء الريبة، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان حينئذ لأنه مثير الشبهات بوساوسه، ويكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسـول ولا نـبي إلا إذا حدث قومه عن ربه، أو تلا وحيا أنزل الله فيه هداية لهم، قام في وجهـه مشـاغبون يتقولون عليه ما لم يقله، ويصرفون الكلم عن مواضعه، وينشرون ذلك بين الناس، ولا يزال الأنبياء يجادلونهم ويجاهدون في سبيل الحق حتى ينتصر، فينسخ الله هذه السنة في الخلق ليتميز الخبيث من الطيب، فيفتتن ضعفاء الإيمان الـذين في قلـوبهم مـرض، ثم يتمحص الحق عند أهله، وهم الذين أوتوا العلم، فيعلمون أنه الحق من ربهم، وتخبت له قلوبهم.

ثانيا: إن التمني: المراد به : تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما كان ويكون، والأمنية من هذا المعنى: وما أرسل الله من رسول ولا نبي ليـدعو إلى هدى جديد، أو شرع سابق إلا وغاية مقصوده ، وجل أمانيه أن يؤمن قومه، وكـان نبينا من ذلك في المقام الأعلى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (١)،﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

ويكون المعنى: وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى هذه الأمنية السـامية ألقى الشيطان في سبيله العثرات، وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور الناس، فثاروا في وجهه، وجادلوه بالسلاح حينا، وبالقول حينا آخر، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها، ونالوا منه وهو قليل الأتباع ظنوا أن الحـق في جانبـهم، وقـد يستدرجهم الله جريا على سنته، بجعل الحرب بينهم وبين المؤمنين سـجالا، فينخـدع

---

(١) الكهف : ٦.

(٢) يوسف : ١٠٣.

بذلك الذين في قلوبهم شك ونفاق، ولكن سرعان ما يمحق الله ما ألقاه الشيطان من الشبهات، وينشئ من ضعف أنصار الآيات قوة، ومن ذلهم عزة، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، ليعلم الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق، فتخبت له قلوبهم، وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مسقيتم .

هذا هو الحق وما عدا ذلك فهو باطل" أ.هـ [1].

وبعد هذا البيان الشافي الكافي نجزم بيقين بأن قصة الغرانيق من أقبح أنواع الدخيل وأعظمها خطرا، وأكبرها ضررا بعقيدة المسلمين، ولا وجود لها في الواقع اللهم في خيال واضعيها، وأوهام متقوليها، ولا أجد ما أتمثل به في هذا المقام إلا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [2].

---

[1] الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، تأليف أ٠د/ محمد بن محمد أبو شهبة ، ص ٤٤٠ ــ ٤٥٢ ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ، سنة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

[2] الكهف :٥.

النموذج الثاني :

قصة زواج سيدنا رسول الله ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش[1] رضي الله عنها وأرضاها

يقول الله تعالى:﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [2].

يذكر الإمام القرطبي رحمه الله تعالى أمرين من الدخيل، عند تعرضه لتفسير هذه الآية الكريمة:

أولهما : ما ذكره قائلا :

"وروى في الخبر أنه: أمسى زيد فآوى إلى فراشه، قالت زينب: ولم يستطعني زيد، وما امتنع منه غير ما منعه الله مني، فلا يقدر علي. [3]

هذه رواية أبي عصمة نوح بن أبي مريم ، رفع الحديث إلى زينب أنها قالت ذلك.

---

(١) هي : السيدة زينب بنت جحش ابن رباب العربية ، أمها أميمة بنت عبد المطلب كان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة فلما فارقها زيد ، تزوجها رسول الله ﷺ سنة خمس من الهجرة ، وقيل : سنة ثلاث ، وقيل : أربع ، وأصدقها أربعمائة درهم .، وهي إذ ذاك بنت خمس وثلاثين سنة ، روت عشرة أحاديث ، وتوفيت سنة عشرين ، وقيل: إحدى وعشرين ، وقد بلغت ثلاثا وخمسين سنة ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ﷺ أ.هـ . نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ، للشبلنجي ص ٣٧ .

(٢) الأحزاب : ٣٧.

(٣) هو : زيد بن حارثة : سبه خيل من تهامة ، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد ، فوهبه لعمته خديجة ، فوهبته خديجة للنبي ﷺ فأقام عنده مدة ، ثم جاء أبوه وعمه يرغبان في فدائه ، فقال لهما النبي ﷺ وذلك قبل البعثة : ( خيراه فإن اختاركما فهو لكما دون فداء ) ، فاختار الرق مع رسول الله ﷺ على حريته وقومه ، فقال محمد رسول الله ﷺ عند ذلك : ( يا معشر قريش اشهدوا بأنه ابني يرثني وأرثه ) ، وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم على ذلك ، فرضي ذلك أبوه وعمه وانصرفا .

وفي بعض الروايات : أن زيدا تورم ذلك منها حين أراد أن يقربها، فهذا قريب من ذلك" [1].

**تعقيب :**

ونعقب على هذا الذي ذكره الإمام القرطبي رحمه الله تعالى فنقول والله تعالى نستعين :

إن هذا الذي ذكره القرطبي رحمه الله تعالى دخيل مردود، ظاهر الوضع والبطلان، ذلك لأنه يناقض ما يفهم من ظاهر قول الله تعالى :﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها . . . ﴾.

ثم قوله تعالى بعد ذلك :﴿ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا . ... ﴾ .

والذي يفهم من ظاهر النص أن المقصود من الوطر: ما يناله الزوج من زوجته من استمتاع بما أحل الله تعالى له .

ثم إن هناك أمورا أخرى تكذب هاتين الروايتين:

منها: أن القول بأن السيدة زينب رضى الله عنها امتنعت من زيد ولم تمكنه من نفسها مردود، لأننا نستبعد أن يحدث هذا منها وهي التي تعلم حق العلم وتعرف تمام المعرفة ما لزيد من حق في هذا عليها، وما كان لها أن تمنعه من هذا الحق، وهي التي تعلم أنها إذا امتنعت عليه وقد دعاها إلى فراشه، باتت تلعنها ملائكة السماء حتى تصبح، فهل يعقل أن ترضى لنفسها ذلك؟

ومنها: أن القول كذلك بأن زيدا تورم ذلك منه حين أراد أن يقربها بعيد مستغرب، ثم نتسائل فنقول: ما المانع من أن يكون زيد قد ذاق عسيلتها وذاقت زينب عسيلته، ثم طلقت بعد ذلك وتزوجها رسول الله ﷺ ؟ أي غضاضة في هذا؟ ورسول الله ﷺ قد تزوج بالعديد من نسائه وكن قد تزوجن قبله ، ومما لا شك فيه أنهن قد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ج ١٤ ص ١٨٩.

ذقن عسيلة أزواجهن من قبل وذاق أزواجهن كذلك منهن عسيلتهن.

ومنها: أن المقصود الأعظم من حل الزواج الثاني بعد الأول أن يكون الزواج الأول قد تم بأكمل صورة وأتم وجه، حتى ينتفي الحرج في حل هذا الزواج الثاني بالمرة.

ومنها: نستبعد أن يكون ما يقال عن تورم ما لزيد عند إرادة قربان زينب حقا، لأنه من الأمور الخاصة جدا بالزوجين، فبعيد أن يخبر زيد عن نفسه بهذا الأمر وبعيد كل البعد أن تخبر السيدة عن زوجها بذلك.

ثانيها: ما ذكره في سبب زواجه ﷺ من زينب رضى الله عنها.

يقول الإمام القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ :

" واختلف الناس في تأويل هذه الآية :

فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم (الطبري) وغيره:

إلى أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش، وهي في عصمة زيد، وكان حريصا على أن يطلقها زيد، فيتزوجها هو، ثم إن زيدا لما أخبره بأنه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة قول وعصيان أمر، وأذى باللسان وتعظما بالشرف، قال له: اتق الله ، ــ أي فيما تقول عنها ــ وأمسك عليك زوجك، وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها. وهذا الذي كان يخفي في نفسه .

وقال مقاتل: زوج النبي ﷺ زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنه حينا، ثم أنه ﷺ أتى زيدا يوما يطلبه، فأبصر (زينب) قائمة، كانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش ، وقال: ( سبحان مقلب القلوب) ، فسمعت زينب بالتسبيحة، فذكرتها لزيد، ففطن زيد، فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبرا، تعظم علي، وتؤذيني بلسانها، فقال ﷺ : ( أمسك عليك زوجك واتق الله ) .

وقيل : إن الله بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها، فرأى زينب فوقعت في نفسه، ووقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي ﷺ وذلك لما جاء يطلب زيدا ، فجاء زيد فأخبرته بذلك، فوقع في نفس زيد أن يطلقها.

وقال ابن عباس: ( وتخفي في نفسك ) الحب لها" [١].

دفع الدخيل؛

ونعقب على ما ذكره الإمام القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ من اختلاف الناس في تأويل هذه الآية، فنقول والله تعالى نستعين :

إن كل هذه الروايات المذكورة دخيلة مردودة، وهي من أشد أنواع الدخيل خطرا وأعظمها ضررا، وكلها روايات غير صحيحة، ولم يثبت لأحد صحة رواية واحدة.

وفي بيان هذا الأمر يقول العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره عندما تعرض لبيان معنى الآية :

" ذكر ابن حاتم ها هنا آثارا عن بعض السلف ـــ رضى الله عنهم ـــ أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها" [٢].

هذا من ناحية رد الروايات التي ذكرت في سبب زواجه ﷺ من السيدة زينب رضي الله عنها.

وأما من ناحية الوجه المقبول في بيان تفسير الآية، فإن أحسن ما قيل في هذا الشأن ما ذكره الإمام القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ مرويا عن الإمام علي بن الحسين ـــ رضى الله عنهما ـــ إذ يقول :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ج ١٤ ص ١٨٩ ، ١٩٠ ويقال تفضلت المرأة: لبست ثياب مهنتها أو كانت فى ثوب واحد.كذا فى القرطبي ج١٤ ص ١٩٠

(٢) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير : ج٣ ص ٤٩١.

"وروى عن علي بن الحسين : أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدا يطلق زينب، وأن يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكي زيد للنبي ﷺ خلق زينب ، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية:( اتق الله وأمسك عليك زوجك)، وهو يعلم أنه سيفارقها، ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق، لما علم أنه سيتزوجها، وخشى رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه ، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشى الناس في شئ قد أباحه الله له، بأن قال: ( أمسك) مع علمه بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحق بالخشية ، أي في كل حال.

قال علماؤنا ـــ رحمة الله عليهم ـــ:

وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية ، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم.

والمراد بقوله: ( وتخشى الناس ):

إنما هو ارجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه.

فأما ما روى أن النبي ﷺ هوى زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته" [١].

وفي هذا الأخير أيضا يقول صاحب كتاب المواقف ـــ رحمه الله تعالى ـــ :

" وما يقال أنه أحبها فمما يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله" [٢].

ويقول العلامة الجمل ـــ رحمه الله تعالى ـــ في الفتوحات الإلهية:

"إن هذا الذي أخفاه هو ما أعلمه الله تعالى به، من أن زيد سيطلقها وينكحها النبي ﷺ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ج١٤ ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) المواقف للإيجي : ص ٣٦٤ .

فعاتبه الله تعالى فقال: لم قلت أمسك عليك زوجك؟ وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ؟

وهذا القول هو المقصود والمعول عليه عند الجمهور .

وفي الخطيب: ( وتخفي في نفسك ) أي : ما أخبرك الله به من أنها ستصير إحدى زوجاتك عند طلاق زيد. ( ما الله مبديه ) أي : مظهره بحمل زيد على تطليقها، وإن أمرته بإمساكها، وتزويجك بها، وأمرك بالدخول عليها.

وهذا دليل على أنه ما أخفى غير ما أعلمه الله تعالى ، من أنها ستصير زوجته عند طلاق زيد، لأن الله تعالى ما أبدى غير ذلك، ولو أخفى غيره لأبداه الله سبحانه.

وقول ابن عباس : كان في قلبه حبها بعيد [1].

وكذا قول قتادة : ود أنه لو طلقها زيد [2].

وكذا قول غيرهما : كان في قلبه لو فارقها زيد وتزوجها" [3].

وفي هذا الشأن أيضا يحدثنا فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة في كتابه: (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ) كتب يقول :

إبطال ما ورد في قصة السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها،

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ

---

(١) هذا القول لا يصح عن ابن عباس ﷺ ولعله من الأخبار المدسوسة عليه .

(٢) هذا القول لا يصح أيضا ، لأن ظاهره الحسد لزيد ، إذ يوحي بأنه ﷺ تمنى أن تزول تلك النعمة عن زيد ، ويحظى هو بها ، وهو أشد أنواع الحسد ، ولا يليق بالعقلاء من الناس ، فما بالك بأعقل الناس وأخشاهم وأتقاهم لله رب العالمين.

(٣) وهو أيضا لا يصح . لتعلق قلبه بأمر يترقب حصوله ، وهو أمر ينافي الورع ، فما بالك بأورع الناس وأعفهم . انظر : الفتوحات الإليهة للشيخ الجمل : ج ٣ ص ٤٦٣.

لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1].

فقد روى عن قتادة وابن زيد [2] أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت زيد في غيبته فرأى زينب في زينتها. وفي رواية: أن الريح كشفت عن ستر بيتها، فرآها في حسنها، فوقع حبها في قلبه فرجع وهو يقول: سبحان الله العظيم ـ سبحان مقلب القلوب، فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله ، فذهب زيد، وقال: بلغني أنك أتيت منزلي، فهلا دخلت يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك ، فأفارقها، فقال له رسول الله: أمسك عليك زوجك، واتق الله ، فنزلت الآية .

وقد ذكر هذا السبب في تفسير الجلالين، وفسر المفسر الجلال الآية على هذه الرواية فيقول: "وتخفي في نفسك ما الله مبديه ـ تظهره من محبتها ـ وأن لو فارقها زيد تزوجتها. " ، وذكر مثله الزمخشري، والنسفي، وابن جرير ، والثعلبي، وغيرهم، إلا أن ابن جرير ذكر بجانب هذا الباطل المدسوس رواية تتفق مع الواقع والحق، وذكر مثل هذه الروايات الباطلة، التي ليس لها من شاهد من نقل ولا عقل، غفلة شديدة وان كان من أبرز سنده تبعته أخف، وهذه الرواية إنما هي من وضع أعداء الدين، و (عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) متهم بالكذب، والتحديث بالغرائب، ورواية الموضوعات، ولم يذكر هذا إلا المفسرون والاخباريون المولعون بنقل كل ما وقع تحت أيديهم من غث أو سمين، ولم يوجد شئ من ذلك في كتب الحديث المعتمدة التي عليها المعول عند الاختلاف.

والذي جاء في الصحيح يخالف ذلك، وليس فيه هذه الرواية المنكرة.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن هذه الآية :

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٧.

(٢) هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، كما بين الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف .

﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ نزلت في شأن زينب ابنة جحش، وزيد بن حارثة، واقتصر على هذا القدر، وليس فيه شئ من هذا الخلط، وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر رواية قتادة:

"ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي الحاتم، والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، وما أوردته هو المعتمد".، وهذه شهادة لها قيمتها، والذي أورده هو ما أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق السدي في هذه القصة ، فساقها سياقا واضحا حسنا، ولفظه: (بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها" أميمة بنت عبد المطلب" عمة رسول الله، وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم رضيت بما صنع رسول الله، فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعد أنها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقي الله، يخشى أن يعيب عليه الناس، ويقولوا : تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدا. وهذا هو السبب الصحيح .

وروى ابن أبي حاتم أيضا والطبري، كل بسنده، عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه: أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك. قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه" (1).

وقال ابن كثير في تفسيره (2) عند قول الله تعالى: ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾.

" ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف ـــ رضى الله عنهم ـــ

---

(1) فتح الباري : لابن حجر : ج ٨ ص ٤٢٥ ، ط الأزهرية .

(2) جزء ٦ ص ٥٦٠ ، ط المنار .

أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها".

التفسير الصحيح للآية:

وهاك تفسير الآية الذي يساير روحها ونصها، وتشهد له الرواية الصحيحة، وتتجلى فيه حكمة الله العالية ، ذلك : أن العرب كان من عادها التبني، وكانت تلحق الابن المتبني بالعصبي، وتجري عليه حقوقه في الميراث، وحرمة زوجته على من تبناه، وكانت تلك العادة متأصلة في نفوسهم، كما كان كبيرا أن تتزوج بنات الأشراف من موال، وان اعتقوا، وصاروا أحرارا طلقاء ، فلما جاء الإسلام كان من مقاصده: أن يزيل الفوارق بين الناس التي تقوم على العصبية وحمية الجاهلية، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب، وأن يقضي على حرمة زوجة الابن المتبنى، وقد شاء الله أن يكون أول عتيق يتزوج بعربية في الصميم من قريش هو زيد، وأن يكون أول سيد يبطل هذه العادة — حرمة زوجة الابن المتبنى — هو رسول الله ﷺ وما على بنات الأشراف أن يتزوجن بعد الموالي، وقد قبلت السيدة زينب اقترانها بزيد، وما على سادات العرب أن يتزوجوا بأزواج أدعيائهم ، وقد قضوا منهن وطرا، وإمام المسلمين، ومن يصدع بأمر الله، قد فتح هذا الباب، وتزوج حليلة متبناه بعد فراقها، وقد كان كل ما أراد الله، فرسول الله يخطب زينب لزيد ، فتأبى ويأبى بعض أهلها، ويكرر رسول الله الطلب، ويترل الوحي بذلك.﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [1].

فلم يبق إلا الإذعان من زينب وأهلها، ولكن زيدا وجد منها تعاظما، فيرغب في فراقها، ويستشير الرسول، فينصحه بامساكها، وكان جبريل قد أخبر رسول الله بأن زينب ستكون زوجة له، وسيبطل الله بزواجه منها هذه العادة، ولكن النبي وجد غضاضة على نفسه أن يأمر زيدا بطلاقها، ويتزوجها من بعد، فتشيع القالة بين الناس:

(١) الأحزاب : ٣٦.

إن محمدا تزوج حليلة ابنه، وبذلك: يصير عرضة للقيل والقال من أعدائه، وهو في دعوته إلى دين الله أحوج إلى تأييد المؤيدين فهذا المقدار من خشية الناس حتى أخفى ما أخبر الله به — وهو نكاحها — وهو ما عاتبه الله عليه، وقد صرح الله في كلامه بالسبب الباعث على هذا الزواج، فقال: ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ﴾ .

هذا هو التفسير الذي يتفق مع الحق والواقع.

وقد نسج المستشرقون والمبشرون أعداء الدين من تلك الروايات المختلقة الواهية ثوبا من الكذب والخيال، وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبي الطاهر كما يصور الشباب الطائش إحدى غاديات المسرح، وطعنوا في غير مطعن، فالروايات ليس لها أساس من الصحة فبناؤهم على غير أساس.

يقول الدكتور ( هيكل) في "حياة محمد" [1]

"ويطلق المبشرون والمستشرقون لخيالهم العنان حين يتحدثون عن تاريخ (محمد) في هذا الموضوع، حتى ليصور بعضهم زينب ساعة رآها النبي، وهي نصف عارية أو تكاد، وقد انسدل ليل شعرها على ناعم جسمها، الناطق بما يكنه من كل معاني الهوى، ويذكر آخرون: أنه حين فتح باب بيت زيد لعب الهواء بأستار غرفة زينب وكانت ممدودة على فراشها في ثياب نومها، فعصف منظرها بقلب هذا الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها، فكتم ما في نفسه، وإن لم يطق الصبر على ذلك طويلا !!

وأمثال هذه الصور التي أبدعها خيال كثير، تراه في (موير) وفي (درمنجم) ، وفي (واشنطن أرفنج) وفي (لامنس)، وغيرهم من المستشرقين والمبشرين".

وثمة حجة دامغة تذهب بالقصة من أساسها، فالسيدة زينب هي بنت أميمة بنت عبد المطلب بنت عمة رسول الله ، وقد ربيت على عينه، وشهدها وهي تحبو، ثم

---

(١) حياة محمد : ص ٣٠٨.

وهي شابة، وله بحكم صلة القرابة معرفة بها، وبمفاتنها، ولا سيما: والنساء كن يبدين من محاسنهن ما حرم الإسلام منه بعد، وهو الذي خطبها لزيد مولاه، وكرر الطلب، حتى استجيب له.

روى ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لزينب: إني أريد أن أزوجك زيد بن حارثة ، فإني قد رضيته لك قالت: لكني لا أرضاه لنفسي، وأنا أيم قومي، وبنت عمتك فنزلت الآية :﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة . . . . ﴾
قالت : قد أطعتك فاصنع ما شئت .، فغير معقول، والحال كما ذكرت، ألا يكون شاهدها، فلو كان يهواها أو وقعت من قلبه، فأي شئ كان يمنعه من زواجها، وإشارة منه كافية لأن يقدموها له وما ملكت –وهو في الذروة من قريش نسبا وخلقا ودينا ما كان يقدع أنفه [1].

ومن بعد ذلك، فحياة رسول الله ﷺ من صباه إلى كهولته إلى أن توفى ترد هذه الفرية، فحياته لم تكن حياة حب واستهتار، ولا عرف عنه أنه كان زير نساء، ولا صريع الغواني، وإنما كانت حياة، حياة الشرف والكرامة، ما عرفت الدنيا أطهر ذيلا منه، ولا أعف منه، ولا لمست يده قط امرأة لا تحل له بشهوة، وكيف يكون على هذا الحال الذي إفتروه؟ من خاطبه من يعلم السر وأخفى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [2].

ولو كان رسول الله ﷺ صاحب هوى أو غرام لأشبع رغبته وهو في ميعة الصبا وشرخ الشباب، أيام أن كان الغيد الكواعب من بنات الأشراف تشرئب أعناقهن إلى أن يكن حليلات له، ولكنه قضى شبابه مع سيدة تزيد على الأربعين

---

(١) مثل يضرب للرجل الكفء الكريم ، والأصل فيه أن الفحل من الإبل إذا كان غير كريم ضربوا أنفه ودفعوه حتى يبعد عن الناقة ، فإذا كان كريما تركوه فصار مثلا : ( هذا الفحل لا يقدع أنفه ) .

(٢) القلم : ٤.

ورضيها زوجا له حتى توفاها الله.

ومهما قيل في جمالها فهناك غيرها من الأبكار الشابات من يفقنها في الجمال، وللأبكار ما لهن من جاذبية وروعة، ومن قضى بغير ذلك: فقد خالف سنة الله في الفطرة، واتبع شواذ العادات.

## حكم سامية في تزويج النبي بزوجاته

ولم يكن زواج رسول الله بزوجاته إلا لحكم ومقاصد سامية؛

فزواجه بعائشة وحفصة توكيد للعلاقة بينه وبين وزيريه،

وزواجه بالسيدتين: سودة وزينب بنت عبد الله تكريما لهما ، وللعقيدة القوية في شخص زوجيهما [1]

وزواجه بالسيدة أم سلمة جبر لكسرها ، وتعويض لها عن فقد عائلها، وعرفان لتضحياتها، وتضحيات السيد أبو سلمة زوجها، ومهما قيل في أم سلمة، وأنها كانت ذات جمال في شبابها فقد كانت في كبر سنها، وما مرت به من أحداث جسام من الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وما أنجبت من أولاد ، وما رزئت به في فقد الرجل الذي ما كانت تظن أن هناك من هو خير منه ـ فقد كان في كل ذلك ما يذوي بهذا الجمال، إن لم يذهب به، ثم أليس في غيرها من بنات المهاجرين والأنصار الأبكار من تفوقها جمالا وشبابا وثروة ونضرة؟

وزواجه بالسيدة: أم حبيبة بنت أبي سفيان حفظ لها من الضياع وهي في بلاد نائية عن بلادها، فقد تنصر زوجها : عبيد الله بن جحش ومات على نصرانيته، وثبتت

---

(١) فقد هاجرت السيدة سورة مع زوجها إلى الحبشة فمات هناك وأما السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله فكانت تحت عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف أحد شهداء بدر ، وقيل : كانت زوجة عبد الله بن جحش شهيد ( أحد ) .

هي على إيمانها، وتحملت آلام الوحدة والغربة، فلم يكن شئ أجمل مما صنعه الرسـول معها، وقد تزوجها النبي وهي بالحبشة ولم يدخل بها إلا عام سبع في خيـبر، فكيـف يكون هذا حال من أولع بالنساء وصار همه إشباع رغبته الشهوانية وهمه الجنسي ؟

وزواجه بالسيدة: زينب بنت جحش، لابطال هذه العادة، ويطول بي القول لو استقصيت الحكم في زواجه ﷺ فلذلك مقام آخر.

والعجب من هؤلاء الطاعنين إذا وقعوا على ما يشفي غليلـهم مـن باطـل الروايات تمادوا في قلب الحقائق، وأنكروا عقولهم، وتجاهلوا الظـروف والملابسـات والبيئة وأحكامها، والعادات وسلطانها، إلى غير ذلك مما يتفيقهون به بينما يطيشـون بالحكم على روايات في غاية الصحة بأنها موضوعة، ولا حامل لهم في الحالين إلا الهوى والتعصب.

(وبعد) فإذا كانت القصة كما رأيت ، لا سند لها من جهة النقـل، وحيـاة رسول الله تكذبها، وطبيعة البيئة التي جرت فيها تجلت أصولها، فلـم يبـق إلا أنهـا موضوعة [1].

وإذا كان لي من قول أقوله بعد هذا البيان الكافي الشافي في دحض هذه الفرية الباطلة واجتثاثها من أصولها، فإني أقول: إن هذا الـذي يقـول بـه المستشـرقون والمبشرون والمستغربون ومن لف لفهم هو لعب بالدين وانسلال عن احترام النبـيين، وهي شنشنة الحمقى وهفوة السخفاء السفهاء، وهذا ـ لعمـري ـ مـن السـفاهة والوقاحة والجسارة على الله تعالى ورسوله ﷺ ، وبطلانه أظهر من أن يخفى ، وركاكة ألفاظه وسوء طوياته تناديان ـ وبأعلى صوت ـ على كذبه وبهتانه، ولا أظنه قـولا مرضيا عند من له أدنى عقل منهم، فلعن الله من اختلقه وكذا من يعتقده ولا أجد مـا أتمثل به في هذا المقام إلا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِيـنَهُمْ لَعِبـا

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتاب التفسير ، د/ محمد أبو شهبة ص ٤٥٢ ـ ٤٦٠.

وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [1] [2]

* * *

---

(1) الأنعام : ٧٠

(2) وانظر في هذا المقام كتاب " دراسات في الدخيل في تفسير القرآن " د/ عبد الله نايل.

# المبحث السادس والعشرون

## وبه تكتمل مباحث هذا الكتاب إن شاء الله وهو بعنوان

## الدخيل في تفسير ابن أبي حاتم

النموذج الأول: ما جاء في تفسير الآية رقم (٤١) من سورة فاطر:

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١)

الدخيل؛

حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد: حدثنا إسحاق بن إبراهيم: حدثني هشام بن يوسف، عن أمية بن شبل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ﷺ قال: (سمعت النبي ﷺ يقول: ( وقع في نفس موسى عليه السلام هل ينام الله عز وجل ؟ فأرسل الله ملكا إليه ، فأرقه ثلاثا، وأعطاه قارورتين، في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما، فجعل ينام، وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ، فيحبس إحداهما عن الأخرى، حتى نام نومة فاصطفقت يداه، وانكسرت القارورتان، قال: ضرب الله له مثلا: إن الله تبارك وتعالى لو كان ينام، ما كان يمسك السماء ولا الأرض ) (٢).

وعن خرسة بن الحر ﷺ قال: حدثني عبد الله بن سلام: ( أن موسى عليه السلام قال : يا جبريل، هل ينام ربك ؟ فقال جبريل: يا رب إن عبدك موسى يسألك هل تنام ؟ فقال الله: ( يا جبريل، قل له فليأخذ بيده قارورتين، وليقم على الجبل من أول الليل حتى يصبح، فقام على الجبل، وأخذ قارورتين فصبر، فلما كان آخر الليل غلبته عيناه

---

(١) فاطر : ٤١

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٨٦/١٠ ، رواية رقم (١٨٠١٥) .واصطفاق اليدين اضطرابهما لسان العرب ج٤ ص٢٤٦٣

فسقطتا فانكسرتا، فقال: يا جبريل انكسرت القارورتان، فقال الله يا جبريـــل، قـــل لعبدي إني لو نمت لزالت السماوات والأرض [1].

تخريج الأثر:

الأثر الأول: أخرجه أبو يعلي، والديلمي ، وابن الجوزي غير المصنف [2]

دفع الدخيل بالحكم على الأثر :

( أ ) من جهة الإسناد: الرواية الأولى ضعيفة جدا.

قال ابن الجوزي: ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، وغلط مـــن رفعـــه [3]، وقال القرطبي : ولا يصح هذا الحديث.

وأما الرواية الثانية: فهي معلقة، وهي من أنواع الضعيف.

( ب ) من جهة المتن : هاتان الروايتان من الإسرائيليات الدخيلة؛ إذ يستبعد أن يقع ذلك من الرسل ، فضلا عن أولي العزم.

قال ابن كثير: وهو من أخبار بني إسرائيل ، وهو مما يعلم أن موســـى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل وأنه منزه عنه [4]

وقال في موضع آخر: وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا، بـــل منكـــرا فذكر رواية بإسنادها والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع؛ بل مـــن الإســـرائيليات المنكرة، فإن موسى عليه السلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم، وقد أخـــبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه : ﴿ الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لـــه مـــا في السموات وما في الأرض ﴾

---

(١) ينظر مسند أبي يعلي برقم (٦٦٦٩) ، والديلمي في الفردوس برقم (٧١٢٦) ، وابن الجوزي في الواهيات برقم (٢٢، ٢٣ ) .

(٢) ينظر : التقريب ص ٨١ ، وتهذيب الكمال ٨١/١ ، والتهذيب ١/ ٢٢٣ ، والكاشف ١/ ١٠٧.

(٣) نقلا عن تفسير القرطبي ٢٦١/٣ .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٩٢/١ ـــ دار الجيل .

في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :( إن الله تعالى لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه ) . . . الحديث [1]

النموذج الثاني: ما جاء في تفسير الآية رقم (٢٠)من سورة (ص) :
قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[2]
الدخيل؛

عن ابن عباس ﷺ أن داود ﷺ حدث نفسه أنه ابتلى أن يعتصم فقيل له: إنك ستبتلى، وستعلم اليوم الذي تبتلى فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلى فيه ، فأخذ الزبور، ودخل المحراب، وأغلق باب المحراب وأدخل الزبور في حجره، وأقعد منصفا [3] على الباب، وقال : لا تأذن لأحد على اليوم.

فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر من ذهب كأحسن ما يكون الطير، فيه من كل لون، فجعل يدرج بين يديه فدنا منه فأمكن أن يأخذه ، فتناوله بيده ليأخذه فطار فوقه على كوة المحراب، فدنا منه ليأخذه فطار فأشرف عليه لينظر أين وقع؟ فإذا هو بامرأة ، عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله حركت رأسها فغطت جسدها أجمع بشعرها، وكان زوجها غازيا في سبيل الله ، فكتب داود ﷺ إلى رأس الغزاة انظر فاجعله في حملة التابوت ، إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا ، فقدمه في حملة التابوت، فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود ﷺ فاشترطت عليه إن ولدت غلاما أن يكون الخليفة من بعده، وأشهدت عليه خمسا من بني إسرائيل ، وكتبت عليه بذلك

---

(١) المصدر السابق ٣/٥٣٩.

(٢) ص ٢٠

(٣) المنصف : الخادم . ينظر : النهاية في غريب الحديث ٥/٦٦ .

كتابا فما أشعر بنفسه أنه كتب حتى ولدت سليمان عليه السلام وشب فتسور عليه الملكان المحراب فكان شأنهما ما قص الله تعالى في كتابه ، وخر داود عليه السلام ساجدا ، فغفر الله له ، وتاب عليه ) [1].

بسند ضعيف: عن أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل بعثا [2]، وأوصى صاحب الجيش، فقال: إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، من قدم بين يدي التابوت، لم يرجع حتى يقتل، أو ينهزم منه الجيش، فقتل وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام ، يقصان عليه قصته ، ففطن داود، فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا ، حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده : رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب. رب إن لم ترحم ضعف داود، وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعده.

فجاء جبريل عليه السلام من بعد أربعين ليلة ، فقال : يا داود إن الله قد غفر لك، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل ، قال داود: فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة؟ فقال: يا رب دمي الذي عند داود ؟ قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، فإن شئت لأفعلن. فقال: نعم . ففعل جبريل . وسجد داود عليه السلام فمكث ما شاء الله ، ثم نزل فقال: قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول: ( هب لي دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا رب ، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت ، وما اشتهيت عوضا ) [3].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٢٤٠ ، رواية رقم ( ١٨٣٤٣ ).

(٢) قطع بعثا : أي أفرد قوما يبعثهم الغزو ، ويعينهم من غيرهم . ينظر : النهاية في غريب الحديث ٨٢/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٢٤٠ ، رواية رقم ( ١٨٣٤٤ ).

تخريج الأثر؛

الرواية الأولى : أخرجها ابن جرير ، والحاكم ، وذكرها السيوطي ، وعزاها للطبري.

الرواية الثانية: أخرجها الطبري من طريق يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن أبي صخر، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس . . . ، والحكيم الترمذي، وذكره السيوطي وعزاه لابن جرير والمصنف [1].

دفع الدخيل بالحكم على الأثر :

( أ ) من جهة الإسناد : إسناد الأثر الأول ضعيف؛ لأنه معلق . وإسناد الأثر الثاني موضوع، وفيه ابن لهيعة، قال عنه الذهبي: العمل على تضعيف حديثه. وأبو صخر فيه وهم، ويزيد الرقاشي متفق على ضعفه [2].

(ب ) من جهة المتن : في هاتين الروايتين من المناكير الإسرائيليات ما يخالف نهج الأنبياء الخلقي والدعوي ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ويردها الشرع، ولا يقبلها العقل

فمن المنكرات التي وردت في الروايتين :

أولا : الرغبة في مقتل مسلم مجاهد لأجل الدنيا.

وثانيا: الطمع في زوجته

وثالثا : إن داود مكث أربعين ليلة ساجدا ، حتى نبت الزرع والعشب.

ورابعا: كون هذه المرأة هي أم سليمان عليه السلام .

---

(١) ينظر : جامع البيان ٧٤/٢٠ / ٧٥ ، ومستدرك الحاكم ٥٨٦/٢ ، ونوادر الأصول ١٧٨/٢ ، والدر المنثور ٥٢٦/٢ ، ٥٢٧.

(٢) ينظر : الكاشف ٣٥/٢ ، التقريب ص ٦٧٠.

قال ابن كثير : قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصلح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ﷺ ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة القصة، وأن يرد علمها إلى الله تعالى [1].

قال الذهبي : وما كان لداود ﷺ ولا لأي نبي أن يسقط إلى هذا الحد في حمأة الشهوة ، فيزني بامرأة غيره، ويحتال على قتله، إنها لفرية مفضوحة [2].

قال ابن العربي: وليس في القرآن أن داود تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها، ولا ولادتها لسليمان ، فعن من يروي هذا ويسند ؟ وعلى من في نقله يعتمد؟ وليس يؤثره عن الثقات الأثبات أحد [3].

وهذه القصة متطابقة تماما في مضمونها مع ما ورد في التوراة ، ونصه كما يلي: وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة جدا، فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال: واحد أليست هذه (بتشبع) امرأة أوريا ، فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها.

وكتب إلى أيوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت [4].

---

(1) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٣٢/٤.

(2) ينظر : الإسرائيليات للذهبي ص ٣١.

(3) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي ٥٤/٤ .

(4) سفر صموئيل الثاني ٢٦/٢/١١ .

قال الألباني: وقصة افتتان داود عليه السلام نظره إلى امرأة الجندي أوريا مشـــهورة مبثوثة في كتب ( قصص الأنبياء ) ، وبعض كتب التفسير ولا يشك مسلم عاقـــل في بطلانها لما فيها من نسبة ما لا يليق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [1] انتهى.

والله أعلم .

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه.

---

[1] ينظر : السلسلة الضعيفة ٣١٣/١ .

راجع في هذا المقام : الدخيل في تفسير ابن أبي حاتم ، رسالة دكتوراه ، عبد الله الكندري .

# الخاتمـــة

تم بحمد الله ــ عز وجل ــ إعداد مباحث هذا الكتاب والــتي بلغــت ســتة وعشرين مبحثا .

من المبحث الأول وحتى المبحث الثامن عشر كان الحديث المنهجي في دراستنا لقضايا الدخيل. والتي يستطيع القارئ من خلال معايشته لها أن يلم جهد الطاقة بنسيج هــذا الموضوع وهذا هو ما انتظمه الخط الأول في إعداد هذا الكتاب.

ويأتي الخط الثاني لينتظم جملة من المباحث تبدأ بالمبحث التاسع عشر وتنتهي بالمبحــث السادس والعشرين المكمل لمباحث هذا الكتاب.

والناظر في هذه المباحث يجد أنها تضمنت نماذج تطبيقية سقناها مــن خــلال ورودها في بعض كتب التفسير تدريبا عمليا على هذا الدخيل. الذي ســبق بيانــه في المباحث التي سلفت .

وبشقي هذا العمل يكون المراد من إعداد هذا الكتاب بعد توفيق الله قــد تم بمشيئته تعالى وطبعي أن كل إنسان يؤخذ من عمله ويرد عليه، "رأيي صواب يحتمــل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".ولا يعصم من الخطأ إلا صــاحب الروضــة الشريفة ﷺ ومن هنا فقد قصدنا بالقيام بهذا العمل والكتابة فيه أن تكون لنا مســاهمة في هذا الجانب وقد أشرنا في بدء هذا الكتاب إلى البواعث والدواعي الــتي دفعتنــا للكتابة حوله .

وفي الختام نسأل الله ــ عز وجل ــ أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه مبتغا به منفعة أولي العلم في هذا الصدد . وقبل الختام لا يفوتني أن أسجل هنا ما خلصــت إليه. من خلال هذه المعايشة لقضايا هذا الكتاب وبين أسطره وصفحاته فيكون عنوان، آثار وثمار

ومعنى هذا أن هناك ثمارا جنيتها من خلال البحث والدرس في ثنايا هذا الكتاب ويمكن إجمالها فيما يأتي :

أولا : من أجل تنشئة الطالب الأزهري داعية المستقبل يجب أن :

أ ـــ يؤلف تفسير خاص وأن يجمع فيه الصحيح وأن يكون خاليا من أي دخيل.

ب ـــ يلحق بهذا التفسير كتاب خاص في الدخيل حتى يستطيع الدارس أن ينتقي في قراءته وفي دراسته الصحيح المقبول ويرفض العليل الدخيل.

ثانيا : على وزارة الأوقاف أن تندب أساتذة كلية أصــول الــدين لعمــل دورات للخطباء والوعاظ لإلقاء محاضرات عن الدخيل حتى يدعوا الله على بصيرة .

ثالثا : بعد انتهاء الرسائل الجامعية الخاصة بتفسير معين تتولى جامعة الأزهر أو مجمع البحوث الإسلامية هذه الرسائل وطبعها لتكون كلها كتابا واحدا تحت عنوان الدخيل في تفسير كذا .

رابعا: فرض رقابة دقيقة متخصصة على الكتب التي تدرس في دور العلم ومعاهــده وبخاصة كتب التفسير والوعظ والتصوف ونحوها.

خامسا: عل كلية أصول الدين أن تواصل هذا العمل الجليل-إبراز الدخيل في كتــب التفسير- الذي يعتبر سلاحا ضد أعداء الإسلام الذين يحاولون الدس في ثقافة المسلمين حتى يشككوهم فيما فيه سعادتهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة. وأنى لهم ذلك ! والله المتكفل بحفظ دينه وكتابه. لذا نهيب بالجميع المواصلة على هذا الدرب.

وختاما أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن ينتفع بــه وأن يهدينا إلى الطريق القويم والمنهاج المستقيم . . إنه سميع قريب مجيب الدعوات . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

انتهيت من إعداد هذا العمل السبت ٣ من ربيع الأول ١٤٢٧هـــ الموافق ١ إبريــل ٢٠٠٦ م

الأميرية ٢ ش ربيع جودة من شارع التحرير ـــ القاهرة ا.د. جمعة على عبد القادر ( أبو أنس )

## التعريف بالمؤلف وكتبه

### مؤلف هذا الكتاب :

* اسمه / جمعة على عبد ا لقادر يرجع ميلاده إلى سنة تسع وأربعين وتسعمائة وألف، من مواليد قرية طملاي، من قرى محافظة المنوفية من الله عليه بنعمة البصيرة وهو في العام السادس لميلاده، أهلته هذه النعمة لأن يتعلم القرآن الكريم فيحفظه بتوفيق الله وهو ابن سبع، وجوده على رواية حفص، وأراد الالتحاق بالمعهد الأزهري إلا أنه كان في هذا الوقت صغيرا فكان هذا دافعا له لأن يضيف إلى تجويده للقرآن رواية أخرى وهي ورش .

* ولما بلغ عمره دون الثانية عشرة بقليل التحق بالمعهد الأزهري. وكان من الموفقين في دراسته، وحصل على شهادة الابتدائية الأزهرية، التي سميت فيما بعد بالإعدادية ولا يحصل على هذه الشهادة إلا من درس بالمعاهد الأزهرية أربع سنوات، وواصل السير في هذا المعهد الأزهري حتى حصل على الثانوية الأزهرية، وكانت مدة الدراسة في هذا القسم الثانوي خمس سنوات، ووقتها كانت التجربة الأولى في أن يؤدي المكفوفون امتحاناهم تحريريا في كل المواد تقريبا، وقد حظى بتوفيق الله سبحانه وتعالى، وكان الأول على مكفوفي هذا المعهد.

* فحصل على شهادة الثانوية سنة تسع وستين وتسعمائة وألف من معهد منوف الديني، وحقق الله له ما كان يرجوه ، وهو أن يكون من الطلاب الذين ينتسبون إلى كلية أصيلة لها قصب السبق في جامعة الأزهر ،"إنها كلية أصول الدين" وعندما التحق بهذه الكلية العتيقة نعم أيضا بتوفيق الله سبحانه وتعالى فحصل على شهادة الإجازة العالية (الليسانس) من قسم التفسير وعلوم القرآن سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف، وفي هذا التاريخ كان لا مفر

وقتها من أن يعمل خريجوا أصول الدين بوزارة الأوقاف كأئمة وخطباء وهذه نعمة يحظى بها من تخرج من كلية أصول الدين لا سيما إذا كان حقل الدعوة الذي يعمل به يتناسب مع حياة الداعي، ونظرا لأن الدعوة إلى الله الشأن فيها أنها جهاد تحتاج من الداعي إلى صبر وجلد ومثابرة ، فقد تم تعيينه في قرية نائية عن العمران وقد عمل بها إماما وخطيبا، وحظى بإعجاب من يصلون خلفه ويستمعون إلى خطبه.

* وقد كان يرغب في أن يواصل دراسته بالدراسات العليا لا سيما وأن تقديراته بكلية أصول الدين كانت بمرتبة "جيد جدا" وبعد عمله بالأوقاف قرابة شهر واحد حظى بأن يكون من المكلفين من قبل كلية أصول الدين بالعمل فيها معيدا، وواصل الدراسة من جديد فحصل على شهادة الماجستير سنة خمس وسبعين وتسعمائة وألف وكان التقدير أيضا "جيد جدا" ،وبالجهد الدؤوب والمكابدة في سبيل تحصيل العلم لا سيما لرجل له هذه الظروف الخاصة أمل أن يحقق الله له الأمل المنشود فيحصل على شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الثانية ، تحت عنوان : [ تفسير سورة الرحمن ] وكان ذلك سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وألف، ومن يمن الطالع أن ليلة مناقشة هذه الرسالة اتفقت قضاء وقدرا مع ليلة القدر من شهر رمضان.

* ولم يقف جهد الباحث في هذا الميدان على الحصول على الدكتوراه وإنما مواصلة البحث ومواكبة العلم كانت سبب في حصوله على درجة "أستاذ مساعد" سنة أربع وثمانين وتسعمائة وألف، وكان وقتها يعمل بكلية البنات بالمدينة المنورة كمعار لها من قبل جامعة الأزهر ، وها هو الآن يعترف بالجميل للكلية التي خرجته فيعمل بها أستاذا بعد أن حصل على درجة الأستاذية سنة تسع وثمانين وتسعمائة وألف والأمل في الله كبير أن يمنحه مزيدا من التقدم.

* ثم عمل الأستاذ المذكور بكلية آداب البنات بالدمام بالمملكة العربية السعودية كأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بها، طيلة ست سنوات في صدر التسعينيات ، ومن بين الأعمال العلمية التي شارك فيها إشرافه على رسالة الماجستير في القسم السالف الذكر وهي بعنوان ( أسماء سور القرآن الكريم وعلاقة الاسم فيها بالمسمى ) مع تحقيق المسألة فيما قيل في فضلها.

* كما ناقش رسالة لنيل درجة الدكتوراه وكانت بعنوان "إسماعيل وإسحاق عليهما السلام بين القرآن الكريم والعهد القديم" وها هو الآن يؤدي رسالته في جامعة الأزهر،

قصدنا من هذا الغرض السريع التعريف بالمؤلف حتى يعرف كل باحث أن الجد والاجتهاد هما سببا لنيل المطالب، وما أجمل قول القائل :

ومن طلب العلوم بغير كد   سيدركها إذا شاب الغراب

* ولن يشيب الغراب ،ولن تحصل العلوم إلا بالصبر عليها بشرط أن ينعم الباحث بتوفيق الله سبحانه وتعالى بعد أخذه بالأسباب فهناك فرق بين التوكل والتواكل، هكذا تعلمنا من الأزهر الشريف الذي نرفع أكف الضراعة إلى الله سبحانه وتعالى لأجله أن يصونه من المشككين في مكانته ومنزلته، كما أدعوا الله عز وجل أن يبارك فيمن ساعدني منذ بدايتي حتى صرت رجلا من الذين ينتسبون إلى جامعة الأزهر الشريف، وأخص بالذكر والدي الذين وقفا بجواري في أيام كانت عصيبة حالكة لولا لطف الله اللطيف، كذلك أدعوا بالرحمة لمن كان سببا في أن أكون من أهل القرآن معلمي الأول، كذلك أدعو الله عز وجل لكل معلم أمدني بكلمة راجيا من الله أن ينعم على الجميع بتوفيقه ورحمته.

*****

## كتب للمؤلف

ونظرا لأن طبيعة عمل المؤلف وميدان تخصصه دراسة القرآن الكريم ومدارسة قضاياه كان منهاجه في هذا الخصوص دائرا بين تفسير القرآن الكريم وقضاياه التي ينتظمها علم مدون تحت عنوان علوم القرآن جاءت كتبه ومؤلفاته في هذا الإطار وكانت كتبه في مادة تفسير القرآن تتسم بالمنهجية التي اكتسبها من تعليمه بالأزهر فهو عندما يقف أمام نص قرآني فإنما يعني فيه بالتفسير التحليلي وهذا التفسير التحليلي من طرقه الكشف عن مفردات النص وإبراز ما فيه من لغة، وبلاغة ، ومناسبة، واستنباط أحكام، هذا المسلك الذي ترسمه المؤلف يجده أيها القارئ بارزا في هذه المؤلفات .

أولا : التفسير:

١ــ الأفنان في تفسير سورة آل عمران .. جزء أول

٢ــ الأفنان في تفسير سورة آل عمران .. جزء ثاني

٣ــ الأضواء في تفسير سورة النساء .. جزء أول

٤ــ الأضواء في تفسير سورة النساء .. جزء ثاني

٥ــ الإيضاح والبيان في تفسير سورة البقرة

٦ــ الإيضاح والبيان في تفسير سورة الشورى

٧ــ تفسير سورة غافر

٨ــ تفسير سورة فصلت

٩ــ "س و ج" في تفسير سورة الأعراف

١٠ــ الإتحاف في تفسير سورة الأعراف

١١ــ تفسير سورة الرحمن

١٢ــ شرح الصدور في تفسير سورة النور

ثانيا: وفي الجانب الثاني ويقصد به ما دونه المؤلف وكتب عنه في "علوم القرآن" كانت للمؤلف كتب وأبحاث منها :

(١٣) فيض الرحمن في علوم القرآن

(١٤) أساس البنيان في علوم القرآن

(١٥) بحث بعنوان " المحكم والمتشابه في القرآن"

(١٦) زاد الراغبين في مناهج المفسرين

(١٧) بحث بعنوان "الله يتجلى في خلق الإنسان"

(١٨) بحث بعنوان "ترجمة القرآن ودراسة قضاياه"

(١٩) كتاب جلال الفكر في التفسير الموضوعي لآيات من الذكر، وهو كتاب يتضمن جملة من المباحث في التفسير الموضوعي لكتاب الله ـ عز وجل ـ

(٢٠) معالم سور القرآن الكريم وإتحافات درره ، نظرة جديدة في التفسير الموضوعي ، مجلدان.وهو يتضمن تفسيرا موضوعيا للقران الكريم سورة سورة

(٢١) مع هؤلاء الأعلام والأحرف المقطعة

(٢٢) الكتاب الماثل بين يدي القارئ وهو بعنوان (الدخيل بين الدراسة المنهجية والنماذج التطبيقية) .

والمؤلف إذ يقدم هذه النماذج من مؤلفاته للقراء يسأل الله ـ عز وجل ـ الأجر على تحصيل العلم كما يسأله التوفيق لطلبة العلم وقرائه.

والله من وراء القصد

* * *

## من أعمال المؤلف العلمية

هذا وللمؤلف أعماله العلمية التي تتصل برسائل الجامعة بين إشراف ومناقشة، فقد أشرف وناقش عددا من الرسائل حصل من خلالها أصحابها على مرتبة الماجستير أو الدكتوراه وها هي رسائل الدكتوراه والماجستير التي أشرف عليها وناقشها.

### أولا : الدكتوراه:

(١) القرآن والتفسير في شبه جزيرة ماليزيا منذ أوائل هذا القرن إلى الآن "عرض وتحليل".

(٢) التيسير في علم التفسير للإمام الفقيه عمر بن محمد بن أحمد النسفي السمرقندي المتوفي سنة ٥٣٧هـ "دراسة وتحقيق من أول سورة النور إلى آخر سورة الزمر".مجلدان.

(٣) حمكا وجهوده في تفسير القرآن الكريم بأندونيسيا في كتابه الأزهر

(٤) التيسير في علم التفسير للإمام عمر النسفي المتوفي سنة ٥٣٧هـ "تحقيق ودراسة من أول سورة الفاتحة إلى قوله تعالى( تلك الرسل) من سورة البقرة(جزءان)

(٥) الدخيل في تفسير التبيان للطوسي من أول الفاتحة إلى آخر النساء.

(٦) الدخيل والإسرائيليات في تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري من الجزء ١٢ إلى الجزء ١٥ ثلاث أجزاء .

(٧) الدخيل في تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرايا من علم التفسير للشيخ محمد بن علي الشوكاني من سورة الأنعام إلى آخر سورة الإسراء.

(٨) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا.

(٩) العلامة أبو السعود ومنهجه في التفسير.

(١٠) عيون التفاسير للفضلاء السماسير للإمام شهاب الدين أحمد بن محمود السيواسي من أول سورة سبأ حتى سورة الناس.

(١١) الدخيل في تفسير الإمام القرطبي من أول سورة ( ص ) حتى سورة الناس.

(١٢) حاشية الحافظ السيوطي على تفسير البيضاوي من أول سورة آل عمران حتى آخر سورة الأعراف.

(١٣) الدخيل في تفسير الدر المنثور للسيوطي من أول سورة الفاتحة حتى قوله تعالى (أفتطمعون) من سورة البقرة

(١٤) الدخيل في تفسير ابن أبي حاتم من أول الجزء الثاني والعشرين حتى الجزء الرابع والعشرين

(١٥) التأويل لدى السبئية وأشباههم

(١٦) الدخيل في تفسير البغوي من أول الفاتحة إلى آخر الكهف

(١٧) إسماعيل وإسحاق في القرآن الكريم والعهد القديم.

(١٨) الدخيل في تفسير الإمام القرطبي، من أول سورة ( يس ) إلى آخر سورة ( الناس)

(١٩) شبهات المبشرين حول القرآن الكريم وعلومه رد على المائة والأربعين شبهة الأخيرة من كتاب "هل القرآن معصوم ؟

وغيرها من الرسائل التي لما تكتمل بعد بل هي قيد الدراسة .

(٢٠) منهج القاضي الشهاب الخفاجي وآراؤه في التفسير من خلال حاشيته على تفسير القاضي البيضاوي المسماة ( عناية القاضي وكفاية الراضي ).

(٢١) تفسير القرآن الكريم ، لعبد الحليم حسن وآخرين : دراسة منهجية وتعريب للجزء الأول من القرآن

ثانيا : رسائل الماجستير :

(١) الدخيل في تفسير الطبري المسمى"جامع البيان من تأويـل أي القـرآن" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، الجزء الثالث والرابع.

(٢) آيات النداء في القرآن " دراسة موضوعية"

(٣) سيدنا أيوب عليه السلام في ضوء القرآن الكريم والتوراة والإنجيل.

(٤) كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لشهاب الـدين عبـد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة،المتوفي سنة ٦٦٥هـ (تحقيـق ودراسة).

(٥) تفسير آيات الصيام

(٦) منزلة العمل في الإسلام كما يصورها القرآن الكريم

(٧) هود وصالح في القرآن الكريم

(٨) دراسة وتحقيق لمخطوط أبي الليث السمرقندي المتوفي سنة ٣٧٣هـ مـن أول سورة الذاريات حتى نهاية سورة الناس.

(٩) التيسير في علم التفسير للإمام أبي حفص النسفي المتوفي سنة ٥٣٧هـ "تحقيق ودراسة من أول سورة الواقعة إلى آخر سورة المرسلات.

(١٠) ذكر الله ـ عز وجل ـ في القرآن الكريم.

(١١) منهج الإسلام في إصلاح الأسرة في ضوء سورة النسـاء "دراسـة مقارنـة بالقانون الأندونيسي"

(١٢) البركة والزيادة في ضوء القرآن الكريم

(١٣) أسماء سور القرآن وعلاقة الاسم فيها بالمسمى مع تحقيق المسألة فيما قيـل في فضلها .

(١٤) الرد على مائة شبهة من كتاب هل القرآن معصوم

(١٥) تحقيق ودراسة للجزء العشرين والحادي والعشرين من تفسير الحافظ الهكاري

(١٦) السر القدسي في تفسير آية الكرسي.

(١٧) البشري في القرآن الكريم .

(١٨) تفسير السمرقندي من أول سورة (الذاريات ) حتى آخرة سورة (الناس).

وهناك رسائل أخرى قيد الإشراف والمناقشة والله نسأل أن يوفقنا من خلال ما عرضنا إلى خير طريق وأقوم سبيل والله من وراء القصد.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

*****


أد/ جمعة علي عبد القادر

أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين ـــ جامعة الأزهر القاهرة

عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة

# فهرس عام لموضوعات الكتاب

*****

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٦/٩٩٥٥
مطبعة رشوان